2269
.28
.352
v.2, pt.1

2269.28.352 v.2,pt.1
al-Dibs
Kitāb ta'rīkh Sūrīyah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 082175603

V.2 Pt.1

al-Dibs, Yūsuf Ilyas, abp. of Beirut.

كتاب

Kitāb ta'rīkh Sūrīyah

تاريخ سورية

لسيادة الحبر العلامة المفضال المطران يوسف الدبس

رئيس اساقفة بيروت الماروني

الجزء الأول

في تاريخ شعوب سورية القدماء

المجلد الثاني

يحوى مقالة في العبرانيين

طبع ببيروت في المطبعة العمومية الكاثوليكية سنة ١٨٩٥

1-ت 308

2269
.28
.352
v.2, pt. 1

مقالة
في العبرانيين

قد تكلمنا في مقالتنا الافتتاحية على خلق العالم والانسان الاول وعلى الآباء الاولين حتى نوح وابنائه الثلثة سام وحام ويافث وعلى اعقابهم والمواطن التي حلوا فيها بعد تفرق القبائل في الآفاق متبعين في ذلك مساق كلام الكتاب في الفصول العشرة الاول وبعض آي الفصل الحادي عشر من سفر التكوين حتى مولد ابرهيم الخليل ثم اعقبنا ذلك بمقالتين في الحثيين والفونيقيين اشهر القبائل التي توطنت في شمالي سورية ووسطها فبقي علينا ان نتكلم في اشهر القبائل التي توطنت في جنوبيها وهي قبيلة العبرانيين اي بني اسرائيل مستضيئين بنبراس اصح تاريخ واقدسه واقدمه واكمله وهو اسفار العهد القديم المقدسة فان جل الغرض من كلامها من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين فصاعدًا بيان تاريخ بني اسرائيل وما افترضه الله عليهم وارشدهم اليه بمناجاته ولسان انبيائه ونستعين لادراك شأونا بما اكتشف من الاثار القديمة وما استودع في حطام قدماء المؤرخين وما جاء في كتب ثقاة من العلماء والمفسرين ولما كان ابرهيم الخليل اصل هذه القبيلة وقد ظعن باسرته من بلاد الكلدان الى سورية تعين علينا ان نستهل كلامنا بذكره

616950

الفصل الاول

(في ابرهيم الخليل)

(عد ١٥١)

في نسب ابرهيم وعصره

قد مرَّ بك في عد ٣٨ ان ساماً ولد ارفكشاد وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر فعبر الفرات واليه ينسب العبرانيون وهو ولد فالج (او فالغ) ويقطان جد العرب الذي ذكرنا ولده في العدد المشار اليه آنفاً واما فالج فولد ارعو وارعو ولد سروج وسروج ولد ناحور وناحور ولد تارح وتارح ولد ابرام (الذي سماه الله ابرهيم) وناحور باسم جده وهاران الذي ولد لوطاً وتوفاه الله قبل ابيه تارح في ارض مولده في اور الكلدانيين (تك ف ١١ من عد ١١ فصاعداً) ويرجح ان ابرهيم كان اصغر اخوته وقدمه الكتاب بالذكر تعظيماً له لانه ابو المؤمنين (فيكورو في معجم الكتاب في كلمة ابرهيم) وقد ذكر الكتاب سني موالد هولاء الاباء فيظهر منه ما مر من السنين من بعد الطوفان الى مولد ابرهيم على ان بين النص العبراني والترجمة اليونانية السبعينية اختلافاً في حساب هذه السنين فزادت السبعينية مئة سنة على سني ولادة اكثر الآباء الآنف ذكرهم واتبعت النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية واكثر نسخ الكتاب النص العبراني . واليك جدولاً يتبين منه هذا الاختلاف

	سني مولد الاباء بعد الطوفان بحسب النص العبراني	سنوهم بحسب الترجمة السبعينية
سام ولد ارفكشاد بعد الطوفان	٢	٢
ارفكشاد ولد شالح وله من العمر	٣٥	١٣٥
شالح ولد عابر » » »	٣٠	١٣٠
عابر ولد فالغ » » »	٣٤	١٣٤
فالغ ولد ارعو » » »	٣٠	١٣٠
ارعو ولد سروج » » »	٣٢	١٣٢
سروج ولد ناحور » » »	٣٠	١٣٠
ناحور ولد تارح » » »	٢٩	٧٩
تارح ولد ابرهيم » » »	٧٠	٧٠
	٢٩٢	٩٤٢

وقد زادت السبعينية ابًا اخر على هولاء وهو قينان

وذكرت ان ارفكشار ولده وعمره ١٣٥

١٠٧٧

وان قينان ولد شالح وهلمَّ جرًّا الى ابرهيم كما مر وعليه فيكون ما بين الطوفان ومولد ابرهيم مئتان واثنان وتسعون عامًا بحسب النص العبراني والف وسبعة وسبعون عامًا بحسب الترجمة السبعينية وذكرت الترجمة السريانية قينان بن ارفكشاد كالسبعينية في الفصل الثالث من بشارة لوقا وقد اتبع ابن خلدون في تاريخه حساب الاصل العبراني في مواليد هولاء الاباء ولكن اعتمد ابو الفدا فيه حساب الترجمة السبعينية وجعل المدة من الطوفان الى مولد ابرهيم الفًا واحدى وثمانين سنة

واذا اضفنا الى ٢٩٢ عامًا من الطوفان الى مولد ابرهيم ١٦٥٦ سنة من

خلق ادم الى الطوفان بحسب الاصل العبراني كما في الجدول الذي وضعناه في عد ٢٣ والحقنا به ٧٥ سنة عمر ابرهيم عند ارتحاله من حاران ليمضي الى ارض كنعان كما في سفر التكوين (فصل ١٢ عد ٤ و ٥) كان مجموع الاعوام التي مرت من ادم الى بلوغ ابرهيم سورية ٢٠٢٣ واما بحسب السبعينية فالمجموع ٣٣٩٤ سنة مؤلفة من ٢٢٤٢ سنة قبل الطوفان ومن ١٠٧٧ سنة من الطوفان الى مولد ابرهيم ومن ٧٥ سنة من مولد ابرهيم الى ان ارتحل الى سورية وكان الفرق بين الحسابين ١٣٧١ عاماً واما في اية سنة قبل مولد المخلص شخص ابرهيم الى سورية فذلك يختلف فيه اختلاف المذاهب في تعيين سنة المولد من سني الخليقة فعلى مذهب من قال ان مولد المخلص كان في سنة ٤٠٠٠ لخلق الانسان يكون بلوغ ابرهيم الى فلسطين سنة ١٩٧٧ وعلى مذهب من قال ان المولد كان في سنة ٤٠٥١ يكون بلوغ ابرهيم سنة ٢٠٢٨ قال الاب فيكورو جعل اوساريوس مولد ابرهيم لسنة ١٩٩٢ ق م وجعل كليتون وفاته سنة ١٩٥٥ واقامته في ارض كنعان من سنة ٢٠٥٥ الى سنة ١٩٥٥ وقال بلمر Palmer انه بلغ ارض كنعان سنة ٢٠٨٤ وتوفاه الله سنة ١٩٨٤ ق م والحاصل ان المسئلة يختلف فيها حتى الان وعلى كل الاقوال انه بلغ بلاد الكنعانيين لنحو من الفي سنة قبل الميلاد ولعله يكتشف اثر يزيل الخلاف مثل ان يتجد قطعة اجر او اثر اخر في بلاد الكلدان تنبئ بشئ من تاريخ كدرلاعومر الذي حاربه ابرهيم فينجلي تاريخ ابرهيم بالحصر او التقريب (فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٣٦٦)

وقد طالعنا في هذه الايام في المجلة الموسومة بالعلم الكاثوليكي مجلة المباحث الدينية فصلين علقهما فيها الاب مور الشهير في عدديها الصادرين في ١٥ آب وفي ١٥ ايلول سنة ٩٣ اثبت فيهما ان ابرهيم شخص الى فلسطين سنة

٢١٤٥ ق م ففي الفصل الاول منهما اجهد نفسه ليثبت ان خروج بني اسرائيل من مصر كان لسنة ١٥٠٠ ق م مستمسكًا باثار اشورية يظهر منها ان سرغون دمر السامرة وقرض مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق م ووضع جدولاً لملوك اسرائيل ويهوذا يتبين منه ان سليمان اخذ ببناء الهيكل سنة ١٠٢٠ ق م واستشهد بقول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٦) بان هذا البناء كان بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني اسرائيل من مصر فكان الحاصل على قوله ان الخروج كان سنة ١٥٠٠ ق م ثم اضاف سني العبودية ٤٣٠ سنة الى ذلك العدد فكان المجموع ١٩٣٠ سنة وضم الى ذلك ٢١٥ سنة حصلت من ان يعقوب نزل الى مصر وله من العمر ١٣٠ سنة وان اسحق ولده وعمره ٦٠ سنة وان ابرهيم ولد اسحق بعد ٢٥ سنة من اتيانه فلسطين (وكل هذا بين في سفر التكوين) ونتج ان ابرهيم شخص الى فلسطين سنة ٢١٤٥ ق م ثم ايد قوله في الفصل الثاني بوجه اخر مستندًا الى اثر لاشور بانيبال ملك اشور قال فيه « ان كودر ناهوندا ملك عيلام سطا على هياكل اكّد (بابل) واخذ تمثال الآلهة نانا فاستمر هذا التمثال في بلاد عيلام سنة ١٦٣٥ (وفي نسخة ١٥٣٥) وان اشور بانيبال ظفر بملك عيلام وارجع هذا التمثال الى محله » ومن البين ان هذا الملك الاشوري انتصر على ملك عيلام سنة ٦٦٠ ق م فان اضفنا هذه السنين الى ما قبلها كان المجموع ٢٢٩٥ سنة وقد رأى الاب مور ان غزوة العيلاميين لبابل كانت الداعي لمهاجرة الحثيين من سورية الى مصر ولمهاجرة تارح ابي ابرهيم من اور الكلدانيين الى حاران وان كودرلاعومر الذي حاربه ابرهيم بعدًا هو من دولة العيلاميين هذه وان دولة اخرى حليفة بها تعرف بالسيسكو كان منها ملك يسمى كركال وان هذا ليس هو الا تدعال ملك الامم حليف كودرلاعومر وباقي الملوك الذين حاربهم ابرهيم (تك ف ١٤) وبناء على ما مر وضع مور جدولاً يتبين منه ان تارح

ولد سنة ٢٣٥٠ وعاش ٢٠٥ سنين وانه هاجر بلاد الكلدان لما مر اذ كان عمر ابرهيم ٣٥ سنة وعاش ابرهيم مع ابيه هناك ٤٠ سنة فان اسقطنا ٢٠٥ سنين من ٢٣٥٠ كان الباقي ٢١٤٥ هي سنة شخوص ابرهيم الى فلسطين انتهى ملخصاً والله اعلم

قد انبأنا الكتاب (تك ف ١١ عد ٢٩) ان قد « اتخذ ابرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة ابرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ابي ملكة وابي يسكة » قال يوسيفوس (ك ١ في تاريخ اليهود ف ٦) ان ناحور « توفي في اور الكلدانيين ويشاهد هناك مدفنه الى اليوم وخلف ابناً يسمى لوطاً وابنتين تسمى احداهما سارة والاخرى ملكة فتزوج ابرهيم بسارة وناحور بملكة » فسارة اذاً بنت اخي ابرهيم على هذا القول وسيجئ فيه كلام في عد ١٥٤ وهي المسماة يسكة ايضاً واخوهما لوط ارتحل مع ابرهيم الى ارض الكنعانيين ومن عوائدهم ان لا يتزوج الاخ البكر بابنة اخيه الذي هو اصغر منه ويباح الاخ الاصغر ان يتزوج بابنة اخيه البكر وهذا يرجح ما مر من ان ابرهيم لم يكن بكر تارح بل اصغر ابنائه وهذا أعون على حل الاشكال الحاصل من قول الكتاب (في اعمال الرسل ف ٧ عد ٤) ان ابرهيم لم يرتحل الى ارض الكنعانيين الا بعد وفاة ابيه وان اباه عاش مئتين وخمس سنين وولد ابرهيم وعمره سبعون سنة وان ابرهيم ارتحل الى ارض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة (كما في سفر التكوين ف ١١ و ١٢) فيحصل من ذلك ان عمر تارح لم يتجاوز حين ارتحال ابرهيم المائة والخمس والاربعين سنة ويلزم منه ان يكون قد عاش ستين سنة بعد ارتحال ابنه فاذا قلنا ان هاران انما هو الذي ولده وعمره سبعون سنة انفسح لنا القول انه ولد ابرهيم بعد ستين سنة لانه اصغر ولده فيزول الاشكال ورأى بعضهم ان عدد المئتين والخمس سنين من غلط النساخ لا من حقائق الكتاب (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٣٤٢) ولذلك

قال كلمت (في معجم الكتاب في كلمة تارح) ان تارح ولد ابرهيم وعمره مئة وثلاثون سنة

﴿ عد ١٥٢ ﴾

في منشأ ابرهيم اي في اور وحاران

ولد ابرهيم ونشأ في اور الكلدان ولكن اين موقع اور هذه فقد توفرت فيه الاقوال وتضاربت وسماها الكتاب في النص العبراني اور كسديم ولم ينبئ بموقعها ولذلك جعله بعضهم في بلاد الكلدان وبعضهم في الجزيرة وبعضهم في سورية ومن التقليدات المستمرة حتى الان في المشرق وقد اخذ بذلك القديس افرام السرياني وتابعه كثير من مفسري الكتاب ان مولد ابرهيم كان في ارفه وهي الرها ومن ادلتهم على ذلك تسميتها في السريانية اوضما (اورهي) وان اهلها متشبثون حتى الان بهذا التقليد وقد دافع ستانلاي عن صحة هذا القول واعتمده وقال بوخرت ان موقع اور بين نصيبين ودجلة ووافقه على قوله كثير من مشاهير العلماء على ان العالم اوبر وُفّق الى تعيين موقعها واورد بينات اثباته في ٢٢ نيسان سنة ١٨٦٩ لتلامذته وللجم الغفير في مدرسة افرنسة حيث كان يدرس التاريخ وهو في المحل المعروف الان بالمقاير وسماه بعض الجغرافيين ام قير وهو في وسط الطريق بين بابل ومصب نهر الفرات في خليج العجم حيث تشاهد اكمة عليها اخربة عديدة وسمى هذا المحل المقاير لكثرة ما يوجد فيه من كسر الاجر مطلية بالقار وقد اكتشف هناك قطع عديدة من الاجر يتبين منها اسماء هذه المدينة وبعض ملوكها وظهر من اثار عديدة انها كانت مدينة علوم وصنائع وكثر فيها عداد العلماء والفلكيين الذين يرصدون الكواكب والشعراء والكتبة وقد بقي لنا بعض ما كتبوه على الاجر في مكتبة نينوى السالف ذكرها وكان ملوكها يسمون انفسهم ملوك اور كما كان يسمى

ملوك بابل وملوك شومير وملوك اكد فهي من اقدم مدن بلاد الكلدان فان بعض الآثار التي وجدت فيها تعسر قرأتها وفهمها لتناهي قدمها ومنها فلذة اجر كتب عليها « ان ليك باغاس ملك اور بنى هذا الهيكل تحلة للاله سين » وكتب على فلذة اخرى « اقام ليك باغاس ملك اور هيكلاً تكرمة لسيده الاله سين وبنى اسوار مدينة اور » وليك باغاس هذا كان قبل مولد ابرهيم والاله سين هو القمر الذي كان اعظم معبودات اور فهذه المدينة ولد فيها ابرهيم ولا يبعد ان كان ابوه تارح يعبد الاله سين كغيره من اهلها في الهيكل الذي بناه ليك باغاس

وجاء في سفر التكوين (ف ١١ عد ٣١) « واخذ تارح ابرام ابنه ولوط بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام فخرج بهم من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان فجأوا الى حاران واقاموا هناك » وحاران هي المعروفة الان بحران وموقعها في الجنوب من ارفه على بعد ثمان ساعات وهي الان خربة وفيها معبد ينسبونه الى ابراهيم وسماها اليونان واللاتينيون حارّه وهي مشهورة في التاريخ العالمي بانتصار البرتيين فيها على كراسوس الروماني وفي التاريخ المقدس بسكن ابرهيم فيها ويظهر انها كانت من اعمال مملكة ابجر ملك الرها المشهور برسالته للمخلص وجوابه له عليها . وورد اسمها مكرراً في الآثار الاشورية محسوبة في عداد المدن الارامية وجاء ذكرها مع بعلبك في الخطوط القديمة التي وجدت في قصر خرشباد ونقش اسمها على مسلة سلمناصر في عداد المدن التي فتحها في شمالي ما بين النهرين وكان اهلها يعبدون القمر كسكان اور . وترى فيها الى الآن البئر التي التقى بعد ذلك اليعازر رسول ابرهيم برفقا عندها فخطبها لاسحق كما سيجيء وحكى بعض الجوالة ان رعاة الماشية يجتمعون حتى اليوم حول هذا البئر ليسقوا ماشيتهم . والنساء يبكرن

بالورود اليها لاستقاء الماء ولا بد ان يكون ابرهيم قد ورد هذه البئر مرارًا كما صنع بعده حفيده يعقوب اذ كان يرعى غنم حميه لابان . قال بعضهم ان ابرهيم اقام في حاران خمس عشرة سنة وجعل غيرهم مدة اقامته فيها ست سنين او خمسًا (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ١ في الكلام على ابرهيم)

﴿ عد ١٥٣ ﴾

﴿ في ارتحال ابرهيم الى ارض الكنعانيين وما قيل في ولايته في دمشق ﴾

اتفقت تقليدات اليهود والعرب على ان ابرهيم اضطر الى مزائلة بلاد الكلدان فرارًا من الخطر الملم به من قبل قومه اذ فشت بينهم عبادة الاوثان وكان يبكتهم عليها ويناصبهم في انتشارها فثاروا عليه يتطلبون قتله فامره الله بالخروج من بينهم والارتحال الى ارض كنعان ولهذه التقليدات مسند في الكتاب ايضًا فاننا نرى يشوع بن نون يقول لجميع الشعب هكذا قال الرب اله اسرائيل في عبر النهر سكن اباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور وعبدوا الهة اخرى فاخذت اباكم ابرهيم من عبر النهر وسيرته في جميع ارض كنعان . (يشوع فصل ٢٤ عد ٢) بل روى بعض المؤرخين العرب ومنهم ابو الفدا (في مجلد ١ من تاريخه) ان تارح ابا ابرهيم كان يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها وكان ابرهيم يقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه ، وقد تأول علماء التلمود كلمة اور من قوله اور الكلدانيين بمعنى نار ولذلك كان من تقليداتهم ان الكلدانيين القوا ابرهيم في اتون نار متقدة لانه ابى السجود لالهتهم فانجاه الله منه بمعجزة على ان القديس ايرونيموس ترجم اية سفر نحميا (فصل ٩ عد ٧) وهي انت الرب الاله الذي اصطفيت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين ،

فكتب بدلاً من اور الكلدانيين من نار الكلدانيين كما في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية لكنه قال ان تقليد علماء التلمود في هذا الشان انما هو حكاية لا يعتد بصحتها . وعن ابن العبري في تاريخ الدول ، ان ابرهيم احرق هيكل الاصنام بقرية الكلدانيين ودخل هاران اخوه ليطفىء النار فاحترق ولذلك فرّ ابرهيم ، لكن هذا مما لا يمكن اثباته

ولما امر الله ابرهيم ان انطلق من ارضك اي حاران الى الارض التي اريك اي ارض الكنعانيين نهض بامرأته سارة وابن اخيه لوط وحاشيته وخدمه ومواشيه وخلف اخاه ناحور في حاران وكان ابوه قد توفي فعبر الفرات وروى يوسيفوس (ك ١ فصل ٧ من تاريخ اليهود) نقلاً عن نيقلاوس الدمشقي (الذي كان في القرن الاول قبل الميلاد) ان ابرهيم بلغ دمشق اولاً وولي امرها واليك كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس ، خرج ابرهيم بجحفل كبير من بلاد الكلدان ... فملك في دمشق ثم زايلها بعد مدة مع شعبه كله واقام في ارض كنعان التي تسمى الان اليهودية فكثرت ذريته كثرة لا تقدر وساجيء على ذكر ذلك في محل اخر وما برح اسم ابرهيم الى الان موقراً ومشتهراً جداً في بلاد دمشق وهناك قرية تسمى باسمه ويقال انها كانت مسكنه ، وعدّ يوستينوس ملوك دمشق فقال ، ومن بعد دمسقوس ملك حزال ثم ادوراس ثم ابرهيم واسرائيل ، ورأى كثير من العلماء ان هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا اقل من ان تكون دليلاً على اقامة ابرهيم مدة في دمشق بمنزلة امير ثريّ واليعازر قيم بيته كان من دمشق (تك ف ١٥ عد ٢) وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين

واول محطة احتلها ابرهيم في اليهودية هي شكيم المسماة في الانجيل سوخار والمعروفة الان بنابلس وتجلى الرب هناك لابراهيم ووعده بان تكون

تلك الارض لنسله فاقام ثم مذبحًا تكرمة للرب الذي تجلى له ثم ظعن من هناك وضرب خيامه في الجبل بين بيت ايل غربًا والعاي شرقًا (تك ف ١٢ عد٨) فهذا الجبل يلزم ان يكون الاكمة التي عليها المحل المسمى خربة البرج وبيت ايل هي المسماة الان بيت اين في شمالي البيري واورشليم واما العاي فكانت في محل الكديرة الان في جانب دير ديوان بين رمان في الشمال ومخماس في الجنوب وكل ذلك في الشمال الشرقي من اورشليم (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٤ و ٥٩) وكانت بيت ايل تسمى قديمًا لوزا وفيها تجلى الرب ليعقوب عند فراره من وجه اخيه عيسو واراه سلمًا يتصل رأسها بالسماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها فنصب هناك مذبحًا وقال عن الموضع انه بيت الله وسماه بيت ايل (تك ف ٢٨ عد ١٢ وما يليه) والعاي وتسمى عاي دون ال وغاي هي المدينة التي بعث اليها يشوع بن نون بعد افتتاحه اريحا ثلثة الاف رجل فهزمهم اهل المدينة ثم انتصر عليهم يشوع واحرق مدينتهم وصلب ملكها ورجمه (يشوع فصل ٧ و ٨) كما سيجيء في محله . ولم يستمر ابرهيم هناك بل امعن في ارض الكنعانيين نحو الجنوب مرتحلاً ارتحالاً متواليًا

﴿ عد ١٥٤ ﴾

في انحدار ابرهيم الى مصر

نبأنا الكتاب (تك ف ١٢) ان حصلت مجاعة في ارض كنعان دعت ابرهيم ان ينحدر الى مصر مع سارة امرأته ولما كانت بديعة الجمال وهو يعلم فساد المصريين لقنها ان تقول انها اخته لئلا يقتله المصريون ويأخذوها فقالت كما علمها واخبر فرعون عظماؤه بجمالها فهام بها وادخلت بيته فضرب الرب فرعون واهله ضربات عظيمة بسببها فاستدعى ابرهيم ورد عليه امرأته معتذرًا بانه حسبها اخته فاخذها لتكون له امرأة واحسن الى ابرهيم بسببها فصار له

غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال وامر فرعون قوماً يشيعونه هو وامرأته وكل ماله

زعم بعض النقادين ان ما اجراه فرعون الى ابرهيم من الاكرام والاحسان يخالف الصواب ولا يصدق خاصة ان صح ان فرعون هذا كان مصرياً اصلاً والصحيح ان زعمهم هذا يخالف الصواب لان اكرام فرعون لابرهيم واخذه سارة ينطبقان كل الانطباق على عادات المصريين واطوارهم وقد وجدت اثار عديدة تثبت ذلك منها صورة نقشت على احد المدافن في تربة بني حسن على ضفة النيل الشرقية على عهد ازورتسان الثاني احد ملوك الدولة الثانية عشرة تمثل رئيس عشيرة من الرحل اتى مصحوباً باسرته وخدمه يحيي حاكم البلاد احد اقارب الملك ويلتمس منه الحماية ويسمي الاثر هولاء الغرباء عمو وقد مر ان المصريين يعبرون بهذا الاسم عن الرعاة الرحل الذين يأتون من بلاد العرب وفلسطين ويصف رئيس هذه الاسرة بهاك اي امير او رئيس العشيرة ويسميه ابشاه اي ابي الرمل وتأويل هذا الاسم قريب من معنى ابرهيم الذي هو ابو الكثيرين ولهذا الامير واسرته وحاشيته كل السمات المميزة الساميين من حيث الهيئة الطبيعية والملابس ويظهر من الصورة ان حاكم البلاد يتلطف بمقابلتهم كاناس ذوي حسب ونسب فيقدمهم احد الكتاب ووراء الحاكم يافع يحمل حذاءه ولم تكن العادة بخلعه الا في المقابلات الرسمية ومن جملة ما يقوله الكاتب عند تقديمهم ان المجاعة حملتهم على الاتيان الى مصر ويعدد احسانات الحاكم ومكرماته فان لم تكن هذه الصورة صورة ابرهيم ولوط واسرتهما فلا اقل من ان تبين بطلان زعم النقادين

وهم بوهلن Bohlen الالماني انه وجد بينة على التكذيب بصحة آيات الكتاب بتسمية الحيوانات التي اعطيها موسى في مصر ولم يكن منها في وادي

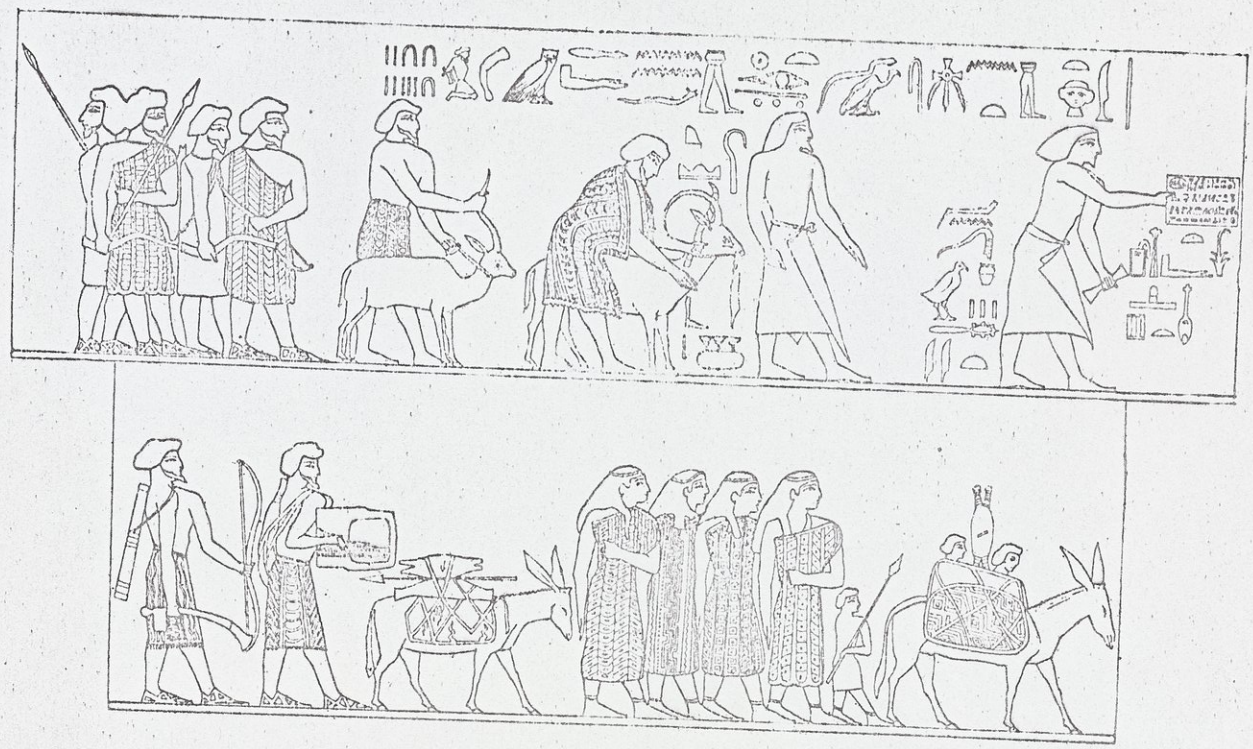

صورة مهاجرين من سورية الى مصر نقلاً عن مدافن بني حسن في مصر صفحة ١٢

النيل في ذلك العصر او كانت نادرة فان الغنم كان نادرًا كالجمال والحمير كانت مكروهة بسبب لونها ولم يذكر موسى الخيل على كثرتها في وادي النيل فرد الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٣٩) زعم بوهلن هذا واثبت بالاثار والخطوط والصور القديمة وفرة الغنم والبقر والحمير في مصر منذ ايام الدولة الثانية عشرة واما في الجمال فقال وان ندرت صورها في الاثار فلم يندر وجودها ويظهر انه كان لهم قواعد تحظر عليهم تصوير بعض الحيوانات كالدجاج والهر والجمال ولا يمكن ان تكون الجمال منقطعة الوجود في مصر مع كثرتها عند جيرانهم العرب من اقدم الايام ونقلها اليهم كثيرًا من حاصلات بلاد العرب وغيرها وفي بعض الخطوط المصرية انهم كانوا يعلمون الجمال الرقص وقد جاء في سفر الخروج (فصل ٩ عد ٣) ذكر هذه الحيوانات كلها في مصر اذ قال موسى لفرعون « ها يد الرب على مواشيك التي في الصحراء الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم بوباء شديد » واما اهمال ذكر الخيل في عداد ما اعطيه موسى فهو بينة على صحة الكتاب لان اول من ادخل الخيل الى مصر انما هم الملوك الرعاة وابرهيم كان قبلهم او في اوائل ولايتهم على مصر كما سيجيء وكانت ارض مصر في ايام موسى موعبة بالخيل فلم يذكرها موسى بين الهدايا لابرهيم مع ذكره لها مرارًا في آيات اخرى فكان ذلك دليلاً وضاحًا على انه تلقى ما كتبه عن تقليد صحيح ثابت وكان المصريون يسمون الخيل ساس وفي العبرانية سوس وفي السريانية ههها (سوسيو) وكانوا يستعملون الخيل لجر مركبات الحرب في ايام الدولة الثامنة عشرة ويسمون المركبة مركابوتا وهي في اللغات السامية مركبة و هنهدحها (مركبتو) فكل ذلك يصرح بان المصريين اخذوا الخيل والمركبات عن سكان اسيا الذين يتكلمون باللغات السامية

واما من كان فرعون الذي اتحف ابرهيم بهذه الهدايا فقال فيكودو (في كتابه السالف ذكره صفحة ٤٤٩) انه كان احد ملوك الدولة الثانية عشرة قبل ولاية الملوك الرعاة في مصر سنداً الى انه لم يهدِ ابرهيم خيلاً لانها لم تكن في مصر قبل ان يليها الملوك الرعاة على ان ما رويناه في عد ٩٣ نقلاً عن الاب دي كارا وغيره يظهر منه ان فرعون هذا كان من الملوك الرعاة في دولتهم الاولى ويستلمح ذلك من اعزاز فرعون لابرهيم لانه من ابناء وطنه القديم

وكيف استباح ابرهيم الكذب بتلقينه سارة ان تقول انه اخوها وهو زوجها فقد اجمع الاباء والعلماء ان سارة اخت ابرهيم حقيقة على ان لهم في اثبات هذه الاخوة بينهما قولين فاثبتها بعضهم بان العبرانيين كانوا يسمون الاقارب الادنين كاولاد الاخوة والاعمام اخوة وقالوا ان سارة بنت هاران اخي ابرهيم فصدق بتسميتها اخته جرياً على عادتهم وممن قالوا بهذا يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٦) والقديس ايرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين ف ٢٠) وابو الفدا في تاريخه واسندوا قولهم الى اية التكوين (ف ١١ عد ٢٩) وهي « اتخذ ابرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة ابرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ابي ملكة وابي يسكة » وما يسكة عندهم الا اسم اخر لساراي كما مر في عد ١٥١ ورجح كلمت في معجم الكتاب هذا القول واعتمده كرنيلوس الحجري (في تفسيره سفر التكوين) مستمسكاً بنهي سنة الطبيعة عن الزواج بين الاخوة والاخوات وان لأمينٍ على ان غير هولاء من الاباء والعلماء ذهبوا الى ان سارة اخت ابرهيم لابيه لا لامه وقالوا ان تارح تزوج بامرأتين اسم الاولى يونا وهي ام ابرهيم واسم الثانية ثاريلا وهي ام سارة فتزوج ابرهيم باخته لابيه وان هذا لم يكن محظوراً في ايامهم واسندوا قولهم هذا الى آية صريحة في سفر التكوين (ف ٢٠ عد ١٢) حيث قال ابرهيم

نفسه لا يملك ملك جرار عن سارة » وعلى الحقيقة هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي » وقد رجح فيكورو (في معجم الكتاب في كلمة ابرهيم) هذا القول لصراحة الاية به والاحتياج الى التأويل في الاية الاخرى وعلى كلا القولين فسارة اخت ابرهيم وهي زوجته فهاتان حقيقتان لقن ابرهيم سارة ان تكشف عن احداهما وتسكت عن الاخرى وليس من الزام على احد ان يقول كل ما يعلم

ولكن كيف عرض ابرهيم زوجه لخطر الاثم الذى حف بها فعلاً فقد برأ القديس اغوسطينوس ابرهيم من الكذب كما مر ومن تعريضه امرأته للاثم فقال ان ابرهيم كان معرضاً لشرين قتله واختطاف امرأته ولا مفر له من كليهما ان قال ان سارة امرأته وينجو من القتل ان قال انها اخته فاختار من الشرين اصغرهما موكلاً الى عناية الله حفظ طهارة سارة مع تيقنه بعفافها فلا حرج عليه لا سيما انه لو قال هي امرأته لم تنجُ من هذا التعرض ايضاً وكان موقناً فساد اداب المصريين وعناية الله به وبامرأته وبرّ العمل يقينه اذ خطفت سارة بفساد المصريين وانجاه الله من شرهم وحصن سارة من الاثم

روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٨) « ان فرعون دفع الى ابرهيم مقداراً من الفضة عدا هداياه السالف ذكرها وسمح له ان يباحث حكماء مملكته فكشفت هذه المباحثة عن فضيلته وحكمته واكسبته اسمى اعتبار وكان حكماء المصريين متشعبي الاراء وادّى بهم هذا الخلاف الى انقسام كبير فجاءهم ابرهيم بجلي البرهان على ان الفريقين عن الحق بمراحل فدهش الفريقان بذكائه وسمو مداركه وعلمهم فن الحساب وعلم الفلك وكانوا لهما جاهلين فهو الذي اوصل هذه العلوم من بلاد الكلدان الى المصريين وعن هولاء اخذها اليونان » وهذا رواه كثير من القدماء منهم نيقولاوس الدمشقي

وابو لام وارتبان وغيرهم ذكرهم اوسابيوس (في كتابه الموسوم بالاستعداد الانجيلي ك ٩ ف ١٩)

وبعد ان اقام ابرهيم في مصر نحو سنة على الاظهر عاد منها ومعه لوط ابن اخيه وقومه غنيًا بالماشية والذهب والفضة وقد احرزهما بهدايا فرعون ونتاج قطعانه فحل في منزله الاول بين بيت ايل والعاي اشبه بقبائل الرحل في هذه الايام وتوفرت قطعان لوط ايضًا فوقع نزاع بين رعاته ورعاة ابرهيم عمه افضى الى ان يخير ابرهيم لوطًا في الجهة التي يريد الانطلاق اليها بقطعانه ورعاته فاختار لوط السهول التي على ضفات الاردن والبحر الميت التي كانت تسقى قبل ان ينزل الله رزأه بسدوم وعمورة فتوطن سدوم قصبة المدن الخمس المتعاهدة وهي سدوم وعمورة وادمة وصبوائم وصوعر وبعد ان انتزح لوط عن ابرهيم تجلى الله له مجددًا ووعده بان تكون له ذرية تشذ عن العدّ وتملك هذه البلاد وارتحل ابرهيم من محله وضرب خيامه في وطأ ممرا حذآء حبرون وابتنى هناك مذبحًا للرب على عادته حيثما حل وحبرون هي المعروفة الان بالخليل اي مدينة ابرهيم الخليل وهي على مسافة نحو من سبع ساعات في الجنوب من اورشليم وجاء في سفر العدد (ف ١٣ عد ٢٣) « وكانت حبرون قد بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين » وصوعن هي تانيس المعروفة الان بسان بجهة مصر الشرقية . وقيل في سفر يشوع بن نون (ف ١٤ عد ١٥) « وكان اسم حبرون قبلاً قرية اربع وهو اعظم رجل في العناقيين » ومنه يظهر ان اربع احد جبابرة بني عناق هو اول من اختط اسس الخليل وسماها قرية اربع اي مدينته نسبة اليه

﴿ عد ١٥٥ ﴾

محاربة ابرهيم لكدرلاعومر واحلافه

ان ملخص ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين هو ان كدرلاعومر ملك عيلام كان اخضع لسلطته سكان وادي الاردن فاستمروا على الطاعة له اثنتي عشرة سنة وفي الثالثة عشرة عصوه فجيش عليهم في السنة الرابعة عشرة وغشا بلادهم يصحبه امرافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وتدعال ملك الامم وكان هولاء الملوك الثلثة احلافًا او اقيالاً لكدرلاعومر فضرب هولاء الملوك في مسيرهم قبيلة الرافائين في عشتروث قرنيم وعشيرة الزوزيين في هام والايميين في شوى قريتائيم . ثم الحوريين في جبلهم سعير الى سهل فاران الذي عند البرية . ثم جاوا الى عين مشفاط وهي قادس فضربوا كل ارض العمالقة والاموريين المقيمين في حصاصون تامار . فخرج اليهم ملوك المدن الخمس السالف ذكرها وهم بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمئبير ملك صبوئيم وملك بالع وهي صوعر . فصافوهم للحرب في غور السديم فانهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا في آبار حُمر هناك والمراد انهما دُحرا وسقط بعض جنودهما في هذه الآبار لانه قيل في عد ١٧ ان ملك سدوم التقى ابرهيم بعد عوده وفر الباقون الى الجبل فغنمت عساكر كدرلاعومر جميع اموال سدوم وعمورة واخذوا بين اسراهم لوطًا ابن اخي ابرهيم وما له وافلت من اخبر ابرهيم بالنازلة فجرد حشمه المولودين في بيته ثلاثمائة وثمانية عشر وصحبه عانر واشكول وممرا حلفاؤه الاموريون وجد في اثر الغزاة الى وان وتفرق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم واتبعهم الى صوبة التي عن يسار دمشق فاسترجع جميع المال ولوطًا ابن اخيه (وسماه الكتاب هنا اخاه على حد تسميته سارة اخته) والنساء وسائر القوم

فهذه خلاصة ما جاء في الكتاب وكلفًا بتوفر الفائدة وزيادة البيان نقول لا يخفى ان عيلام هو ابن سام بن نوح وابو قبيلة العيلاميين التي استحوذت نحو سنة ٢٣٠٠ ق م على الممالك التي نشأت من تقسيم مملكة نمرود ولا جرم ان كدرلاعومر ملك عيلام هو احد ملوكها فان الجزء الاول من اسم كدرلاعومر وهو كدر قد ابانت الاكتشافات الحديثة انه سمى به كثير من ملوك العيلاميين منهم كدرنكودى وكدرمابوق وهذا حمل العالم اوبر على ان يسمي ملوك دولة العيلاميين هذه بالكدريين والجزء الثاني من هذا الاسم لاعومر هو اسم احد الالهة عند العيلاميين فجاء في احدى صفائح اشور بانيبال ذكر صنم لاعومر بين الاصنام التي اخذها هذا الملك من سوس بعد ان فتحها ومعنى كدر خادم او عبد ومعنى لاعومر الباقي او القيوم فيكون تأويل اسم هذا الملك خادم الاله القيوم او الباقي . وجعل سميت كدرلاعومر وكدرمابوق ملك الكلدان واحدًا سندًا الى وجدان قطعة من الاجر في اور الكلدانيين (ام قير) خط عليها « لاله اور من ملكها كدرمابوق المستحوذ على ارض المغرب » ويراد بارض المغرب على رأيه ارض الكنعانيين واذا لم يثبت رأي سميت هذا فلا اقل من ان يثبت بهذا الاثر ان احد ملوك الكدريين تسلط على بلاد كنعان ووجد اثر آخر كتب عليه ان « كدرمابوق اقام هيكلاً للاله سين اي القمر اله اور » ويسمي نفسه في بعض آثاره سيد سورية ويمات بعل اي بلاد عيلام وكل هذا ناطق بان ملوك هذه الدولة غزوا ارض كنعان كما فعل كدرلاعومر سواء كان هو كدرمابوق ام غيره . (فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٥٩)

والظاهر من الآثار ان الملوك الثلثة الباقين كانوا احلافًا او اقيالاً خاضعين لكدرلاعومر فان صفائح اشور بانيبال تثبت ان دولة الكدريين العيلاميين

تولت بلاد بابل مدة طويلة لانه كتب انه افتتح مدينة سوس عاصمة العيلاميين واسترد تمثال الالهة نانا الذي كان قد اخذه كدرنكوندر او كودرناهونتا (كما مر عد ١٥١) ملك عيلام منذ الف وستمائة وخمس وثلاثين سنة وبقي عند العيلاميين وعليه فهذا الملك العيلامي كان يلي بلاد الكلدان نحو سنة ٢٢٨٠ ق م وقد مر ان كدرمابوق احد ملوك هذه الدولة سمى نفسه ملك اور الكلدانيين وبنى فيها هيكلاً ووجد في ضواحي بغداد تمثال من نحاس لاحدى الآلهات عليه اسم كدرمابوق وهو الان في متحف اللوفر في بريس وعلى رأي بعضهم ان ولاية العيلاميين في ما بين النهرين استمرت ٢٢٤ سنة بدؤها سنة ٢٢٨٧ ق م وكل هذا يبيّن لنا بيانًا علميًا ايضًا صحة رواية سفر التكوين ان ملك عيلام كان اذ ذاك يلي بلاد الكلدان حتى كان بمعيته في غزوته امرافل ملك شنعار التي هي بابل وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور) ان اسم امرافل بابلي برمته مؤلف من كلمة امير ومعناه السيد او الامير كما في العربية ومن كلمة فال او بال او هابال ومعناها الابن فتحرير معنى الكلمة ابن الامير او الابن هو امير

واما اريوك ملك الاسار فكان للعلماء ومفسري الكتاب فيه اقوال متعددة متضاربة بل لم يكن لاحد ان يقطع بمن هو واين كان مالكًا الى ان جأت الاكتشافات الحديثة مصرحة بمن هو وابن من هو واين كانت مملكته وناطقة بصحة رواية الكتاب ومخجلة بعض البرهانيين الذين زعموا ان هذه الحرب وانتصار ابرهيم فيها حكاية او رواية وهمية. فقال لانرمان (في كتابه في اللغة الاولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٤) ان اريوك هو من تعبر عنه الخطوط المسمارية باريكو وان تأويل اسمه خادم الاله القمر وانه كان ملك لارسا واقامه ابوه كدرمابوق ملكًا فيها. فقد وجد اثر في ام قير (اور الكلدانيين) كتب عليه «كدرمابوق وابنه اريا كو ... حاكم بلاد اور وملك لارسا

وسومير واكد ، فقال سكردر (Schrder في تاريخ العهد القديم الصفحة ١٣٥) ، لا اشك البتة في ان اريوك ملك الاسار هو اريكو ملك لارسا نفسه وكان ابن كدرمابوق ملك اور وملك سومير واكّد كما يدلّ على ذلك اسم ابيه كدرمابوق واسم جده سمتى سلهك وكان من ملوك الدولة العيلامية البابلية حليفة كدرلاعومر ، واما الاسار مدينته فلا ذكر لها في الاسفار المقدسة في غير هذه الاية واكثر الباحثين في الآثار الاشورية على انها لارسا مدينة بابل في شرقي اركَ في الشمال الغربي من اور الكلدانيين وتعرف الان بسنقرة واقعة في وسط الطريق بين الفرات ودجلة وكان فيها هيكل الاله شمش (الشمس) فجعلها شهيرة بهذه العبادة من اقدم الايام (فيكورو في المجلد المذكور صفحة ٤٦٣)

واما الملك الاخير من حلفاء كدرلاعومر فيسمى في النص العبراني تدعال كما رونا لكنه يسمى في الترجمة السبعينية ترغال وكذا سماه يوسيفوس وفسر رولينسون (في معجم الكتاب لسميت) ولانرمان (في كتابه في اللغة الاولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٧) هذه الكلمة بمعنى الرئيس الاعظم والشعب الذي كان يلي امره يسمى بالعبرانية كويم ولما كان معنى الكلمة في العبرانية الامم فجأت في الترجمات مفسرة بها فوصفوه بملك الامم واكثر مفسري الكتاب على انه يراد بهم العشائر الرحل التي لا مقر لها وقال كامت (في معجم الكتاب) ان المراد ملك جليل الامم في عبر الاردن . وقال الاب فيكورو (في المحل السالف ذكره) يحق لنا ان نظن ان كويم اسمٌ للبلاد التي نجد ذكرها مكرراً في الخطوط المسمارية مسماة كوتي ويراد بها على رأي رولينسون الصحراء الكائنة بين الفرات وسورية حيث تقيم عشائر الرحل واما سميت فقال اولاً انه يراد بهذه البلاد العربية ثم قال يراد بها بلاد اشور

وبقي ان ننظر في القبائل التي ضربها كدرلاعومر وحلفاؤه فقال اولاً انهم ضربوا قبيلة الرافائيين في عشتروت قرنائيم فالمراد بالرافائيين او الرافائيم الجبابرة القدماء الذين كانت مساكنهم في ما وراء الاردن وظن بعضهم انهم من ذرية رجل يسمى رافا فنسبوا اليه وقال غيرهم ان معنى كلمة رافائيم الجبابرة بلغة هولاء القوم القدماء وبقي من هذه القبيلة بقايا في عهد موسى اذ جاء في سفر يشوع بن نون (فصل ١٣ عد ١٢) « كل مملكة عوج في باشان الذي كان مالكاً في عشتروت وادرعي وهو من بقية الجبابرة الذين ضربهم موسى وطردهم » ولعل جليات الجبار الذي صرعه داود (ملوك ١ فصل ١٧) وغيره من الجبابرة كانوا من هولاء الرافائيين . وقد اطلنا الكلام في الجبابرة في عد ٢٤ فطالعه واما عشتروت قرنائيم مدينة هولاء فموقعها في عبر الاردن قال كامت (في معجم الكتاب في كلمة عشتروت قرنائيم) هي مدينة واقعة في ارض باشان او البثنية (كما سماها ابو الفدا) في نصيب نصف سبط منسا تبعد ستة اميال عن اذرع التي يسميها العرب اذرعات وقال بعضهم انها بصرى وسميت بهذا الاسم تكرمة لعشتروت معبودة الكنعانيين والرافائيين وكانوا يصورونها وعلى رأسها قرنان او نصف هلال فمعنى قرنائيم القرون

ثانياً قد ضرب كدرلاعومر وحلفاؤه عشيرة الزوزيين او الزوزيم في هام وهذه ايضاً من عشائر الجبابرة الذين كانت مواطنهم في عبر الاردن حيث سكن بعدهم العمونيون ويظن انهم الزمزميون الذين جاء ذكرهم في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢ عد ٢٠) حيث قيل « فاذا دانيت جهة بني عمون فلا تعادهم ولا تناصبهم فاني لست معطيك من ارض بني عمون ميراثاً لاني لبني لوط وهبتها ميراثاً » وهي ايضاً تحسب من ارض الجبابرة لان الجبابرة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزميين وهم شعب عظيم كثير طويل القامات

كالعناقيين ، واما هام فهي مدينة في بلاد العمونيين جنوبي البلقاء لم يتحقق الى اليوم موقعها وفي الترجمتين السبعينية واللاتينية العامية ان كدرلاعومر ضرب الزوزيين مع الرافائيين في عشتروت

ثالثا ضرب الغزاة عشيرة الايميين في شوى قريتائيم وهولاء عشيرة قديمة كانت مساكنها في عبر الاردن في جنوبي بلاد العشيرة السالف ذكرها وشرقي البحر الميت وتخلف لهم بسكناها الموابيون قال موسى في سفر التثنية (فصل ٢ عد ٩ الى ١١) ، قال لي الرب لا تعادِ الموابيين ولا تناصبهم حربًا فاني لست معطيكم من ارضهم ميراثًا اذ لبني لوط وهبت عاد ميراثًا وكان الايميون قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طويل القامات كالعناقيين ... والموابيون يسمونهم ايميين ، واما مدينتهم قريتائيم فكان موقعها في عبر الاردن على عشرة اميال عن ميدبا نحو الغرب على ما روى اوسابيوس وشوى بمعنى وادٍ او سهل وقد ورد ذكر قريتائيم في سفر العدد (فصل ٣٢ ع ٣٧) وفي سفر يشوع بن نون (ف ١٣ ع ١٩) بين المدن الواقعة في نصيب سبط روبين وقد استردَّها الموآبيون منهم بعد مدة

رابعًا ضرب هولاء الملوك الحوريين او الحوريم في جبل سعير وقد سمي الجبل وهذه القبيلة التي كانت تسكنه باسم سعير الحوري الذي ذكره وذريته الكتاب في سفر التكوين (ف ٣٦ ع ٢٠ وما يليه) وهذا الجبل يمتد الى الشرق والجنوب من البحر الميت وقد ظعن اليه عيسو بعد ان افترق عن اخيه يعقوب اذ لم تسعهما ارض غربتهما لكثرة مواشيهما كما في الفصل السالف ذكره من سفر التكوين واقام ثمه الحوريون والادوميون ولد ادوم الذي هو عيسو وقال بعضهم انه سمي ادوم نسبة الى احتلاله عن هذه البلاد التي كانت تسمى ادوم قبله على ما يظهر من بعض الآثار المصرية وقد ذكر موسى جبل سعير والادوميين

في سفر تثنية الاشتراع (ف ٢ ع ١) حيث قال « درنا حول جبل سعير اياما كثيرة ثم كلمني الرب قائلاً حسبكم ان تدوروا حول هذا الجبل فخذوا الى الشمال ومر الشعب وقل لهم انكم جائزون في تخوم اخوتكم بني عيسو المقيمين في سعير فسيخافونكم فتحرزوا جدًا لا تناصبوهم فاني لست معطيكم من ارضهم شيئًا ولو موطئ قدم لان جبل سعير قد وهبته لعيسو ميراثًا »

خامسًا ضربوا العمالقة والاموريين بعد ان رجعوا الى عين مشفاط وهي قادس وكانت مدينة الاموريين حصاصون تامار اما العمالقة فذهب بعضهم الى انهم من ذرية عماليق بن اليفاز من ذرية تمناع (تك ف ٣٦ ع ١٢) واليفاز هو ابن عيسو ولما كان عماليق هذا لم يولد الا مدة مديدة بعد ابرهيم فتأول هولاء اية الكتاب بمعنى ان كدرلاعومر ضرب سكان البلاد التي سميت بعد ذلك بلاد العمالقة نسبة الى عماليق بن اليفاز بن عيسو على ان المحققين صححوا ما رواه علماء العرب فقال بعض هولاء ان عماليق هو ابن حام بن نوح وانه ولد عادًا وعاد ولد شدادًا وشديدًا وقال ابن خلدون « قال ابن اسحق وكان للاوذ (وهو لود بن سام) اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس » وقال ابو الفداء « وولد لسام عدة اولاد منهم لاوذ بن سام وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو ابو العماليق ومنهم كان الجبابرة بالشام والقراعنة (اي الملوك الرعاة) في مصر » وقد نقل ابو الفداء قوله هذا برمته عن ابن الاثير في الكامل « وعليه فالاظهر والاقرب لنص الكتاب ان العمالقة الذين ضربهم كدرلاعومر ينتسبون الى عماليق آخر غير ابن اليفاز لا يتحقق أمن ولد حام هو ام من ولد سام لان الكتاب لم يذكر ولدًا للود بن سام ولم يذكر لحام ابنًا يسميه عماليق فقد يكون من احفادهم وقال لانرمان انه يظهر من اقدم التقليدات العربية ان اصل العمالقة من ذرية ارام ولوديم (او لود)

بن مصرائيم فهم من اصلين حامي وسامي ومهما يكن فهم اقدم من عماليق حفيد عيسو . ويقوي هذا ما جاء في سفر العدد (ف ٢٤ ع ٢٠) حيث قيل في بلعام لما استدعاه بالق ملك الموآبيين ليلعن شعب اسرائيل انه « رأى عماليق فضرب مثله وقال اول الشعوب عماليق وعاقبته الى الهلاك » فوصفه عماليق بانه اول الشعوب لا يصدق على العمالقة لو كانوا من ولد اليفاز بن عيسو اذ لا يكون تعاقب عليهم حينئذٍ الا ثلثة او اربعة قرون . وايضاً لو كان هولاء العمالقة من ذرية عيسو لونبهم موسى على تنكيلهم باخوتهم بني اسرائيل ولا أثر لهذا التونيب في اسفار موسى

واما عين مشفاط اي قادش فالاظهر ان موقعها على تخوم بلاد ادوم واطراف بلاد الكنعانيين وانه هناك كان خصام بني اسرائيل لموسى لقلة الماء واخراج موسى الماء لهم من الصخرة الذي سمي ماء الخصومة (سفر العدد ف ٢٠) واسم مشفاط مشعر بشيء من ذلك لان معناه الخصومة او القضاء ويؤيده ما ورد في الفصل المذكور (عد ١٤) وهو ان موسى بعد معجزة اخراج الماء من الصخرة « انفذ رسلاً من قادش الى ملك ادوم » فاذاً قادش هذه كانت في جوار بلاد الادوميين وقال هيرودت (ك ٣ ف ٥) « ان بلاد السوريين الذين يسمون فلسطينيين تمتد من فونيقي الى جبال قادش وما قادش على ما أُري اقل اعتباراً من سرد » مدينة اليونان

واما الاموريون فهم ولد الاموري الرابع من ابناء كنعان وكانت مساكنهم الجبال الواقعة في غربي البحر الميت وكانت لهم مواطن في شرقيه ايضاً وقد اخذ موسى هذه البلاد من ملكيهم سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان كما سيجيء واما مدينتهم حصاصون تامار فيظن انها عين جدي المعروفة الان بهذا الاسم في غربي البحر الميت غير بعيدة عن اريحا وتأويل حصاصون تامار

مدينة النخيل لكثرة اشجاره فيها (كلمت في معجم الكتاب)

واما دان التي وثب فيها ابرهيم وغلمانه على جيش الملوك الاربعة فشتت شملهم واسترد لوطاً وما غنموا من سدوم فوقعها في سفح لبنان الغربي وليست في محل بانياس بل على مقربة منه في محل تل القاضي وصوبا التي استمر ابرهيم يطارد اعداءه اليها موقعها في محل قرية المزة على مقربة من دمشق على ما رأى بوجولا (في مراسلات المشرق) الذي تجول في هذه المحال وتروى في البحث عنها . وغور السديم الذي تصافت فيه عساكر المتحاربين كان قريباً من سدوم وعمورة

عد ١٥٦

في ملكيصادق الذي التقى ابرهيم عند عوده من حرب الملوك

جاء في سفر التكوين (ف ١٤ ع ١٨) ان ملكيصادق ملك شليم خرج للقاء ابرهيم عند عوده من حرب الملوك وقدم خبزاً وخمراً لانه كان كاهناً لله العلي وبارك ابرهيم ودعا له ورفع ابرهيم اليه العشر من كل ماكان معه من المال . وقد توفرت الاقوال في اصل ملكيصادق هذا فروى القديس ايرونيموس ان اليهود يزعمون ان ملكيصادق انما هو سام بن نوح والقديس ابيفانيوس ان السامريين ايضاً يزعمون كذلك وقال ابو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول ان ملكيصادق هو ابن عابر او احد احفاد سام وزعم بعضهم انه من ذرية حام وقال غيرهم انه ابن صيدون بن كنعان والاظهر والاشبه بالصواب ان ملكيصادق من ذرية سام وان عشيرته كانت احدى العشائر القليلة التي استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله على ما رواه لانرمان (في مجلد ٦ صفحة ١٤٥) ولما كان الرسول قال في ملكيصادق (عبرانية فصل ٧ عد ٣) انه لم يذكر له اب ولا ام ولا بدء ايامه ولا منتهى حياته فتوهم بعض القدماء انه ملك او

خليقة سموية مع انه ليس المراد من كلام الرسول الا ان سفر التكوين اتى بذكره بغتة ولم يمهد له بذكر ابيه او نسبه ولم ينبئ بمولده ولا بمماته وقد شبه الرسول المسيح به من حيث الحبرية وفضله عليه بان حبريته تدوم الى الابد (عبرانية فصل ٧) وذكر المرتل ملكيصادق متنبئاً على المسيح بقوله « اقسم الرب ولم يندم انك انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (مزمور ١٠٩ عد ٤) وقال بعض الاباء منهم اكليمنضوس الاسكندري وكبريانوس ان الخبز والخمر لم يقدمهما ملكيصادق لابرهيم بل قدمهما محرقة لله شكراً له على نصره ابرهيم فكانت ذبيحته خبزاً وخمراً كذبيحة المخلص غير الدموية وتأويل ملكيصادق ملك البر ويسمى ملك شليم اي ملك السلام كما فسر الرسول (عبرانية فصل ٧) والاكثرون على ان شليم يراد بها اورشليم وان ملكيصادق كان ملكاً على هذه المدينة وحبراً لله فيها ولكن ظن القديس ايرونيموس ان مدينة ملكيصادق هي مدينة سالم وكان موقعها بجانب نابلس وقال بعضهم انها ساليم التي ورد ذكرها في بشارة يوحنا (فصل ٣ عد ٢٣) حيث قيل « وكان يوحنا يعمد في عين نون بقرب ساليم لكثرة الماء هناك » والمعتمد عليه القول الاول بانها اورشليم

﴿ عد ١٥٧ ﴾

﴿ تجديد الله مواعده لابرهيم وولادة اسماعيل ﴾

شكر ابرهيم لله لنصره على الملوك وسائر الائه فتجلى له الرب في الرؤيا مشجعاً له ومجدداً وعوده فناجاه ابرهيم قائلاً ربي ما تعطيني وانا منصرف عقيماً وقيم بيتي اليعازر الدمشقي هو يرثني فقال له الرب لا يرثك هذا بل يخرج من صلبك من يرثك وتكون ذريتك كعدد نجوم السماء فصنع ابرهيم اذ ذاك بامر الله الخلة الرمزية الدالة على توطيد العهد بين الله وبينه فذبح

بعض الحيوانات وشطرها انصافاً فرأى الرب مجتازاً بين ذبائحه بهيئة غمام ولهيب نار ليدل على تقبله ذبائحه وابرامه العهد معه وكان من عوائدهم في تلك الايام انهم اذا شأوا ابرام عهد ذبحوا ذبائح وشطروها ومر المتعاقدون بينها كانهم يقولون بلسان حالهم فليشطرنا الله كهذه الذبائح اذا لم نقم بوعدنا ونبرّ أيماننا وروى القديس افرام السرياني (في تفسيره سفر التكوين) ان هذه العادة استمرت عند الكلدان حتى ايامه . ثم انذر الله ابرهيم ، بان نسله سيكونون غرباء في ارض ليست لهم (اي في ارض مصر) ويستعبدون لهم ويعذبونهم اربع مئة سنة ، وانه سوف يعاقب معذبيهم ويخرجهم بمال جزيل من بلاد مضطهديهم بعد القرن الرابع ويردهم الى ارض موعدهم

وبعد ان اقام ابرهيم عشر سنين في ارض كنعان ويئست سارة من ان تلد له ولداً سألته ان يتزوج بهاجر المصرية امتها التي يظن انها كانت من جملة هدايا فرعون لابرهيم رغباً في ان يكون له منها وارث ففعل ابرهيم وعلقت هاجر منه فهانت مولاتها في عينيها وشكت سارة امرها الى ابرهيم فقال لها هي امتك اصنعي بها ما يحسن لكِ فاذلتها سارة فهربت من وجهها وظهر لها ملك الرب وقال لها ارجعي الى مولاتكِ واتضعي لها ونبأها بان الابن الذي يولد لها تسميه اسمعيل ويكثر نسله وتكون يده على الكل ويد الكل عليه فعادت الى مولاتها وولدت اسمعيل وكان عمر ابرهيم اذ ذاك ستاً وثمانين سنة وتأويل اسمعيل سمع الله او استجاب

ولما صار ابرهيم ابن تسع وتسعين سنة وكان عمر اسمعيل ثلث عشرة سنة تجلى الله ايضاً لابرهيم ووعده بتكثير نسله واثبت عهده معه وغير اسمه ابرام الذي تأويله اب سام وجعله ابرهيم بدلالة على الجمع فيؤوّل بابي الجماعة او الاب العام وغير اسم ساراي الذي تأويله سيدتي او اميرتي بالاضافة الى

ضمير المتكلم وجعله سارة اي سيدة او اميرة وصرح لابرهيم بانه يعطيه منها ابنًا فضحك وقال في نفسه أ لِابن مئة سنة يولد أم سارة وهي ابنة تسعين سنة تلد وسأل الله ان يحيي له اسمعيل فحقق الله له ان سارة تلد له ابنًا يسميه اسحق وانه يبارك اسمعيل وينميه ويلد اثنى عشر رئيسًا لكنه يقيم عهده مع اسحق لا مع اسمعيل (تك ف ١٥ و ١٦ و ١٧)

﴿ عد ١٥٨ ﴾

في امر الله لابرهيم بالختان

جاء في سفر التكوين (فصل ١٧) ان الله امر ابرهيم ان يختن كل ذكر منهم في اليوم الثامن بعد مولده علامة لعهده بينه وبينهم فاختتن ابرهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وختن ابنه اسمعيل وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من اهل منزله . قال بعضهم كان الختان عند المصريين وغيرهم من الشرقيين قبل ابرهيم وليس من يقيم نكيرًا على اعتياد المصريين الختان قبل عهده وقد عرفه مدة اقامته بين اظهرهم وروى هيرودت (ك ٢ ف ١٠٤) ان الكلشيديين (الذين يعتبر هيرودت اصلهم من مصر) والمصريين والاحباش هم اقدم الناس في استعمال الختان وان الفونيقيين وسريان فلسطين يقرون بانهم اخذوا هذه العادة عن المصريين على ان قوله في اعتياد الفونيقيين الختان غير صحيح اذ جاء في نبوة اشعيا (فصل ٣٢ عد ٣٠) « هناك امراء الشمال كلهم وجميع الصيدونيين الذين هبطوا مع القتلى ... وهم غلف » اي غير مختونين واما قوله في المصريين فثابت بالنقول والاثار قال شباس (في مجلة الاثار القديمة مجلد ٣ صفحة ٢٩٨) انه اكتشف في الكرنك صورة تمثل اولادًا يجري عليهم الختان وعمرهم من ست سنين الى عشر وحقق فيلكنسون (Wilkinson) ان هذه الصورة من عهد الدولة الرابعة في مصر اي نحو سنة

٢٤٠٠ قبل الميلاد ويرجح ان المصريين استعملوا للختان موسى من حجر كما استعملت في عهد موسى ويشوع بن نون (خروج ف ٤ عد ٢٥) ويشوع (ف ٥ عد ٢) ولا موجب حينئذٍ لوضع الحجر موضع آلة الحديد او الفولاذ الا تقليد القدماء وهذا يحملنا على القول بان الختان كان منذ عصر الحجر اي قبل استعمال آلات القطع من نحاس او حديد او فولاذ

ان الله لم يقتصر في وحيه الى الاباء على ما كانوا يجهلون بل ارشدهم احيانًا ان يتخذوا طرائق يعرفونها من قبل ويبارك تلك الطريقة ويجعلها مقدسة فالذبائح مثلاً كانت معروفة من اقدم الايام قبل ان يوحي الى موسى كيفية تقدمتها وطريقة التعميد كانت معروفةً قبل ان يرفعها المخلص الى مقام السر ويؤيده تعميد يوحنا فكذا امر الله ابرهيم بالختان وكان عرفه في مدة اقامته في مصر الا انه كان عند المصريين وغيرهم امرًا صحيًا تقصد به النظافة فجعله الله علامة لميثاقه مع ابرهيم وذريته وعليه فكان عند اليهود مأمورًا ولازمًا وكان عند المصريين وغيرهم اختياريًا ومستحبًا . وكان المصريون يختنون اولادهم في السادسة الى الرابعة عشرة من عمرهم ذكورًا واناثًا واما اليهود فيختنون بحسب امر الله ابناءهم الذكور فقط في اليوم الثامن بعد مولدهم وكانت اكثر قبائل العرب قبل الاسلام ايضًا تستعمل الختان متصلاً اليها من اسمعيل وكان لوط اوصل استعماله الى العمونيين والموآبيين وعيسو الى الادوميين وقد حفظ الاحباش والقبط المسيحون عادة الختان بمنزلة تقليد لا علاقة له بالدين

﴿ عد ١٥٩ ﴾

ظهور الملائكة الثلاثة لابرهيم وسارة وانطلاقهم الى سدوم وتدميرها

انبأنا الكتاب في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر من سفر التكوين انه

بينما كان ابرهيم جالساً بباب خبائه عند بلوط ممرا نظر ثلاثة رجال وقوفاً امامه فبادر للقائهم وسجد لهم والحّ عليهم ان يضيفوه في خبائه فاولم لهم وظهر انهم من ملائكة الله وقالوا انهم سيعودون في السنة المقبلة ولسارة ابن فسمعت سارة وهي في الخباء فضحكت فلامها الملائكة لامترائها في ان الله على كل شئ قدير . وقام الملائكة من هناك واستقبلوا جهة سدوم ومضى ابرهيم معهم ليشيعهم فدخل اثنان منهم سدوم وبقي ابرهيم مع ثالثهم فاعلمه ما يحل بسدوم لتناهي اهلها في الفواحش فطفق ابرهيم يتوسل اليه الا يهلك البار مع الاثيم ولما لم يوجد هناك خمسون باراً ولا خمسة واربعون ولا اربعون ولا ثلاثون ولا عشرون ولا عشرة وكان الملاكان الاخران شهدا فحش اهل سدوم عياناً ولم ينجوا منهم الا بضربهما لهم بالعمى فاخرجا لوطاً وبنتيه وامرأته من سدوم وامطر الرب عليها وعلى ما جاورها من المدن كبريتاً وناراً فدمرها واباد سكانها ونجا لوط وبنتاه بفراره الى مدينة صغيرة سأل الملكين العفو عن تدميرها لانها صغيرة فسميت صوعر او زوعر (اي الصغير او الصغيرة) وكان اسمها قبلاً بالع والتفتت امرأة لوط الى ما ورائها خلافاً لامر الملكين فصارت نصب ملح وصعد لوط من صوعر فاقام في مغارة في الجبل وتوهمت بنتاه ان العالم باد كله بطوفان نارٍ ولم يبقَ فيه رجل الا ابوهما وانه يحل لهما مضاجعة ابيهما حفظاً للنوع وجرياً على ما كان بين ولد آدم ففعلت الكبرى بعد ما اسكرت اباها وضارعتها اختها في فعلتها فحملتا وولدت الكبرى ابناً سمته موآب ومعناه من ابي وهو ابو الموابين وولدت الصغرى ابناً سمته عمون ومعناه ابن شعبي وهو ابو العمونيين

ذهب بعضهم ان مطر الكبريت والنار كوّنه الله في الجوّ بمعجزة وانزله على هذه المدن فاحرقها وذهب غيرهم وهو الاظهر ان ذلك كان انفجاراً

بركانيًا عجل الله فيه حركة القواعل الطبيعية وقواها فكان هذا الانفجار الذي هو معجزة حقة عاقب الله بها اهل هذه المدن الاربع وهي سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم لتناهيهم في الفواحش فاهلكهم ودمّر مدنهم وترى ثمه آثار هذا الانتقام الى الان ويرجح هذا المذهب ما قاله الكتاب (ف ١٩ عد ٢٧) وهو « فبكّر ابرهيم في الغد الى الموضع الذي وقف فيه امام الرب فتطلع الى جهة سدوم وعاموره وسائر ارض البقعة ونظر فاذا دخان الارض صاعد كدخان الاتون » وقد اثبت كثير من العلماء القدماء احراق سدوم وما جاورها منهم استرابون (في ك ١٦ من الجغرافية) وتاشيتوس (في ك ٥ من تاريخه) وقد ضارع كاتب السفر المنزل بوصفه سهول سدوم بالخصب وكثرة السكان وتدمير مدنها بنار من السماء ومنهم ايضًا سولين بوليستر (في ف٣٨ في اليهودية) وبلينيوس (في ك ٣ من التاريخ الطبيعي) ويوسيفوس (في ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود وك ٤ ف ٢٧ من تاريخ حربهم) وغيرهم . واخذ شعراء اليونان عن هذا التاريخ عدة روايات منها الرواية الشهيرة الموسومة برواية أُرفا واوريديس وقد اثبتها كثير من القدماء منهم ديودورس الصقلي (ك ٤ من مكتبته) واوفيد (ك ١٠ و ١١) وفرجيل (في اخر ك ٤ من اشعاره) وغيرهم . ثم رواية الشاعر سيمونيد ورواية فيلامون وبوشيس التي اثبتها اوفيد وملخصها ان المشتري وعطارد تنكرا فبلغا محلاً في جانب بحيرة كانت قبلاً ارضًا مأهولة فقرعا ابوابًا فلم يُؤوِهما احد الى ان لقيا شيخًا اسمه فيلامون وامرأته واسمها بوشيس اكرما مثواهما واصلحا لهما ماكلاً وغسلا ارجلهما واعدّا لهما مرقدًا وبعد ان تعشى الضيفان كشفا للشيخ وزوجه حقيقة حالهما وانهما سيدمران المدينة وما جاورها لفحش سكانها وينجيان مضيفهما وامرأته فقط وان يخرجا من البيت عاجلاً ويتبعاهما الى الجبل فبلغا سفحه فاذا البلاد تغرقت واصبحت بحيرة الا بيتهما

الصغير فتولاهما الغم لهلاك قومهما والمسرة لنجاتهما ولا اشكال ولا مرية ان هذا الكلام منتحل عن الكتاب مغيراً فيه اسم الملكين باسمي المشتري وعطارد واسمي لوط وامرأته باسمي فيلامون وبوشيس (انتهى ملخصاً عن كلمت في معجم الكتاب في كلمة لوط)

قال بعضهم ان سدوم وما جاورها من المدن لم تدمرها النار فقط بل غطى ايضاً ارضها الماء الذي تكونت منه بحيرة لوط وعليه فكان موقعها محل البحيرة الان حتى عيّن بعضهم موقع سدوم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة واسند هذا القول ذووه الى ما جاء في نبوة ارميا (ف ٤٩ عد ١٨ وف ٥٠ عد ٣٨) وهو « كما قلب الله سدوم وعمورة وما جاورهما ... فلا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن البشر » وفي نبوة عاموس (ف ٤ عد ١١) « فقلبتكم كما قلب الله سدوم وعمورة فكنتم كشعلة منتشلة من الحريق » وفي نبوة صفنيا (ف ٢ عد ٦) « ليكونن مواب كسدوم وبنو عمون كعمورة ملكاً للقرّاص وحفرة للملح وخراباً الى الابد » وقال اخرون ان موقع هذه المدن كان على شاطي البحيرة وانه جدد في ما بعد بناؤها ومن جملة ما استشهدوا به لقولهم توقيع ساويروس اسقف سدوم بين تواقيع الاساقفة على المجمع النيقوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥ للميلاد ولا يبعد ان بنيت هناك مدينة حديثة وسميت باسم القديمة وقد تكشف لنا اكتشافات هذا العصر العديدة عن وجه الحقيقة فقد روت بعض الجرائد ان لجنة علمية انكليزية تعنى بهذا الكشف وقال الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٣٥١ في الحاشية) « يظهر من الاكتشافات الحديثة ان بلاد سدوم كانت ممتدة من طرف بحر الميت الجنوبي الى شاطي الاردن الغربي ... والاظهر ان موقع سدوم كان في جانب جبل اسدوم في الجنوب الغربي من البحر الميت ولم تغرق بالماء كما ظن

كثيرون فكانت حيث يرى الان كثير من قطع الملح المتبلور وقد اهتدى لينش الامريكي في هذا المحل الى عمود ملح منفرد فلعله تمثال امرأة لوط الذي ذكره يوسيفوس (كما سيأتي) وباقي المدن كان في سفح الجبل في الغور وصوعر كانت في مصب وادي الصافية او وادي الذراع »

واما قول الكتاب بان امرأة لوط صارت نصب ملح فذهب بعضهم الى ان مفهومه على ظاهره فقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود في ك ١ ف ١١) ان هذا النصب او العمود كان يشاهد هناك الى ايامه وقال كلمت (في تاريخ العهد القديم) حقق بعض القدماء ان امرأة لوط صارت عمود ملح حقيقة لا تؤثر به التغيرات الجوية فاستمر يمثل امرأة وان في كتب بعض الجوالة ان سكان تلك البلاد دلوهم على هذا التمثال عن بعد ولكن ظهر لدى تفحص اقوالهم انها لا تخلو من مناقضات وحكايات . وقال بعضهم ان موسى لم يشأ ان يقول الا امرأة لوط لابطائها في سيرها وتتالي التفاتاتها الى ما ورائها خلافاً لامر الملكين ادركها مطر الكبريت والنار فصارت كموميا مصر موعبة من القار والكبريت وزعم بعضهم ان المراد انه اقيم نصب من حجر ملحي على قبرها وزعم اخرون ان قول الكتاب رمزي يراد به ان امرأة لوط صارت نصب ملح رمزي يصلح فساد الناس عند تبصرهم بما حل بها لمخالفتها

﴿ عد ١٦٠ ﴾

ارتحال ابرهيم الى جرار ومولد اسحق

غادر ابرهيم ممرا في جانب الخليل وانتجع جرار في جنوب غزة وشرقي خان يونس وهي المعروفة الان باسم ام الجرار وكان ملكها حينئذٍ يسمى ابيملك ولقن ابرهيم سارة ان تقول انها اخته كما فعل عند انحدارهما الى مصر وهام ابيملك بها فأخذت الى داره لكن الله ابتلاه بمرض منعه الدنو منها وقيل له في

الحلم انك هالك بسبب المرأة التي اخذتها فانها ذات بعل فاعتذر بجهله انها امرأة واستدعى ابرهيم فلامه على قوله انها اخته فقال ابرهيم « على الحقيقة هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي » وقد مر الكلام في هذا الشان في عد ١٥٤ فطالعه . فاعطى ابيملك ابرهيم غنماً وبقراً وعبيداً واماء وردَّ عليه سارة امرأته وقال لسارة اعطيت اخاك الفاً من الفضة تكون لكِ حجاب عين حيثما ذهبتِ واذكري انكِ أُخذتِ فكأنه يقول لتشتري حجاباً تغطين به وجهكِ حيثما ذهبتِ لئلا تؤخذي مرةً اخرى . وغصب عبيد ابيملك بئر ماء كان احتفرها رعاة ابرهيم فكان لذلك نزاع ادَّى الى معاهدة بين ابيملك وابرهيم واقام ابرهيم سبع نعاج من الغنم وحدها وقال لابيملك هذه سبع نعاج تأخذها من يدي لتكون شهادة لي باني حفرت هذه البئر ولذلك سمي ذلك المكان بئر سبع وما برح هذا اسمه الى الان فهناك حلف ابرهيم وابيملك وفيكول رئيس جيشه ابراماً للعهد بينهم (تك ف ٢٠ و ٢١)

وولدت هناك سارة لابرهيم ابناً سمته اسحق وهو لفظ عبراني معناه ضحك يشار به الى ضحك سارة عندما بُشِّرت بانها تلد ابناً في شيخوختها وكان ابرهيم ابن مئة سنة وسارة بنت تسعين سنة حين ولد لهما اسحق وخُتن اسحق في اليوم الثامن من مولده بحسب امر الرب لابيه قال يوسيفوس (ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود) « ما برحت عادة الختان في اليوم الثامن يجري عليها اليهود على ان العرب لا يختنون ابناءهم الا في الثالثة عشرة من عمرهم تمسكاً بان اسمعيل جدهم لم يُختن الا في هذا العمر » وصنع ابرهيم مأدبة عظيمة في يوم فطام اسحق قال كلمت في تاريخ العهد القديم قال بعض اليهود القدماء لم يكن الاطفال يفطمون في ذلك العصر الا للسنة الثانية عشرة بعد مولدهم وقال اخرون بل كانوا يفطمون في الخامسة من عمرهم والذي اراه انهم لم يكونوا

يرضعونهم الا سنتين او ثلثاً فاننا نرى ام المكابيين تقول لاحد ابنائها (مكابيين ٢ ف ٧ عد ٢٧) « قد ارضعتك ثلث سنين » وأفتى فقهاء اليهود بانه يلزم الام ان ترضع ولدها سنتين . ولا يتيسر ارضاع ولدين او ثلثة معاً اذا ولدت الام اولاداً في خمس سنين او اكثر

﴿ عد ١٦١ ﴾

خروج اسمعيل من بيت ابيه ابرهيم وزواجه وولده

كانت سارة تحب اسمعيل قبل ان تلد اسحق ولكن بعد ان ولدته خشيت ان يزاحم اخاه في ميراث ابيهما ورأته ذات يوم ساخراً فقالت لابرهيم اطرد هذه الامة وابنها من بيتك فساء سؤالها ابرهيم ونكده فقال الله له كل ما تقوله لك سارة فاسمع لقولها ولا يسؤك امر اسمعيل وامتك فانه سيكون من اسمعيل امة لانه نسلك فدفع ابرهيم في الغداة خبزاً وقربة ماء الى هاجر فمضت مع ابنها تائهة في برية بئر سبع ونفد الماء من القربة وكادا يموتان عطشاً فهدى ملك الله هاجر الى بئر ماء فملأت القربة وسقته فشب اسمعيل في برية فاران وكان رامياً بالقوس واتخذت له امه امرأة من ارض مصر لان هاجر مصرية وقد وهبها فرعون لسارة عند انحدارها مع ابرهيم الى مصر كما مر . وعن ابن خلدون في تاريخه « ان اسمعيل شبّ بين قبيلة جرهم وتعلم اللغة العربية منهم واعجبهم وزوجوه امرأة منهم وماتت امه هاجر فدفنها في الحجر » ولعل امرأته الجرهمية غير المصرية التي ازوجته بها امه كما قال الكتاب . وروى ابن الاثير في الكامل وابو الفدا وغيرهما زواج اسمعيل بامرأة من بني جرهم وقالوا ان الماء الذي اهتدت اليه هاجر انما هو بئر زمزم نبعت من دحض اسمعيل الارض بقدميه وقال ابن خلدون عن السدي ان جبرائيل هو الذي همز له الماء بعقبه . ومما قالوه ان ابرهيم كان يزور اسمعيل وانه وجد له امرأة

فظة غليظة فاوصاها لاسمعيل بان يحول عتبة بابه واراد به ان يطلقها فطلقها وتزوج اخرى ولما زاره ابوه في غيبته احسنت تحيته ومثواه فاوصاها ان تقول لاسمعيل بانه رضي عتبة بابه ففهم منه انه يريد امساكها فامسكها (ابن خلدون في تاريخه) وان الله امره ببناء الكعبة وهي البيت الحرام وان يعينه اسمعيل عليه وان هذا البيت استمر على ما بناه ابرهيم الى ان هدمته قريش بعيد ظهور الاسلام (ملخص عن ابي الفدا في التاريخ)

وذكر الكتاب اسماء بني اسمعيل (تك ف ٢٥ عد ١٣) فقال « نبايوت بكر اسمعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة . . . اثنا عشر زعيماً لقبائلهم » وولد له بنت اسمها بسمة تزوجها عيسو ابن عمها اسحق (تك ف ٣٦ عد ٣) والذي ذكره ابن الاثير في الكامل ان السيدة بنت مضاض الجرهمي « ولدت لاسمعيل اثنى عشر رجلاً نابت وقيدار وازيل وميشا ومسمع ودما وماش وآزر وقطورا وفاقس وطميا وقيدمان ومن نابت وقيدار ابني اسمعيل نشر الله العرب » اي العرب المستعربة واكثرهم على ان اسمعيل هو جد هذه الطبقة من العرب قال ابو الفدا (في تاريخه) « وقيل لهم العرب المستعربة لان اسمعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية ثم دخل في العربية فلذلك سمى ولده العرب المستعربة » واختلط هولاء بالعرب العاربة الذين هم من ذرية يقطان او قحطان بن عابر ابن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح

عد ١٦٢

امتحان ابرهيم بذبح ابنه اسحق

لم ينبئنا الكتاب شيئاً عن ابرهيم بعد مولد اسحق الى امتحان الله له بذبحه وكان عمر اسحق اذ ذاك خمساً وعشرين سنة على ما روى يوسيفوس (في

تاريخ اليهود ك ١ ف ١٣) وقال بعضهم كان عمره اكثر من ذلك وقد مكث ابرهيم في كل هذه المدة في جرار وبرية بئر سبع خلافاً لمن زعموا ان ابرهيم كان قد عاد الى حبرون عند امتحانه بذبح ابنه تمسكاً بآية الكتاب (تك ف ١ عد ٣٤) . ونزل ابرهيم ارض فلسطين اياماً كثيرة . مع ان بئر سبع وما جاورها من ارض فلسطين ايضاً ومضيه لذبح ابنه من جرار لا من حبرون ظاهر من قول الكتاب انه لم يبلغ جبل موريه الذي هو في اورشليم الا في اليوم الثالث بعد سفره ولو كان مضى من حبرون التي هي الخليل لبلغ في يوم واحد ولا اكثر من يومين ويظهر ذلك ايضاً من قول الكتاب (تك ف ٢٢ ع ١٩) . ثم رجع ابرهيم الى غلاميه (من جبل موريه) فقاموا ومضوا معاً الى بئر سبع واقام ابرهيم ببئر سبع . فاذاً من بئر سبع بكّر ابرهيم واكف حماره واخذ معه غلامين واسحق ومضى الى الموضع الذي اشار له الله اليه وهو ارض موريه وفي اليوم الثالث رفع ابرهيم طرفه فابصر الموضع من بعيد وترك الخادمين مع الحمار في سفح الجبل واخذ اسحق وجعل حطب المحرقة عليه فقال له اسحق هذه النار والحطب فاين الحمل للمحرقة فقال له الله يرى له الحمل لها ولما افضيا الى الموضع المعين بنى ابرهيم المذبح ونضد الحطب واوثق اسحق والقاه على المذبح واخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب ان لا تمدد يدك الى الغلام ورفع طرفه فاذا بكبش وراءه معتقل بقرنيه فاخذه واصعده محرقة بدل ابنه ونادى ملاك الرب ابرهيم ثانيةً قائلاً بنفسي اقسمت يقول الرب بما انك لم تذخر ابنك وحيدك لاباركنّك واكثرنّ نسلك كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطي البحر ويتبارك بنسلك جميع امم الارض ورجع ابرهيم الى بئر سبع كما مر . واما جبل موريه فقال بعضهم هو المحل الذي بني فيه بعدُ هيكل سليمان وقال آخرون هو جبل الجلجلة وزعم السامريون انه جبل غريزيم حيث

بني بعدُ هيكلهم

عد ١٦٣

في موت سارة ودفنها في المغارة المضاعفة

عاد ابرهيم من بلاد جرار فاقام في حبرون (الخليل) حيث كان اولاً وادركت المنية سارة وعمرها مئة وسبع وعشرون سنة قبل زواج اسحق ابنها فاقبل ابرهيم يبكيها وسأل بني حث وهم فصيلة من الحثيين كما مر ان يملكوه ارض قبر ليدفنها ويتبين منه انه استمر الى يومئذٍ من الرحل لا يملك ارضاً فاجابوه انما انت زعيم الله في ما بيننا في خيار قبورنا ادفن ميتك فقال اسألوا لي عفرون بن صوحر ان يعطيني مغارة المكفيلة (المضاعفة من كَفِل او كِبِل العبرانية بمعنى ضاعف) التي له في طرف حقله بثمن كامل وكان عفرون جالساً بين القوم فقال لابرهيم الحقل قد وهبته لك والمغارة التي فيه ايضاً هبةً لك مني على مشهد بني قومي فتبصر ما اقدم هذه المجاملات في بلادنا وما برحت تجري فيه فان عفرون ذكر بعدًا ان ارضه تساوي اربع مئة مثقال فضة فوزن له ابرهيم الفضة التي ذكرها مما هو رائج بين التجار فصار هذا الحقل ملكاً لابرهيم دفن فيه امرأته سارة في المغارة المضاعفة ودُفن بعدها هناك ابرهيم واسحق ولية ويعقوب بعد نقل جثته من مصر واما راحيل فدفنت على مقربة من بيت لحم ورفقة لم يذكر الكتاب مدفنها ولكن روى يوسيفوس (ك ١ ف ١٩) انها ايضاً دُفنت في هذه المغارة

روى الاب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٨٦) ان موقع المغارة المضاعفة معروف بعينه فهي في جامع الخليل المعروف بجامع ابرهيم ويحدق به سور رفيع من ابدع اثار فلسطين وقد حمل على العجب جميع الجوالة الاوربيين من سائح بردو الذي طاف هذه البلاد

سنة ٣٣٣ للميلاد الى العالِم دي فوكوا الذي تعهدها منذ بضع سنين وقد سمح الباب العالي للامير دي غال ولي عهد انكلترا سنة ١٨٦١ ان يزور هذا المقام لكنه رأى مدخل المغارة ولم يدخلها . ثم اجاز ذلك للمركيز دي بوت الانكليزي سنة ١٨٦٦ ولوليّ عهد المانيا فريدريك الثاني سنة ١٨٦٩ فلم يتمكنا من ان يطرفانا بنبأ مهم عن داخل المغارة . على ان بياروتيّ المهندس الايطالي احد مستخدمي الدولة العلية وفّق لان يدخل جامع ابرهيم ثلث مرات في ٨ ت ٢ سنة ١٨٥٦ ثم في ٧ ك ٢ و ٢٥ آب سنة ١٨٥٩ على ان ما اتحفنا به قليل الاهمية منه اكتشافه ان المغارة مضاعفة حقيقة لانقسامها الى طبقتين عليا وسفلى ومنه رؤيته بعض المدافن عن بعدٍ . بيد انه قد تلي في جمعية الكتابات القديمة في ٢٦ ك ٢ سنة ١٨٨٣ خطاب حوى فقرة تاريخية من كتاب مجهول مؤلفه وقد خط في القرن الثاني عشر اذ كان الصليبيون في فلسطين وملخص تلك الفقرة ان راهباً اسمه ارنول كان يسكن دير حبرون اهتدى في سنة ١١٢٠ الى عظام الآباء في المغارة المضاعفة اذ امره رئيسه ان يبحث في ارضها فبحث فوجد اولاً عظام يعقوب ثم وجد في القرب من موضع رأسه مغارة اخرى لقي فيها بقايا ابرهيم واسحق ولدن كشفه هذا الكنز اسرع يبشر الرئيس واخوانه به فشملهم السرور واقاموا الصلوة والشكر لله واقفل الرئيس باب المغارة كيلا يدخلها احد دون اذنه وبعد ان اتم الاب فيكورو رواية هذه الفقرة قال لو بينت لنا هذه الشهادة بمَ عرف الراهب ارنول ان العظام التي وجدها هي بقايا اولئك الاباء لحسبناها قاطعة فترك هذا البيان يجعل الشهادة قاصرة مشكوكاً فيها ولاسيما ان الكتاب اثبت ان جثة يعقوب حنطت تحنيط المصريين موتاهم فلمَ لم يجد ارنول الا عظامه وبمَ عرفها

وهل يراد بالاربع مئة المثقال من الفضة التي دفعها ابرهيم فضة مسكوكة

او وزن منها ففي ذلك نظر فعادة وزن الفضة جرى عليها الكلدان والكنعانيون وكلمة شقال العبرانية المستعملة في هذه الآية معناها الوزن ويراد بها احياناً نوع من المسكوكات ولا نجد اسم المثقال في التوراة قبل هذه الآية وقد عبر الكتاب عما دفعه ابيملك الى سارة بالف من الفضة دون ذكر المثقال ومهما يكُ من الامر فلا نجد في الكتاب ذكراً للنقود المسكوكة الا بعد السبي البابلي واول من بدأ بسك الدراهم عند اليهود انما هو سمعان المكابي وكان عند المصريين في عهد ابرهيم خواتم من ذهب وفضة ترى صورها على اثارهم وكانت متساوية وزناً فيتعاملون بها تعاملنا بالنقود ولا يعلم ما كانت قيمة الفضة حينئذٍ في فلسطين فلا يعلم قدر ما دفعه ابرهيم الى عفرون ولكن اذا عُدّل ان المثقال كان يساوي فرنكين واربعة وثمانين سنتيماً كما كان في ايام المخلص كان الثمن الذي دفعه ابرهيم الف ومائة وستة وثلاثين فرنكاً (ملخص عن كتاب فيكورو في المحل الانف الذكر)

عد ١٦٤

زواج اسحق

لما طعن ابرهيم في سنه استدعى اليعازر الدمشقي قيّم بيته وقال له ان ضع يدك تحت فخذي وهذه اشارة لليمين استعملها ابرهيم ويعقوب حفيده مراداً بالفخذ فيها على ما فسر الحجري الولادة والحياة فكأن الحالف يقول اعدمني الله الحياة ان لم ابرّ في يميني واستحلف ابرهيم اليعازر ان لا يزوج ابنه اسحق ببنت من الكنعانيين بل يذهب الى ما بين النهرين ويختار له زوجة من عشيرته وحذّره من ان يرد ابنه الى هناك فاخذ اليعازر عشرة جمال من جمال مولاه وحلياً وهدايا وبلغ حاران مساءً واناخ الجمال عند بئر الماء وصلى الى الله ان يجعل الفتاة التي يسألها ان تسقيه وتقول له اشرب وانا اسقي جمالك ايضاً

تكون من اعدها الله زوجة لعبده اسحق وقبل فراغه من صلاته وفدت رفقة بنت بتوئيل بن ناحور اخي ابرهيم فسألها ان تسقيه فاسرعت وانزلت جرتها على يدها وسقته وقالت استقي لجمالك ايضاً فتيقن انها من اعدّها الرب امرأة لابن مولاه واخذ خرصاً من ذهب وزنه نصف مثقال وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب فدفع ذلك اليها ويستدل من هذا على قدم عادة التحلي بالخرص والسوار وهل كان الخرص يعلق بالانف او الاذنين فالظاهر انه كان حلية للانف وتلك عادة قديمة حظفها العرب وغيرهم من الشرقيين الى الان ودليله صغر الخرص وكونه فرداً ولو كان للاذنين لكان زوجاً ووزنه اكثر من نصف مثقال ويؤكده قول الكتاب بعد ذلك « جعلت الخرص في انفها » (تك ف ٢٤ ع ٤٧) واسرعت رفقة فاخبرت اخاها لابان واتى الى البئر يدعو اليعازر للضيافة فاتى ولم يشأ ان يذوق طعاماً قبل ان يصرح بمقصده فقضوا سؤاله وارتضت رفقة ان تمضي معه في اليوم التالي فسار بها تصحبها جواريها وكان اسحق يوم وصلوا خرج الى الصحراء فرأى الجمال مقبلة ورفعت رفقة طرفها واذ عرفت انه اسحق نزلت عن الجمل واخذت النقاب فاستترت به وهذا دليل على قدم العادة في استتار النساء في المشرق ولاسيما عند اللقاء بمن يخطبهنّ فادخلها اسحق خباء سارة امه وصارت له زوجة فاحبها وتعزى بها عن امه (تك ف ٢٤)

﴿ عد ١٦٥ ﴾

زواج ابرهيم بقطورة وولده منها وموته

قال الكتاب (تك ف ٢٥ ع ١) « عاد ابرهيم فاخذ زوجةً اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحاً » قال علماء اليهود ليست قطورة الا هاجر نفسها استردها ابرهيم بعد وفاة سارة . وظن بعضهم ان

قطورة كنعانية اصلاً وقال ابن خلدون انها بنت يقطان من الكنعانيين وروى عن السهيلي انه كان لابرهيم اولاد اخرون خمسة من امرأة اسمها حجين او حجون بنت اهيب وان الطبري سمى هذه المرأة الاخرى رعوة وفي قولهم هذا نظر ولا أراهُ يضاد الكتاب بل في الكتاب اشارة اليه بقوله (عد ٥) « واعطى ابرهيم جميع ماله لاسحق ولبني السراري التي لابرهيم وهب ابرهيم هبات وصرفهم عن اسحق ابنه في حياته شرقًا الى ارض المشرق» ومن الغريب ان يتزوج ابرهيم بقطورة وعمره مائة واربعون سنة وان يولد له ستة اولاد . فقال بعضهم منهم القديس اغوسطينوس (في ك ٣ ردًا على يوليانوس) ان الله حفظ فيه قوته على كبر سنه تكثيرًا لنسله وقال آخرون انه تزوج بقطورة قبل وفاة سارة فكانت سرية جعلها امرأة بيته بعد موت سارة وفي الاية الانف ذكرها اشارة الى هذا. وقال كلمت ان الاصل العبراني يحتمل ان يترجم « وكان ابرهيم اخذ زوجة اسمها قطورة » الى آخر الاية

وكان ابناء ابرهيم اصولاً لبطون وفصائل من العرب ومن مدان ومدين المدينيون الذين كانت مواطنهم في شرقي البحر الميت وجنوبي بلاد مواب وكانت عاصمة بلادهم تسمى مدين ايضًا وهم الذين ضربهم موسى واثخن في ارضهم وقتل فنحاس بامره ملوكهم الخمسة وسبى نساءهم واطفالهم عقاباً لاغراء بناتهم بني اسرائيل بالفحشاء وعبادة بعل فغور كما في سفر العدد (ف ٢٢ و ٢٥ و ٣١) وهم الذين كسرهم هدد بن بدد ملك ادوم كما جاء في سفر التكوين (ف ٣٦ عد ٣٥) وقد ضايقوا بني اسرائيل في عهد القضاة فكسرهم جدعون وبدد شملهم (قضاة ف ٦ و ٧) وكان مدينيون آخرون يسكنون فى الجانب الشرقي على البحر الاحمر والى بلادهم فرَّ موسى من وجه فرعون وتزوج منهم بصفورة بنت يترو كاهن مدين الذي يسميه المؤرخون العرب شعيبًا ولاهل العلم في

اصل هولاء قولان فمن قائل ان اصل كل المدينيين واحد وهو مدين بن ابرهيم من قطورة وبه قال كثير من المؤرخين العرب منهم ابن الاثير في الكامل حيث روى عند ذكر اولاد ابرهيم ان « اهل مدين قوم شعيب من ولد مدين » وهو الظاهر من كلام العلامة لانرمان (في كلامه على بني اسرائيل) اذ جعل المدينيين قبيلة واحدة مواطنها بين البحر الميت وخليج البحر الاحمر ومن قائل ان اصل المدينيين سكان شواطي البحر الاحمر من ولد كوش بن حام وقد استدل بان الكتاب وصف (سفر العدد ف ١٢ ع ١) صفورة امرأة موسى المدينية بكوشية او حبشية ويظهر من قول حبقوق النبي (ف ٣ ع ٧) « رأيت اخبية كوش تحت البلاء وشقق ارض مدين رجفت » ان اسمي كوش ومدين مترادفان ولا اقل من ان بلاد احدهما تتاخم بلاد الاخر وقد ذكر المؤرخون العرب هذا الخلاف منهم ابو الفدا حيث قال في تاريخه « وقد اختلف في نسب شعيب (حمي موسى المديني) فقيل انه من ولد ابرهيم الخليل وقيل من ولد بعض الذين امنوا بابرهيم » وكذا في الكامل لابن الاثير عند ذكره شعيب . وقد توفى الله ابرهيم وله من العمر مئة وخمس وسبعون سنة ودفنه ابناه اسحق واسمعيل في المغارة المضاعفة للسنة الخامسة او السادسة بعد ان ولد اسحق عيسو ويعقوب . (تك ف ٢٥ ع ٧)

الفصل الثاني

(في اسحق وابنيه يعقوب وعيسو)

عد ١٦٦

في اسحق

ذكرنا في تاريخ اسحق خبر مولده وزواجه وجل ما بقي من اخباره انه تزوج وعمره اربعون سنة واستمر تسع عشرة سنة لم يرزق ولدًا فصلى واستجاب الرب سؤله فحملت رفقة امرأته فولدت توأمين فخرج الاول اكلف اللون كله كفروة شعر فسموه عيسو ثم خرج اخوه ويده قابضة على عقب عيسو فدعي يعقوب اي المعقب (وهو من يجيء بعقب الاخر) واحب اسحق عيسو واحبت رفقة يعقوب وكان عيسو صيادًا ويعقوب رجلاً سليماً مقيماً بالخيام فطبخ يعقوب عدساً واتى عيسو من الصحراء وهو قد اعيا فرغب الى اخيه ان يطعمه من طبخه فابى الا ان يبيعه بكريته فحلف له على بيعه اياها منه فاكل واستخفّ بالبكرية . وحدث جوع غير الذي كان في ايام ابرهيم فمضى اسحق الى جرار وكان ملكها اسمه ابيملك والاظهر انه غير ابيملك الذي كان في ايام ابيه على ما في معجم الكتاب لفيكورو (في كلمة ابيملك) وسأله اهل الموضع عن رفقة فقال هي اختي خشية ان يقتلوه شغفًا بجمالها كما قال ابوه عن سارة امه وبالمعنى نفسه اي انها من ادنى اقربائه اليه واطلع ابيملك على انها امرأته فعتبه على مواراته الحقيقة . وزرع اسحق في تلك الارض فاصاب في تلك السنة مئة ضعف وهذه اول آية في الكتاب انبأتنا بان ابناء ابرهيم باشروا الزراعة . وعظم شأن اسحق وتوفرت ثروته فحسده اهل جرار واخذوا يردمون الابار

التي حُفرت في ايام ابيه او حفرها رعاة ماشيته فقال ابيملك لاسحق اخرج من عندنا لانك اصبحت اقوى منا جدًا فمضى واقام في وادٍ في اطراف جرار ثم شخص الى بئر سبع فتجلى له الرب مجددًا وعده بتكثير نسله فذهب اليه ابيملك وبعض حاشيته راغبًا في محالفته فاولم لهم اسحق وحلف كل منهما لصاحبه واخبره عبيده انهم وجدوا ماء ، فدعاها الشبع ولذلك اسم المدينة بئر سبع الى اليوم ، وقد مر (في عد ١٦٠ اعتمادًا على ما في التكوين ف ٢١ ع ٣١) ان هذا المكان دُعي بئر سبع نسبة الى النعاج السبع التي اقامها ابرهيم توثيقًا لعهده مع ابيملك فلا خلاف بين الآيتين فيظهر ان اهل جرار كانوا قد ردموا بئر سبع كما ردموا غيرها من الآبار فحفرها عبيد اسحق ثانية وسماها الشبع فلكلمة سبع او شبع في لغتهم معنيان السبعة اسم العدد والشبع فسميت البئر في ايام ابرهيم بئر سبع نسبة الى النعاج السبع وسميت في ايام اسحق بئر سبع اي بئر الشبع من الماء حيث بنيت مدينة سميت بهذا الاسم كما قال موسى (تك ف ٢٦ ع ٣٣)

ولما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر رغب الى ابنه عيسو ان يأتيه بشيء من صيده ويصطحله له طعامًا ليأكل منه ويباركه فعرفت رفقة فاصلحت له ما يحب من الوان المأكل وقدمته له مع يعقوب بعد ان كست يديه وملاسة عنقه بجلد المعز وقال لابيه انه ابنه عيسو فخُدع اسحق بملمسه فنال يعقوب بالمكر بركة ابيه ولما اتى عيسو احتدم غيظًا على اخيه لمخادعته اباه وسبق يعقوب له الى بركته . قد توفرت اقوال الاباء ومفسري الكتاب في ما اذا كان أثم عيسو ببيع بكريته واثم يعقوب بمشتراها وبقوله لابيه انه عيسو بكره الى سائر ما صنعه لينال البركة التي كان اسحق وعد عيسو بها واظهر الاقوال في هذه المباحث ان عيسو أثم بشراهته واستخفافه ببكريته ولم يأثم يعقوب بمشترها

لانهما توأمان فلهما الحق سويًا لا سيما لانه لا بد ان اعلمته رفقة امه بما قال لها ملاك الرب وهي حبلى « ان في جوفك امتين ومن احشائك يتفرع شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ف ٢٥ ع ٢٣) ومفاده ان حق التقدم والبكرية له بامر الله فلا حرج عليه ان توسل الى حقه بطريقة ظاهرة وهي الشراء واما قوله لابيه انه عيسو بكره فلا يبرأ من الكذب لكنه عرضي لعدم مضرته باخيه فهو الاولى ببركة ابيه بحسب تدبير الله ويظهر ان اسحق كان موقنًا بذلك فلم يباركه بعد انجلاء الحقيقة له بركة يعقوب مع لجاجته في التماسها بل اثبت البركة ليعقوب وبهذا المعنى قال الرسول (رومة ف ٩ ع ١١) « فانه قبل ان يولد الولدان ويعملا خيرًا او شرًا . . . قيل لها (لرفقة) ان الكبير يستعبد للصغير كما كتب اني احببت يعقوب وابغضت عيسو » (ملخص عن معجم اللاهوت لبرجيا وعن تفسير الحجري لسفر التكوين)

فحقد عيسو على يعقوب واضمر في نفسه قتله وعرفت رفقة بما كنه فاستدعت يعقوب واوعزت اليه ان يهرب الى لابان اخيها خاله في حاران وزينته الى اسحق بان قالت له « قد سئمت حياتي من اجل ابنتي حث (اللتين تزوج بهما عيسو) فان تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين او من بنات سائر هذه الارض فما لي والحياة » فاستدعى اسحق يعقوب وباركه واوصاه ان لا يأخذ امرأة من بنات كنعان بل ان يمضي الى حاران ويتزوج بامرأة من بنات خاله لابان فمضى يعقوب الى حاران هربًا من وجه اخيه ورغبًا في ان يتزوج بامرأة من بنات خاله واما عيسو فلما رأى ان زواجه بامرأتين حثيتين ينكد والديه مضى الى اسمعيل عمه في بلاد العرب فتزوج بنته محله (كذا في التكوين ف ٢٨ ع ٩ لكنها سميت بسمه في ف ٣٦ ع ٣ ولعله كان لها اسمان) واما اسحق فاستمر حيًا الى ان عاد يعقوب من حاران بعد ان اقام ثمة عشرين سنة

وتوفاه الله وله من العمر مائة وثمانون سنة ودفنه عيسو ويعقوب ابناه في مدفن ابيه ابرهيم في المغارة المضاعفة

﴿ عد ١٦٧ ﴾

ارتحال يعقوب الى حاران وزواجه فيها وولده

قد قص الكتاب اخبار رحلة يعقوب الى حاران في الفصل الثامن والعشرين من سفر التكوين الى الفصل السادس والثلاثين منه فكان ملخصها . خرج يعقوب من بئر سبع وبات في موضع قفر فرأى حلماً كان سلماً منتصبة على الارض وراسها الى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها والرب في اعلاها يعده بكثرة النسل وبتمليكه وذريته تلك الارض وبرده اليها غانماً موفقاً فاستيقظ يعقوب مرتعشاً وقال ما هذا الأَ بيت الله واخذ الحجر الذي كان وضعه تحت راسه واقامه نصباً وسمى ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله وهو المحل المعروف الان ببيت ابن في شمالي البيري (طالع عد ١٥٣) قريباً من رام الله وسار يعقوب الى ان بلغ البئر التي منها تسقي ماشية حاران فسأل الرعاة هل يعرفون لابان او سالم هو فقالوا هو سالم وهذه راحيل ابنته آتية مع غنم ابيها وكان على فم البئر حجر عظيم يجتمع الرعاة لدحرجته فلما اقبلت راحيل دحرج يعقوب الحجر وسقى غنم خاله واخبر راحيل انه ابن عمتها رفقة فاسرعت واخبرت اباها فاتى للقائه وعانقه ومضى به الى منزله واحب يعقوب راحيل وخدم اباها سبع سنين يرعى ماشيته الى ان زف اليه لية اختها الكبرى خدعة بحجة ان العادة في بلادهم ان لا تزوج الصغرى قبل الكبرى ووهب لابان زلفة امته امة لية ابنته ثم خدمه سبع سنين اخرى براحيل فازوجه اياها ووهبها بلهة امته امة لها . ثم خدمه ست سنين ليستوفي اجرته واتفقا ان يعزل من الضان والمعز كل ارقط وابلق وادهس ويسلم الى بني لابان مفروزاً وان تستمر

بقية الغنم والمعز يرعاها يعقوب وما كان من نتاجها ارقط او ابلق او ادهس كان اجرة له وما كان من النتاج ابيض او اسود فهو للابان فاخذ يعقوب عصي لُبنى رطبة ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاء وجعلها تجاه الغنم في مساقي الماء فكانت توحم الضان والمعز على العصي المقشرة فتلد بهاماً مخططة ورقطاء وبلقاء وكان يضع ذلك في الربيع ويتركه في الخريف ليكون قسم من النتاج له وقسم لخاله وقد حقق الاباء اللاتينيون وكثير من العلماء ان الوسيلة التي استعملها يعقوب لا شيء من المعجزة فيها بل هي امر طبيعي اثبته العلماء بذكر اختبارات عديدة فان انثى كل نوع من الحيوان اذا تأثرت بشيء عند الوحام ظهر له غالباً اثر في صغارها . ولا حرج على يعقوب بهذه الحيلة لاستيفاء اجرته بالعدل ولا سيما لانه يظهر ان الله الهمه هذه الوسيلة

فولدت لية ليعقوب راؤبين وقالت نظر الرب الى مذلتي انه الان يحبني بعلي فتأويل الكلمة العبرانية راى البنين مركبة من رأ بمعنى راى ومن بن بمعنى ابن ثم ولدت له شمعون وقالت سمع الرب دعائي فشمعون بمعنى سمعني ثم ولدت لاوي وقالت هذه المرة ينعطف اليَّ زوجي لاني ولدت له ثلاثة بنين فتأويل الكلمة المنعطف او الملتوي ثم ولدت يهوذا وقالت هذه المرة احمد الرب فالكلمة معناها احمد الله مركبة من يه بمعنى الله ويدا او جدا بمعنى مدح او حمد وولدت له بلهة امة راحيل داناً وقالت راحيل قد حكم الله لي وسمع صوتي فدان بمعنى الديان او الحاكم . ثم ولدت بلهة نفتالي وقالت راحيل قد صارعت اختي وغلبت فالكلمة بمعنى المصارع او المحارب وولدت له زلفة امة لية جاداً وقالت لية بجدى فتأويل الكلمة الجد او الجودة والحظ وولدت زلفة ايضاً اشير وقالت لية تغبطني النساء فتأويل الكلمة السعيد او المغبوط وولدت لية ابناً خامساً ليعقوب سمته يساكر وقالت اعطاني الله اجري لاني اعطيت امتي

لرجلي فالكلمة بمعنى الاجر وولدت له ايضاً ابناً سادساً وسمته زبولون وقالت امهرني الله مهراً حسناً فالان يساكنني بعلي اذ ولدت له ستة بنين فزبد بالعبرانية بمعنى وهب وامهر وزبل بمعنى سكن وولدت لية ابنة سمتها دينة وذكر الله راحيل وفتح رحمها فولدت ابناً سمته يوسف وقالت يزيدني الرب ابناً آخر فاسف واوسف العبرانية كالسريانية بمعنى زاد فسمته به تفاؤلاً ليزيدها الرب ابناً آخر كما قالت وولدت راحيل عند موتها ابناً آخر ليعقوب سمته ابن المي لانها ماتت بعيد ولادته وسماه ابوه بنيامين اي ابن يميني كناية عن المحبة له فابناء يعقوب اثنا عشر رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ولدتهم له لية ويوسف وبنيامين ولدتهما راحيل ودان ونفتالي ولدتهما بلهة امة راحيل وجاد واشير ولدتهما زلفة امة لية (اخذنا تفسير الكلمات عن ذيل معجم الكتاب لكلمت)

وقد ايسر يعقوب جداً وصارت له غنم كثيرة واماء وعبيد وجمال وحمير وداخل الحسد بني لابان وقالوا انه انشأ ثروته من مالهم ورأى يعقوب تغير وجه خاله عليه فقام بقومه وماشيته وعبر نهر الفرات واستقبل جبل جلعاد (جبل السلط) ولم يعلم لابان مزايلته ارض حاران الا في اليوم الثالث فمضى باخوته يتعقبه سبعة ايام حتى ادركه في جبل جلعاد فعتبه لهربه خفية ومخاتلته له بان لا يدعه يودّع بنتيه ولسرقته الهته وكانت راحيل قد سرقت اصنام ابيها اما لاعتقادها بها قوة ما واما لتستغني بها عن مهرها اذ يظهر ان هذه الاصنام كانت من ذهب ونرى لية وراحيل تقولان ليعقوب « هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت ابينا » ولم يكن يعقوب يعلم سرقة راحيل فاعتذر لخاله بانه خشي ان يغتصب بنتيه منه ويمنعه العود الى ابيه وانكر السرقة وسأله ان يبحث عن هذه الاصنام في اخيتهم ومن وجدت معه فلا يحيا ففتش في كل اخيتهم فلم

يجدها لان راحيل كانت اخذتها وجعلتها في رحل الجمل وجلست فوقها فونبه يعقوب على اتهامه له ولبنتيه بالسرقة ويظهر من ذلك ان ابناء تارح واحفاده استمروا يعبدون الاوثان او يجمعون بين عبادة الله والاوثان ثم تسالما وقطعا عهدًا بينهما وجمعا مع ذويهما حجارة وجعلوها كومة واكلوا فوقها طعامًا وسماها لابان يجوسهدوتا اي كومة الشهادة وسماها يعقوب جلعاد والمعنى واحد وانصرف لابان عائدًا الى مكانه وسار يعقوب في طريقه

واوفد يعقوب رسلاً الى اخيه عيسو في جبل سعير وافرز له هدية مئتي عنز وعشرين تيسًا ومئتي نعجة وعشرين كبشًا وثلاثين ناقة مرضعًا مع اولادها واربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين اتانًا وعشرة جحاش ودفعها الى عبيده ليتقدموه بها الى اخيه آملاً ان يسترضيه عن نفسه وآله وعرف عيسو قدوم اخيه فهبَّ للقائه ومعه اربعمائة رجل ولما رآه يعقوب خاف وتقدم نساءه واولاده وسجد الى الارض سبع مرات حتى دنا من اخيه فالتقاه عيسو وعانقه وبكيا وتقدمت اسرة يعقوب فسجدت لعيسو فعمت المسرة جميعهم وابى عيسو قبول هدية اخيه تلطفاً فالحَّ يعقوب عليه فقبلها ورجع عيسو في طريقه الى سعير واتى يعقوب بعد ذلك الى شليم مدينة اهل شكيم (نابلس) وابتاع قطعة حقل بمئة نعجة فضرب ثمه خباءه . وكان قبل لقاء عيسو ان ظهر ملاك الرب ليعقوب فامسكه وصارعه ليباركه فمس حق وركه فصار يظلع منه وسماه الملاك لذلك اسرائيل فالكلمة مركبة من إسر بمعنى ضبط او ربط ومن ايل وهو لفظ الجلالة فالمعنى من امسك او صارع ملاك الله وقال الكتاب (تك فصل ٣٢ عد ٣٢) ، ولذلك لا ياكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي مع حق الورك الى هذا اليوم لانه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا .

﴿ عد ١٦٨ ﴾

في مقتل شمعون ولاوي ابني يعقوب اهل شكيم وتتمة اخبار رحلة يعقوب

خرجت دنية بنت يعقوب لتنظر بنات شكيم فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس البلد فاخذها واذلها وتعلقت نفسه بها وسأل اباه ان يأخذها له زوجة فخرج حمور الى يعقوب يقول ابني علقت نفسه بابنتكم فصاهرونا واعطونا بناتكم وخذوا بناتنا وهذه الارض بين ايديكم اقيموا بها واتجروا وتملكوا وما تقترحوه عليَّ اودِه لكم اكثروا عليَّ المهر فاعطيكم كما ترسمون لي واعطوني الفتاة زوجة لابني فقال بنو يعقوب لا نستطيع ان نعطي اختنا لرجل اغلف فنوافقكم بان يختن كل ذكر منكم فنعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم فحسن كلامهم عند حمور وشكيم ابنه وسمع لهما اهل المدينة واختتن كل ذكر منهم وبينما هم متألمون في اليوم الثالث اخذ شمعون ولاوي كل منهما سيفه ولا بد ان يكون صحبهما بعض خدمهما ودخلا المدينة آمنين فقتلا حمور وشكيم ابنه وكل ذكر في المدينة ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا كل ما في المدينة من اجل تدنيس اختهم فساء ذلك يعقوب وقال لشمعون ولاوي قد اشقيتماني واخبثتما ريحي عند اهل هذه الارض وانا في نفر معدود فيجتمعون علينا ويقتلوننا فقالا أكزانية يتخذ اختنا. واكثر الاباء والمفسرين على ان بني يعقوب اقترفوا بذلك اثماً كبيراً وزعم بعض علماء اليهود ان دينة تزوجت بايوب بعد ذلك ولا مستمسك لهم بهذا ولا دليل عليه فلا يعتد به

فقام يعقوب من شكيم واقام في بيت ايل (بيت اين) وهو المحل الذي بات فيه عند مضيه الى حاران حيث رأى السلم فبنى ثمه مذبحاً ثم ارتحلوا من بيت ايل وبينما هم على نحو ميل من افراتا (بيت لحم) وقد دنا وقت ولاد

راحيل فعسر ولادها حتى ماتت بعيد ان ولدت بنيامين فدفنت في طريق بيت لحم ونصب يعقوب نصبًا على قبرها وقال الكتاب « هو نصب قبر راحيل الى اليوم » قال العالِم كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٢٢٥) اجمعت تقليدات اليهود والمسلمين والنصارى على ان مدفن راحيل هو المحل المعروف الان بقبر راحيل على الطريق بين اورشليم وبيت لحم واثبت ذلك بشهادة كثير من المؤلفين من القرن الرابع بعد الميلاد الى هذه الاعصر وان كان البناء القائم الان هناك حديثًا . وقدم يعقوب من هناك على اسحق ابيه في ممرا بجانب حبرون وهي الخليل فسر به اسحق وبابنائه وباركهم واستمر معهم حيًا مدةً بعد عود يعقوب اليه واما رفقة فروى يوسيفوس (ك ١ ف ١٩ من تاريخ اليهود) انها ماتت قبل ان عاد يعقوب الى فلسطين ولم يذكر سفر التكوين موتها وقد ذكر المؤرخون الوثنيون تاريخ يعقوب كما رووا تاريخ ابرهيم وغيره من مشاهير العهد القديم ومنهم ديمتريوس على ما روى اوسابيوس (في كتابه الموسوم بالاستعداد الانجيلي ك ٩ ف ٢١) ورأى كثير من علماء هذا العصر ان رواية لاميدون التي انشأها اوميروس في اشعاره منتحلة عن قصة يعقوب ولابان وقال بعضهم ان اسمي لابان ولاميدون بمعنى واحد وهو اللبن او مادة البناء وان اسمي هيزيون بنت لاميدون وراحيل بنت لابان بمعنى واحد وهو النعجة

﴿ عد ١٦٩ ﴾

في عيسو وولده

قد مر ان عيسو تزوج بثلث نساء يهوديت او عادة بنت ايلون الحثي واهليبامه بنت عانة بنت صبعون الحوي (الحثي) وبسمه او محله بنت عمه اسمعيل واختلاف الرواية في اسماء بعض هولاء النساء وبعض ابائهن يخرّج

الى انه من غلط النساخ او انه كان لكل من هولاء اسمان فولدت عادة لاسمعيل اليفاز وبسمة رعوائيل واهليامه يعوش ويعلام وقورح وكان عيسو اقام اولاً في جبل سعير وبعد عود يعقوب اخيه ارتحل منه الى فلسطين مجاورًا لاخيه ولكن لما اصبحت مواشيهما اكثر من ان يقيما معًا فعاد عيسو الى جبل سعير وهو في الجنوب الشرقي من البحر الميت ممتدًا نحو البحر الاحمر وسمي هذا الجبل بهذا الاسم نسبة الى سعير الحوري الذي كان يسكنه قبل عيسو وتسمى هذه البلاد ادوم وظن اكثر القدماء انها انما سميت بذلك نسبة الى ادوم وهو عيسو ولكن اثبت بعض علماء هذا العصر ومنهم لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي ك ٩ في العرب ف ٣) ان اسم ادوم وادوميين اقدم من عهد عيسو وان عيسو نفسه سمي ادوم لسكناه في ادوم بين الادوميين واستمسك بان بعض البابيرات المصرية منذ عصر الدولة الثانية عشرة ورد فيها ذكر بلاد ادوم قبل عيسو بقرون ومهما يكن من هذا فقد توطن عيسو وذريته هذه البلاد وتقووا على الحوريين سكانها قبلهم وكان منهم ملوك فيها كما كان قبلهم ملوك متعددون من الحوريين قال فيهم الكتاب (تك ف ٣٦ عد ٣١) « وهولاء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل ان يملك ملك في بني اسرائيل » فتذرع الجاحدون بهذه الاية ليندوا بالكتاب قائلين كيف امكن موسى ان يكتب هذه الاية ولم يكن ملك في اسرائيل الا بعد قرون وقد فند العلماء والمفسرون الكاثوليكيون زعمهم بطريقتين فقال بعضهم ومنهم الحجري في تفسير هذه الاية ان هذه الكلمات ادخلها كاتب متأخر العهد على كلام موسى فلا يعاب كتاب بدخول كلمة شرح عليه وقال اخرون منهم الاب فيكورو (في الموجز الكتابي ع ٢٥٩) لا يستغرب ان يكتب موسى الكلمات الانفة الذكر فهو كتب في الفصل السابق من التكوين (ف ٣٥ ع ١١) ان

الله قال ليعقوب « انا الله القدير انمِ واكثر امة وجماعة امم تكون منك وملوك من صلبك يخرجون » فاي الغرابة ان يقول موسى بعد ذلك انه كان في ادوم ملوك قبل ان يملك ملك في اسرائيل كما وعد الله يعقوب بان يكون ملوك من صلبه

لم يذكر الكتاب وفاة عيسو ولكن جاء في كتاب قديم جدًا موسوم بوصية الاباء الاثني عشر ان عيسو اتى لمحاربة اخيه يعقوب فقتل في الحرب ودفن في جبل سعير وقد ذكر الكتاب (تك ف ٣٦) اسماء الملوك او الولاة الذين تولوا بلاد ادوم من الحوريين وبني عيسو فقال جاحدو الوحي ان عدد هولاء الملوك وافر يتصل الى ايام سليمان فلا يمكن ان يكون موسى كتبه والصحيح الظاهر ان زمان هولاء الملوك لا يتجاوز زمان الخروج ولا تزيد مدتهم على المدة التي من ايام يعقوب الى ان كتب موسى وهي نحو من خمسة قرون وذكر اسم هدد بن بدد بينهم مع انه كان ملك يسمى بهذا الاسم في ايام سليمان لا يثبت شيئًا فما اكثر اسماء الملوك المترادفة في كل عصر وعند كل القبائل (فيكورو في الوجيز الكتابي ع ٢٥٩)

الفصل الثالث

(في يوسف)

عد ١٧٠

في محبة يعقوب ليوسف وحسد اخوته له وما كان منه

قد احب يعقوب يوسف على اخوته لحسن منظره وسجاياه ولتذكره به راحيل امه التي قضت في غض صباها والبسه قميصًا موشى ملونًا وكان الساميون

يلبسون اولادهم خاصة اثواباً ملونة ويرى على مدافن بني حسن في مصر صور اناس تردوا باردية تنوعت الوانها فاوغر ذلك صدور اخوته وزادهم ايغاراً رؤيته احلاماً منبئة بسؤدده عليهم وقصه لها على ابيه واخوته كحلمه كأنه واخوته يشدون حزماً فانتصبت حزمته وسجدت لها حزمهم وكأن الشمس والقمر واحد عشر كوكباً ساجدة له فزجره ابوه قائلاً اترانا نجيء انا وامك واخوتك فنسجد لك واضمر ليوسف اخوته السوء وارسله ابوه يفتقدهم وهم يرعون ماشيتهم في ناحية شكيم (نابلس) وكانوا ارتحلوا الى دوتائين فصادفه رجل هداه الى منتجعهم فلما رأوه مقبلاً ائتمروا على اهلاكه فعارضهم رأوبين اكبرهم وصرف افكارهم الى طرحه في بئر لا ماء فيها لكي يخلصه من ايديهم ويرده الى ابيه ونزعوا عنه قميصه الموشى والقوه في بير جافة في دوتائين وكان يظن قبلاً ان دوتائين في جنوبي صفد وفي شمالي بحيرة طبرية حيث خان يسمى خان جب يوسف على ان روبينسون كشف عن موقع دوتائين وهو في المحل المعروف الان بتل دوتان في الطريق المؤدية من دمشق الى مصر في الجنوب الغربي من جنين وفي شمالي السامرة على بعد اثنى عشر ميلاً على ما حقق كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٢٠) وفيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٨) ودوتائين معناه البئران او الابار وهناك آبار عديدة وبينما كان يوسف يتوقع الهلاك جوعاً اذا بقافلة من الاسمعيليين مقبلة نازلة الى مصر فحمل يهوذا اخوته ان يبيعوا يوسف لهولاء التجار الذين سماهم الكتاب (تك ف ٣٧) تارة اسمعيليين وطوراً مدينيين فقال بعضهم ان القافلة كانت من الشعبين وقال غيرهم ان الاسمعيليين كانوا يسكنون بلاد مدين فسماهم الكتاب مدينيين نسبة الى البلاد واسمعيليين نسبة الى الاصل فاصعد يوسف اخوته من البئر وباعوه بثمن بخس بعشرين من الفضة واخذوا قميصه وغمسوه في دم تيس

وبعثوا به الى ابيه قائلين أقميص ابنك هو ام لا فاثبته وقال وحش ضارٍ افترس يوسف وظل يبكيه وقد ابى ان يتعزى فاخذ التجار يوسف الى مصر اذ لم يكونوا يتجرون بالبلسان واللاذن فقط بل بالرقيق ايضاً والاثار الدالة على هذه التجارة في مصر من اقدم الايام كثيرة فيشاهد على ابنيتهم كثير من صور الارقاء بيضاً وسوداً وجاء ذكرهم مكرراً في الخطوط القديمة وخاصةً في عهدة الصلح بين رعمسيس والحثيين حيث نص انه اذا ابقَ رقيق من مصر الى سورية لزم رده على مولاه (طالع عد ٦٦) وقد اطال واجاد الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٣ وما يليها) في بيان احتياج المصريين الى النكعة وهي نوع من الطيب يؤخذ من زهر نبات يسمى نكعة والبلسان واللاذن وغيرها من الطيوب واستجلابهم لها من بلاد العرب في طريق سورية مثبتاً ذلك بكثير من آثارهم وخطوطهم وروى صديقنا الاب روار الاراسي معلم اللغة العبرانية في كلية ليل (في مقالته مصر في عهد يوسف) ان العالم ابار اكتشف في ادفو اثراً يظهر منه دخول النكعة والبلسان في تركيب نوع من البخور سماه المصريون كوفني

عد ١٧١

بيع يوسف لفوطيفار ومراودة امرأته له وسجنه

قال الكتاب (تك ف ٣٧ ع ٣٦) ان يوسف « باعه المدينيون في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط » كثيراً ما ورد اسم فوطيفار في الاثار المصرية فقد سمي به كثيرون وقد كتب في العلامات الهيروكليفية باطيفرا وتأويله المكرس للشمس او المختص بالشمس معبودهم وسماه المؤرخون العرب العزيز ويثبت وصف الكتاب له بخصي فرعون كثرة ذكر الخصيان في الاثار المصرية وتشاهد صورهم على مدافن مقبرة بني حسن مدلولاً عليهم بخلو

اذقانهم من الشعر واتساع صدورهم وبلون بشرتهم الترابي وقد اثبت كثير من آثار الكلدان ايضاً وجود الخصيان في قصور ملوكهم على ان لفظة الخصي لم تبقَ دالة على ما وضعت له حقيقة فان فوطيفار كان متزوجاً بل صارت وصفاً لمن كانت له مرتبة رفيعة عند الملوك وقد اعتاد الملوك في كل عصر وبلاد ان يمنحوا رجالاً القاب شرف لا يعملون شيئاً مما تشير اليه كاسطبل عامرة على ان بعض الجوالة في المشرق اثبتوا ان بعض الخصيان في هذه الايام يتخذون نساء وروى مثل ذلك بعض المؤرخين القدماء عن الخصيان في ايامهم ولنا بينة على ذلك في رواية الاخوين الآتي ذكرها التي وجدت مكتوبة في بابير منذ عهد موسى فان بيتو احد الاخوين كان خصياً ووهبه الاله نوم امرأة كل هذا يفند مزاعم جاحدي صحة الوحي الذين قالوا ان كان فوطيفار خصياً فكيف كانت له امرأة ووصف فوطيفار برئيس الشرط وقد بينت آثار مصر كثرة القاب عمال ملوكها والمقربين اليهم ومنها ما جاء في الكتاب عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين وصفا بخصيين ايضاً (تك ف ٤٠ عد ٢) وتشاهد صور ملوكهم محفوفة بالحرس وكبراء العمال

ونال يوسف حظوة في عيني مولاه واقامه على بيته وجميع ما كان له جعله في يده ولم يكن يعرف معه شيئاً الا الخبز الذي كان يأكله (تك ف ٣٩ ع ٤ و ٦) ولنا في الآثار المصرية صور تمثل من كان كيوسف قيم بيت مولاه وبيده عصا او صفيحة يكتب عليها وعلى اذنه قلم ومن ذلك الصور التي على مدفن في المحل المعروف بكوم الاحمر وفي مقبرة بني حسن وذكر الكتاب قيماً لبيت يوسف بعد ان استوزره فرعون وتسمي هذه الآثار بعض هولاء مربا اي رئيس البيت فكذا كان يوسف في بيت مولاه وكان حسن الهيئة جميل المنظر فطمحت عين مولاته اليه وراودته عن نفسها فابى اتقاء لله وتحصناً من الخيانة لمولاه

واتفق ان دخل البيت ولم يكن فيه احد من اهله فامسكت بثوبه فترك رداءه بيدها وفرَّ هاربًا الى الخارج فاتهمته بانه راودها عن نفسها وشكته الى مولاه فاستشاط غضبًا واودعه السجن . زعم بعض الجاحدين لصحة الوحي ان قصة يوسف هذه ليست الا رواية وهمية سندًا الى ان النساء المصريات كنَّ متحجبات محصنات لا يخالطنَ من الرجال الا الخصيان فجأت الاكتشافات الحديثة مبطلة دعواهم مبينة غرورهم اذ لم تكن نساء مصر في تلك الايام متحجبات كنساء المسلمين في ايامنا بل كنَّ يخرجنَ سافرات الوجوه ويشهدنَ الملاعب والملاهي قائمات بين الرجال ويستقبلنهم في بيوتهم بل كانت المرأة سيدة المنزل حتى كان لهنَّ من الحرية اكثر مما لنساء الافرنج في هذا العصر وقد شهدت لذلك آثار تشذُّ عن العدّ فانك ترى صورهنَّ على كثير من الآثار سافرات الوجوه شاهدات المحافل والاجتماعات مزدانات بالحلى والمطارف الثمينة وقد روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٥) ان المصريات كنَّ يقمنَ في الحوانيت متعاطيات التجارة والكسب ويظل رجالهنَّ في البيوت يحيكون الانسجة ونرى بعض الصور تمثل النساء ايضاً حايكات وبعضها يمثلهنَّ صارفات حيناً متطاولاً في زينتهنَّ وقد شهدت النصوص والآثار والصور والتقليد بما كان من الخلاعة والتهتك في مصر ومثلت بعض الصور نساء بعض اشراف القوم في حالة السكر وعلى جدار مدينة ابو ما يأنف القلم ان يخط الاشارة اليه

وقد اكتُشف في صدر هذا القرن بابير خُطَّت عليه رواية موسومة برواية الاخوين كتبها كاتب يسمى إنانا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على عهد منفتاح فرعون الخروج ابن رعمسيس الثاني لتكون فكاهة لولي العهد وهذا البابير هو الذي كان يطالعه هذا الامير نفسه وقد اشترته اولاً السيدة دي اوربيناي من ايطاليا وبعد وفاتها اشترته سنة ١٨٥٧ ادارة المتحف البريطاني ونشرت

مثالاً له سنة ١٨٦٨ وكان العالم دي روجه اول من عني بترجمته فكان ما حواه اشبه بما كان ليوسف مع امرأة فوطيفار بل يظهر ان هذه الرواية منتحلة عن تاريخ يوسف وقد اثبتها الاب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٣ ومايليها) واثبت ملخصها الاب روار صديقنا الآنف الذكر في مقالته (مصر في عهد يوسف) وعنه نلخص فحواها «كان اخوان يسمى اكبرهما انابو واصغرهما باتو عائشين باعظم ائتلاف في بيت واحد وكان انابو متزوجاً وباتو لا امرأة له ويعاون اخاه في الحراثة وشغل الحقل فاتى باتو ذات يوم الى البيت يلتمس بذراً ليزرعه فانتهزت امرأة اخيه فرصة غياب زوجها فراودته عن نفسه دون حياء فوبّخها وفرّ من بين يديها وعاد الى اخيه في الحقل ولم يفه ببنت شفة عن قحة امرأة اخيه اما هي فلما عاد زوجها من الحقل تمارضت وتظاهرت بالغضب وشكت باتو بانه راودها عن نفسها فحنق اخوه واستل سيفاً وازمع ان يفتك بباتو فعنى الاله الشمس بنجاة البري وانطق بقرة فنبهته للفرار من اخيه وفصل بين الاخوين بنهر موعب بالتماسيح وما بقي من الرواية مبين ما كان من حسن المجازاة لباتو البري حتى جعله الملك ولياً لعهده وعهد اليه تدبير المملكة وملك مصر عشرين سنة وبعد وفاته خلفه اخوه الاكبر» وجاء في الكتاب (تك فصل ٣٩ ع ٤٠) ان يوسف «رزق حظوة في عيني رئيس الحصن» فيظهر ان السجن كان في حصن وانه كان في هذا الحصن محل اقامة فوطيفار اذ جاء في الكتاب (فصل ٤٠ ع ٣) عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين ان فرعون «جعلهما في حبس بيت رئيس الشرط في الحصن حيث كان يوسف مسجوناً» وقد وصف فوطيفار قبلاً برئيس الشرط «فجعل رئيس الحصن في يد يوسف جمع السجناء» وكان ان رئيس السقاة ورئيس الخبازين اجرما الى فرعون فسخط عليهما والقاهما في السجن وكان

يوسف يهتم بهما فرأيا كلاهما حلماً في ليلة واحدة وقلقا اذ لم يكن من يعبر لكل حلمه فسألهما يوسف ان يقصّا عليه حلميهما فقال رئيس السقاة رايت كان جفنة كرم بين يدي فيها ثلاثة قضبان افرعت ونضجت عناقيدها فاخذت العنب وعصرته في كاس فرعون وناولته فقال له يوسف هذا تعبيره القضبان الثلاثة هي ثلاثة ايام فبعدها يردك فرعون الى منزلتك وتناوله الكأس كالعادة . فاذكرني عند فرعون . وقال رئيس الخبازين رايت كأن ثلاث سلال حوارّى (دقيق ابيض) على رأسي وفي العليا منها جميع طعام فرعون مما يصنعه الخباز والطير تاكله من السلة فقال يوسف هذا تعبير حلمك الثلاث السلال هي ثلاثة ايام بعدها ينزع فرعون راسك فتاكل الطير لحمانك وكان في اليوم الثالث يوم مولد فرعون فردّ رئيس السقاة الى سقايته وامات رئيس الخبازين على حسب تعبير يوسف (تك فصل ٤٠)

وقد جأت الاثار المصرية معاونة على بيان صحة كلام الكتاب بياناً علمياً فقد كثر فيها ذكر الحصون التي كانت مقاماً لروساء الجند ومخفراً للسجناء وقرأ إبار الكلمة المصرية الدالة على الحصن بيتاسوحار اي بيت الحصن وهي في النص العبراني بِت حص سوحر فتأمل بهذه المقاربة . ثم ليس من يجهل اعتبار الاحلام عند المصريين واجلال معبريها وقد جعلت العناية الربانية احلام رئيس السقاة ورئيس الخبازين ثم فرعون نبوية لتكون ذريعة لرفعة يوسف ونجاة مصر واهله من المجاعة ومما جاء في الاثار المصرية عن الاحلام ما خُطَّ على جدار الكرنك وهو ان تمثال الاله فتاح ظهر في الحلم لمنفتاح وانتصب امامه يمنعه ان يتقدم بعساكره الى ما كان امامه فامتنع وان فرعون نوات مايامون رأى حلماً سنة ارتقائه الى عرش مصر والحبشة معاً كأن حيتين قامت احداهما عن يمينه والاخرى عن يساره وعبّر الكهنة له حلمه بانه يملك على مصر والحبشة

وقد خُط هذا الحلم وتعبيره على الصفيحة المعروفة بصفيحة الحلم التي ذكرها مسبرو وقد جاء في كثير من البابيرات ذكر الاحلام وتعبيرها وبما يتذرع للحصول عليها ولتعبيرها ومن شاء زيادة بيان فعليه بمراجعة ما كتبه الاب فيكودو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٥٨ وما يليها)

زعم بعض الملحدين تنديدًا بالكتاب انه لم يكن في مصر جفن الكرم واستمسكوا باحد اقوال هيرودت (ك ٢ فصل ٧٧) « انه لم يكن كرم في مصر » ويقول بلوترخوس ان المصريين كانوا يأنفون من شرب الخمر وقالوا ان جفن الكرم لم تغرس في مصر الا في عهد الدولة السادسة والعشرين فيها والصحيح ان جفن الكرم كانت عديدة في مصر منذ اقدم اعصارها وصورها على مدافن الاهرام ومقبرة بني حسن ناطقة بتكذيب الملحدين وقد روى ويلكنسون (في كتابه في قدماء مصر) نقلاً عن الآثار المصرية طريقة غرس الكرم واستثماره وعصر العنب في المعاصر وتصفية العصير في الآنية بعد اختماره وقال الاب روار في مقالته (مصر في عهد يوسف) « قد ساعدني الحظ في سفري عن قرب الى مصر ان اكون من اول الداخلين الى المدفن الذي كُشف عنه من امد قريب في دير البحارى وهو بلا مراء اقدم من عهد الدولة السادسة عشرة (التي كان فيها يوسف) وكنت اظنني في وسط كرم حقيقة فجدر المدفن وسقفه مغطات بجفن الكرم مزدانة بورقها وثمارها » وقال الاب فيكودو (في المحل السالف ذكره) انما الصحيح ان المصريين لم يشربوا الخمر في كل عصر فقط بل كانوا ايضًا يقدمونه لالهتهم فقد جاء في البابير المعروف بهاريس ذكر كثير من تقادم الخمر لهياكل الالهة وان رعمسيس الثالث (احد ملوك الدولة العشرين) « قدم الف وثلث مئة وسبعة وسبعين اناء من الخمر ... وانه وهب هيكل طيبة (تاب) خبة خمر » اي كرمًا ولم يكن المصريون يكتفون

بخمر مصر بل كانوا يستجلبون انواعاً منه من سورية وغيرها وكان مشتهراً عندهم خمر عون وهي بلدة في غربي حلب وفي متاحف اوربا كثير من الآنية التي كان خمر مصر يوضع فيها ويزيد هذا اثباتاً الصورة الممثلة كوباً من الخمر مقدمة للالهة او سكارى وهذه الصور عديدة ومنها صورة وجدت في طيبة ترى فيها صور رجال متماسكين بحبل ربط في شجرة يدوسون العنب في المعصرة باقدامهم وهم حفاة مترنمون واما قول هيرودت الذي استمسكوا به فلا عبرة له لاسيما لانه مخالف لكثير من اقوال هيرودت نفسه حيث نص ان المصريين كانوا يشربون الخمر في بعض الاعياد والحفلات اكثر مما يشربونه في سائر الايام وان ابن البنّا الذي سرق بيت مال الملك اسكر الحراس بالخمر وانه كان لكل من جنود الحرس الملكي اربعة اقداح خمر في كل يوم وكل ذلك ظاهر في كتبه ومثله في كلام بلوترخوس وقد صرح ديودر الصقلي واسترابون وبلين بما يخالف قول هيرودت الاول فقد صدق الكتاب وكذب الملحدون

﴿ عد ١٧٢ ﴾

في تعبير يوسف حلم فرعون واستيزار الملك له

قال الكتاب (تك فصل ٤١) «وكان بعد مضي سنتين من الزمان» الذي عبّر فيه يوسف حلمي السجينين معه ان رأى فرعون حلماً كأنه واقف على شاطي النهر اي النيل فاذا بسبع بقرات صاعدة منه وهي حسان وسمان وارتعت في المرج وكأن سبع بقرات أُخر صاعدة وراءها من النهر وهي قباح وعجاف فاكلت البقرات القباح العجاف السبع البقرات الحسان السمان وقد كان عدد البقرات السبع عند المصريين من الرموز الدينية فانهم كانوا يعتقدون ان للثور المتأله المعروف عندهم باوسيريس سبع بقرات بمنزلة سبع زوجات له واستيقظ فرعون ثم نام فحلم كأن سبع سنابل قد نبتت في ساق واحدة وهي سمان جياد

وكأن سبع سنابل دقاق قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها فابتلعت السنابل الدقاق السبع السنابل السمينة الممتلئة وما برحت الريح الشرقية تثور في مصر الى الان وهي المعروفة عندهم بالخمسين فتلفح الزروع وازعج الحلمان فرعون فاستدعى جميع سحرة مصر وجميع حكمائها قال الاب فيكورو (في المحل الانف ذكره صفحة ١١٤) يحق لنا ان نقول ان آية الكتاب هذه مترجمة من المصرية الى العبرانية فقد ورد مثلها في صفيحة رعمسيس الثاني حيث كُتب ان امير بقطان بعد ان رأى حلماً « انزعجت نفسه واستدعى جميع السحرة » ولم يكن بين سحرة فرعون من يعبر له حلمه فتذكر رئيس السقاة يوسف وقص على فرعون ما جرى له وتعبير يوسف حلمه وحلم رئيس الخبازين فدعا فرعون يوسف فاحتلق وابدل ثيابه روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٦) ان من عادات المصريين المخصوصة بهم ان يحلقوا شعورهم الا في مدة الحداد وقد اثبتت آثار مصر مقال ابي التاريخ فترى اكثر الصور فيها محتلقة الذقن والراس بعكس ما كان يصنع العبرانيون من اطلاق لحاهم حتى كان الجلح نفسه عاراً عندهم كما يظهر من تعيير صبيان بيت ايل لاليشاع اذ قالوا له اصعد يا اجلح اصعد يا اجلح (ملوك ٤ ع ٢٣) ولما دخل يوسف على فرعون قص عليه حلمه فقال له يوسف ان الله مكاشف فرعون بما هو صانعه السبع البقرات الجياد هي سبع سنين والسبع السنابل الحسان هي سبع سنين فالحلم واحد ومثلها السبع البقرات الدقاق والسبع السنابل الفارغة ستأتيكم سبع سنين فيها شبع عظيم في جميع ارض مصر وتأتيكم بعدها سبع سنين جوع ينسى الشبع الذي كان فلينظر فرعون رجلاً فهيماً حكيماً يقيمه على ارض مصر يختزن الخمس من برّ سني الخصب ذخيرة لسبع سني الجوع

« فحسن كلام يوسف عند فرعون وقال له بعد ما عرفك الله هذا كله

فليس فهيم حكيم مثلك انت تكون على بيتي والى كلمتك ينقاد كل شعبي ولا اكون اعظم منك الا بالعرش . انظر قد اقمتك على جميع ارض مصر » ان الآثار المصرية مفعمة بمثل هذه العبارات الدالة على ترقية الفراعنة من راموا اعزازه الى المناصب الرفيعة وعلى مواهبهم له ومن هـذه الآثار ما نقش على مدفن احمس بن ابانا امير البحارة وقد مرَّ لنا ذكره في ع ٩٨ وقد اكتشفت صفيحة هي الان في متحف تورين في ايطاليا وللرجل المحكى عنه فيها مناقب وصفات اشبه بما كان عليه يوسف فيسمى باكا وتأويله الرقيق او المسبي ويقال فيها انه احسن اتمام فروضه لاهله ولم يذكرهم لانهم كانوا غرباء في مصر وان فرعون اعزه وغمره بآلائه واهمل الكاتب ذكر اسم الملك كانه لانه من الملوك الرعاة الذين يبغضهم المصريون وان فرعون جعله قيماً على مخازن البر العامة او المختصة بالحكومة ولم يؤتَ في الصحيفة بذكر احد معبودات مصر خلافاً لما جاء في غيرها من الآثار وقد تليت ترجمة هذه الصفيحة في مجلس عقدته جمعية الآثار القديمة الكتابية في لندرة سنة ١٨٧٧ وقيل حينئذٍ ما احرى هـذه الصفيحة ان تكون وضعت على مدفن يوسف ثم ان الاية « والى كلمتك ينقاد كل شعبي » اذا ترجمت بحرفها كانت « كل شعبي يقبل فمك » قال العالم شباس (في كتاب مباحثه في الدولة التاسعة عشرة) ان هذه العبـارة مصرية محضة فمن اسمى المراتب عند المصريين مرتبة الفم الاعلى وقد اعلمنا بها اثر للدولة الثامنة عشرة اذاعه العالم بروغش مع غيره من الآثار تبين منه ان تانونا احد كبار عمال مصر عهد اليه فرعون بتدبير المملكة فلقب « الفم الاعلى في البلاد كلها » فكان المراد الآمر الاعلى وكذا لما اراد فرعون آخر ان يشرك في ملكـه رعمسيس الثالث رقاه هذه المرتبة الفم الاعلى في البلاد كلها

ثم قال الكتاب « ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف »

واعلمتنا الآثار المصرية ان كل مصري وجيه كان له خاتم يختم به وقد اكتُشف كثير من هذه الخواتم في المدافن وترى منها في متحف اللوفر في بريس عددًا عديدًا والبس فرعون يوسف ثياب بزٍ وهي الكتان وفي آثارهم وفي كتب بعض القدماء منهم هيرودت (ك ٢ فصل ٨١) ان كهنة المصريين كان متحتمًا عليهم ان تكون ملابسهم من الكتان النقي دلالة على نقاوتهم وترى المومیا عندهم ملتفة بنسيج من كتان وامر موسى ان لا يستعمل في خباء المحضر الا الكتان واتبعت الكنيسة هذا التقليد وامرت الا يستعمل على المذابح سواه . ثم جعل فرعون في عنق يوسف طوقًا من ذهب . وترى في آثار مصر صور عظمائها ووجهائها وفي عنق كل منهم قلادة او طوق وقد وجد كثير من هذه العقود في المدافن المصرية . واركب فرعون يوسف مركبته الثانية للدلالة على انه الثاني بعد الملك ونادوا امامه اركعوا وفي العبرانية ابرك وقال الحجري (في تفسير هذه الاية) ان هذه الكلمة مصرية لا عبرانية فان المنادي مصري ينادي المصريين بلغتهم قائلاً ابرك اي اجثوا . وقال فيكورو (في المحل السالف ذكره) ان كلمة ابرك التي حفظت في سفر التكوين مصرية وقد ترجمت من في كثير من الترجمات القديمة بمعنى احنوا ركبكم اي اركعوا وصحيح ترجمتها الحرفية احنوا رؤسكم كما قال كثيرون وقال آخرون ان ابرك تأويلها رئيس الحكماء . وسمى فرعون يوسف مخلص العالم وفي العبرانية سفنت بعنه وقال القديس ايرونيموس ان الكلمة مصرية لا عبرانية اذ لا وجه للملك المصري ان يلقب يوسف بلقب عبراني لا مصري وتأويله مخلص العالم وقال اهل العلم في الآثار المصرية ان الكلمة تأويلها مقيت العالم او مخلص الحياة . وزوج فرعون يوسف اسنات بنت فوطيفار كاهن اون وتأويل اسنات في المصرية مقر الآلهة نات وفوطيفار ابوها غير فوطيفار مولى يوسف لان هذا كان رئيس كهنة

وذاك رئيس شرط ومدينة اون هي التي سميت بعد ذلك هليوبوليس اي مدينة الشمس وتعرف الان بالمطرية ولا يخفى ما كان لكهنة مصر من نفوذ الكلمة والسطوة في بلادهم وعليه فكان تزويج يوسف بابنة رئيس كهنة من جملة الآلآء التي عظم بها فرعون قدر يوسف ومن المطابقة بين كلام موسى في يوسف والاثار المصرية التي اكتفينا اختصاراً بايراد بعضها يتبين بطلان مزاعم الجاحدين بان تاريخ يوسف رواية وهمية او انه كتب بعد موسى او في غير مصر

قال شمبوليون فاتح الكنوز الهيروكليفية ان اعلم علماء اليونان مجمعون على ان فرعون الذي استوزر يوسف انما هو ابوفيس او ابابي احد الملوك الرعاة وان ذلك كان للسنة السابعة عشرة من ملكه وقد اطلنا الكلام في هذا الشان في ع ٩٤ من مقالة الحثيين وافردنا الفصل الثامن من هذه المقالة للكلام في الملوك الرعاة . قال العالم مسبرو (في كتابه تاريخ المشرق) كثر المهاجرون من سورية الى مصر في عهد الملوك الرعاة لانهم سوريون اصلاً فكان المهاجرون يجدون في مصر قوماً من طينتهم لم ينسوا ذكر اصلهم ولغتهم وكثيراً ما فتحت قصور مصر في تلك الاعصر لعمال سوريين وكانت كل حرب او مجاعة في سورية تحمل افراداً بل جاليات وعشائر برمتها على المهاجرة الى مصر فيتلقاهم الملوك الرعاة وحواشيهم بالمعزة والترحاب ولا يخلو استيزار ابابي ليوسف من ان يشف عن شيء من هذا القبيل فلما كان فرعون هذا اجنبياً لم يكن ليأنف من سيادة اجنبي في مصر كما لو كان مصرياً اصلاً

﴿ عد ١٧٣ ﴾

في تدبير يوسف شؤون مصر والمجاعة فيها

قال الكتاب (تك ف ٤١ ع ٤٦ وما يليه) وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون وخرج وجال في جميع ارض مصر وجات سنو

الشبع فكان يجمع في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول مدة السنين السبع فخزن كثيراً جداً من البر في مخازن مصر وكان من مهامه نظارة المخازن الملكية وكشفت لنا الآثار المصرية عن أسماء كثيرين من عمال مصر يلقبون بنظار المخازن ففي متحف ميرامار قصر مكسيمليان عاهل المكسيك على مقربة من تريستي تمثال صغير كتب عليه اسم شمنشت ناظر المخازن الملكية. وفي المتحف البريطاني صفيحة كتب عليها اسم منتوهبت ناظر مخازن الحكومة الى غير ذلك مما كتب على بعض المدافن في مصر وقد بينت لنا هذه الآثار كل ما يتعلق بالغلال من زرعها الى حصادها وجمعها اكداساً اكداساً كما قال الكتاب والى وضعها في المخازن التي هي اهراء وسيعة مبنية على هيئة مخروطية الشكل في اعلاها فتحة لانزال الغلال وفي اسفلها نافذة لاخراجها ولقلة الرطوبة في هذا القطر تصان الغلال فيه سنين عديدة من التعفن والفساد ففي متحف اللوفر في بريس غلال وجدت في مدافن حفظت فيها منذ من اربعين قرناً وحسبك هذا رداً لمزاعم من قال لا يمكن صيانة غلال يوسف سبع سنين من الفساد

كذّب بعض الجاحدين بحصول مجاعة في مصر مدة سبع سنين متتالية وتمحلوا لتكذيبهم وجهين اولهما ان فيضان النيل سبع سنين ونقصه سبع سنين متتالية مخالف لسنن الطبيعة وتوفر الغلة في مصر او قلتها متوقفان على زيادة امواه النيل وانتقاصها . والثاني ان هذه المجاعة لم يرد ذكرها في احد كتب القدماء ولا ترى لها اثراً في الآثار المصرية ولذلك جنح بعض المؤرخين في هذا العصر الى ان عدد السبع السنين هنا لا يراد به حصر السنين بسبع بل يراد به مدة متطاولة على انه لا حاجة الى هذا التكلف والتأويل اذ جاء في كتب القدماء والحديثة ذكر مجاعة كالتي كانت في عصر يوسف وانبأتنا الآثار بحصول مجاعات ويرجح كثيراً ان احداها المجاعة التي استدرك يوسف مضارها وهاك

البيان . فقد ذكر اوفيد (في الكتاب الاول من اشعاره في صناعة الحب) وهو شاعر لاتيني كان في عهد اغوسطوس قيصر ، انه حصلت مجاعة في مصر دامت تسع سنين ، وقال بلينيوس (في كتابه التاريخ الطبيعي) قوله المشهور ، اذا لم يبلغ ارتفاع امواه النيل حين فيضانه اثنى عشر ذراعاً كانت في مصر مجاعة . واذا بلغ ثلثة عشر ذراعاً فالجوع ايضاً وكانت المسرة اذا بلغت اربعة عشر والطمأنينة اذا بلغ خمسة عشر والرغد اذا بلغ ستة عشر ذراعاً ، وقد كتب عالم يسمى عبد اللطيف (كان في عصر الخلفاء العباسين في مصر) مقالة في مصر ترجمها العالم دي ساسي الى الافرنسية ومما قاله فيها ، اذا نقص فيضان النيل عن ستة عشر ذراعاً كان في مصر عوز الى القوت كثيراً او قليلاً بحسب انتقاص المياه ، وذكر كثيراً من المجاعات بسبب انتقاص امواه النيل واحداها استمرت كمجاعة يوسف سبع سنين من سنة ١٠٦٤ الى سنة ١٠٧١ على عهد المستنصر بالله وانه في سنة ٥٩٦ للهجرة (الموافقة لسنة ١١٩٩ للميلاد) لم يرتفع النيل الا اثنى عشر ذراعاً وواحد وعشرين قيراطاً وهو امر نادر لم يكن له مثيل منذ تاريخ الهجرة الا في سنة ٣٥٦ واطال الكلام في مضار المجاعة التي كانت في سنة ٥٦٧ للهجرة حتى اكل الناس الكلاب وسائر الدواب والحشرات وجثث الموتى بل اتصلوا الى ان ياكل بعضهم بعضاً والجئت الحكومة ان تحرق في القاهرة في بضعة ايام ثلاثين امرأة اقرت كل منهن باكلها لحم صغارها وغيرهم

ثم انبأتنا الآثار المصرية القديمة حصول مجاعات عديدة في مصر فقد كتب في مقبرة بني حسن على مدفن والٍ اسمه اماني توفي في السنة الـ ٤٣ للملك اوزرتسن الاول احد ملوك الدولة الثانية عشر قبل يوسف بقرون ما نصه ، لم تكن مجاعة في ايامي ولم يهلك الجوع احداً في عهد ولايتي اذ حصلت سنو المجاعة لاني جعلت الناس يحرثون كل الحقول الواقعة في عمل ساه (اسم

موضع) جنوباً وشمالاً وأقت السكان على اخرهم موزعاً عليهم حاصلات تلك الحقول حتى لم يمت احد جوعاً ، وذكر مسبرو (في كتاب تاريخه القديم لشعوب المشرق) وصية يقال ان امنا مهت الاول عهد بها الى اوزرتسن الاول الانف ذكره ومما حوته هذه الوصية قوله ، جعلت القوم يحرثون ارض البلاد حتى ابو (في جنوبي مصر) فشملت المسرة جميعهم حتى ادهو (مصر السفلى) فكنت موجداً ثلثة اصناف من الغلال وانا صديق نبرات (اله الغلة) وجاد النيل علينا بفيضانه على كل الحقول فلم تكن مجاعة في مدة ملكي

واكتشف العلامة بروغش اثراً مصرياً منبئاً بحصول مجاعة ورأى انها المجاعة التي حاقت بمصر على عهد يوسف وهذا الاثر هو خطوط هيروكليفية وجدت منقوشة على مدفن رجل يسمى بابا في قرية الكاب ويتبين منها انه حصلت مجاعة في مصر دامت سنين عديدة وتهيأ لهذا الرجل ان يُقيت اسرته العديدة وسائر سكان المدينة التي كان فيها وهاك ترجمة هذا الاثر كما رواها بروغش (في كتابه في تاريخ مصر مجلد ١ صفحة ١٧٦ طبعة ٢) وكما عربها احمد افندي كمال مترجم الانتيقه خان المصرية وناظر مدرستها في كتابه الموسوم بالعقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع اثار الاقدمين من المصريين قال ، كنت ذا قلب رأوف لا آلف الغضب ولذا اكرمتني المعبودات بالخير الجزيل في دار الدنيا وكان اهل بلدي وهي الكاب يتمنون لي الصحة وطول العمر وكنت اقتص من المسيئين ورزقت من الاولاد مدة حياتي اثنين وخمسين ولداً صغيراً وكبيراً وكان لكلٍ منهم سرير وكرسي ومائدة وكانوا ياكلون كل يوم مئة وعشرين مداً من القمح والحبوب وكان لهم ثلث بقرات حلوبات واثنتان وخمسون ماعزة وثمانية حمير وكانوا يحرقون من البخور ما يتيف على الهين (مكيال لقدماء المصريين) ويصرفون من الزيت ملوء زجاجتين ... وكنت

هيأتُ كل ذلك في بيتي وكنت اعطي اللبن الرائب في قدر والسمن في قدر طويلة ضيقة الراس تعرف بالذلق بمقدار يزيد على الهين وجمعت قمحًا كثيرًا محبة للمعبود الصالح (وفسره احمد افندي بمعنى الملك) وكنت حريصًا على الزراعة في سني الخصب ولما حصلت المجاعة مدة كثير من السنين كنت اعطي القمح لاهل المدينة في كل مجاعة ، ولم يُذكر تاريخ لهذه الخطوط وقدَّر بروغش سندًا الى نقش المدفن ونوع الكتابة عليه والى مجاورته لمدفن العامل المصري المسمى احمس (الذي روينا ما كتب على مدفنه في ع ٩٨) ان هذه المجاعة هي التي ذكرها الكتاب في عصر يوسف وقد روت المجلة المسماة التمدن الكاثوليكي هذا الاكتشاف في ع ٩٣٨ في تاريخ ٢٠ تموز سنة ١٨٨٩ واثبتت ما نحن مثبتون وانه لا يحفل بالفرق بين ما كتب في الاثر وهو مدة كثير من السنين (او سنين عديدة) وما كتب في الكتاب وهو سبع سنين . فالمعنى متقارب وكانه مرادف . وجاء في الجريدة الافرنسية الاونيفر (المسكونة) في احد اعدادها في شهر آب سنة ١٨٩٠ ان العالم بروغش اكتشف ايضًا في محل قريب من القصر صفيحة تبين منها انه انتقص فيضان النيل فنجم عن ذلك حصول مجاعة دامت سبع سنين وان بروغش جدَّ في التنقيب عن تاريخها فادَّاه جدّه الى انها كانت لنحو سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد اي في نحو الزمان الذي كان فيه يوسف وزيرًا لفرعون على اننا نظن ان كلام الاونيفر انما هو في الاثر الذي وجد في مدفن بابا السالف ذكره لا في اثر آخر

﴿ عد ١٧٤ ﴾

في ما يعزى الى يوسف في مصر

قال الكتاب (تك ف ٤٧ ع ١٤ وما يليه) «وجمع يوسف جميع الفضة التي في ارض مصر وفي ارض كنعان بالميرة التي كانوا يبتاعونها وادخلها بيت فرعون ،

لم يكتفِ يوسف بان يتلافى مضار المجاعة بل عنيَ كرجل خبير بالسياسة ان يقوّي سلطة مولاه ويزيد غنى دولته بادخال فضة الاهلين خزائن فرعون ثم بتمليكه ماشيتهم اذ قال يوسف للمصريين طالبي الطعام « اذا كانت فضتكم قد نفدت فهاتوا ماشيتكم ابعكم بها فجأوا يوسف بماشيتهم فاعطاهم طعاماً بالخيل وبالماشية من الغنم والبقر والحمير » وهذه اول مرة أتي بها بذكر الخيل في مصر فيرجح ان الملوك الرعاة ادخلوها فيها قال شباس كان عامة الناس في مصر يربون الخيل ويستخدمونها فلا سبيل الى نقض شهادة الكتاب المصرحة بان المصريين اتوا يوسف حين مجاعتهم بخيلهم وغنمهم وبقرهم يستبدلونها بغلة . وجاء في البابير المعروف بسالبار الاول وفي البابير انسطاسي الثالث انه كان لصغار العمال خيل لاستحضار المون اللازمة لبيوتهم من القرى وكان كبارهم ووجهاؤهم يركبون الخيل وعملتهم يستخدمونها لجر العجال كما في اثار عديدة

قال الكتاب ان المصريين عادوا في السنة التالية الى يوسف يشكون اليه سوء مصيرهم لانه لم يبق بين يديه الا ابدانهم واراضيهم ويسالونه ان يشتريهم واراضيهم لفرعون فاشترى يوسف جميع اراضي المصريين لفرعون لانهم باعوا كل واحد حقله فصارت الارض لفرعون الا ان ارض كهنتهم لم يشترها لانها كانت للكهنة وظائف اي ارزاقٌ من قبل فرعون يأكلونها ولذلك لم يبيعوا اراضيهم وقال لهم يوسف خذوا لكم بذرًا تزرعونه في الارض فاذا خرجت الغلال تعطون منها الخمس لفرعون والاربعة الاخماس تكون بذرًا للحقول وميرة لكم وجعل يوسف تأدية الخمس للملك رسماً على ارض مصر الى اليوم فقال له المصريون قد احييتنا ودعوا له (تك ف ٤٧ ع ١٨ وما يليه) قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٨٠) ما ملخصه ان الاثار المصرية مثبتة انتقال ملك الارض في مصر الى الفراعنة وان لم تصرح باسم

من صنع ذلك فاننا نرى ارض مصر في ايام ملوكها الاقدمين والمتوسطين يملكها بعض سادة مصر وكبراؤها ويسلمونها الى مزارعين وتنتقل الى غيرهم بطريق البيع او الارث او الزواج واما في ايام ملوكها بعد الرعاة فلا نجد اثرًا مشعرًا بملك احد ارضًا الا الملك فيوسف نقل ملك ارض البلاد كلها الى فرعون ولا يستثنى من ذلك الا ارض الكهنة . وقد جاء في البابير المعروف بهاريس ان رعمسيس الثالث كان مالكًا ارض مصر كلها اذ قال « انا غرست في البلاد باسرها اشجارًا كبيرة وصغيرة وسمحت للناس ان تستظل بفيئها ... انا كفيت البلاد كلها رزقًا ... انا منت البلاد بعد ان نفدت مؤنها . فامتلأت البلاد شبعًا في عهد ملكي ... فاشتغلوا له (اي لابنه رعمسيس الرابع) كأن لكم يدًا واحدة بكل نوع من العمل ... فتجزون بقوته لكم كل يوم » وهذا الكلام ينطق صراحة بان ارض مصر كانت ملك فرعون وهو يمون حارثيها وسائر شعبه ولا يمكن اعزاء ذلك الا الى تمليك يوسف فرعون ارض مصر اذ كان قبله مالكون ولا نجد بعده مالكًا الا الملك والكهنة الذين ترك يوسف لهم ارضيهم وقال هيرودت (ك ٢ ف ١٠٩) « رووا ان الملك سيزوستريس (رعمسيس الثاني) قسم ارض مصر على جميع المصريين فاعطى كلاً منهم نصيبًا سويًا وفرض على كل منهم جزية سنوية على نصيبه من الارض » وهذا تصرف مالك بلا مراء ورعمسيس كان بعد يوسف في عهد موسى . واثبت هيرودت (في ك ٢ ف ٣٧) ان ارض الكهنة كانت معفاة من الضرائب والجزية طبق ما جاء في التكوين كما رأيت على ان يوسف لم ينتزع الارضين من يد حارثيها بل ابقاها في يدهم ووضع نظامًا حديثًا للمال الاميري

ويعزى الى يوسف انشاء بعض مجارٍ للنيل في ارض مصر وقال فيكودو (صفحة ١٨٣ من المجلد الانف الذكر) ان هذا التقليد غير بعيد عن الصحة

ويعزى اليه انشاء بعض اهرآء لغلال الحكومة في مصر القديمة وتسميها العامة خزائن او مخازن يوسف ولكن قال بعض الجوالة ان تلك الاهرآء مخال فسيحة يحيطها سور ارتفاعه عشرون قدماً ولا سقف لها وهي منقسمة اقساماً عديدة تجمع الحكومة فيها الغلال التي تجبيها من مصر العليا وهيئة بنائها تقضي بانها ليست قديمة وروى كثيرون ان يوسف علَّم المصريين مساحة الارض ووضع المكاييل واقام عموداً في مياه النيل لمعرفة درجات فيضانه وقال المرتل فيه (مزمور ١٠٤ عد ٢١ و ٢٢) « اقامه (فرعون) سيداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناه حتى انه جعل عظماءه تحت حكمه فهو علَّم شيوخه الحكمة »

﴿ عد ١٧٥ ﴾

في انحدار اخوة يوسف الى مصر وتعرفه اليهم

قد عمت المجاعة ارض فلسطين فانحدر بنو يعقوب الى مصر ليمتاروا لهم طعاماً فعرفهم يوسف اخوهم وتنكر لهم وقلق لانه لم يرَ بينهم شقيقه بنيامين فاستدعاهم وتظاهر بانه يحسبهم جواسيس ليستطلعهم اخبار اخيه وابيه فاجابوه بسذاجة ولم يكاتموه الا سرَّ بيعهم له وصرَّحوا بان صغيرهم باقٍ عند ابيهم فسكن قلقه من جرائه لكنه واصل تعنيفه لهم بانهم جواسيس حالفاً بحياة فرعون قال شباس يظهر من الآثار ان هذا الحلف كان متواتراً عند المصريين وانهم كانوا يخشون حقيقة هجوم بعض القبائل على بلادهم لا سيما بسبب المجاعة وانه يظهر من البابير المحفوظ في برلين انهم بنوا اسواراً تمتد من خليج السويس الى بحيرة المنزلة تحصناً من مثل هذه الهاجمات وان رعمسيس الثاني لم يبنِ هذا السور بل رممه على ما روى ديودورس الصقلي (ك ١ فصل ٥٧) ولم يؤذن يوسف بانصراف اخوته الى بلادهم الا بشرط ان يعودوا اليه واخوهم الصغير معهم وان يبقى شمعون احدهم رهينة عنده على ذلك وامر

ان تملأ اوعيتهم برًّا وترد فضة كل واحد في جوالقه وان يعطوا زادًا للطريق فصنع لهم ذلك وبينما هم يفرغون اوعيتهم اذا بصرة فضة كل منهم في جوالقه فخافوا واغتم ابوهم لما قصوا عليه ما نالهم وكيف استبقى المتسلط على مصر شمعون رهينة عنده الى ان يأتوه ببنيامين تصديقًا لقولهم انهم ليسوا هم جواسيس وحاول ان لا يحدر بنيامين لكنهم فرغوا من اكل الميرة التي اتوا بها واشتد الجوع فالجئ يعقوب ان يسمح لهم بالعود الى مصر وبنيامين معهم وقال اصطحبوا هدية الى الرجل « شيئاً من البلسان وشيئاً من الدبس ونكعة ولاذناً وفستقاً ولوزًا » فالبلسان والنكعة واللاذن هي من اصناف التجارة التي كانت قافلة الاسمعليين تقلها الى مصر عند مشتراهم يوسف والدبس لا يراد به عسل النحل كما وهم بعضهم بل الدبس حقيقة المصطنع من عصير العنب وهو في الاصل العبراني « دباش »

ولما بلغ بنو يعقوب مصر امر يوسف قيم بيته ان يدخلهم داره ويعدّ لهم مأدبة فوهموا انه يريد القاءهم في السجن بسبب الفضة التي وجدت في جوالقهم وباحوا الى القيم بسر وهمهم فامّنهم واطمأنوا « ولما قدم يوسف الى البيت ادخلوا له الهدية التي في ايديهم وسجدوا له الى الارض » فكان بذلك اتمام ما رآه في احلام صبائه وفي المتحف البريطاني صورة اخذت من طيبة (تاب) ويظهر ان هذه الصورة نقشت في عصر الدولة الثامنة عشرة وهي تمثل رجالاً من الروتانو (وهم سكان سورية او الساميون) يقدمون هدايا لفرعون او احد كبراء دولته وبعضهم ساجد له بوجهه الى الارض وبعضهم رافع يديه يدعو له ويتوسل اليه وبينهم صبيّ ويلقون تقادمهم عند رجلي الملك او احد كبار عماله وكل منهم الا الصبي مرتدٍ بثوب طويل ابيض معلم وسمات وجوههم وعيونهم اشبه بسمات اليهود او العرب ولحاهم مطلقة نظيرهم حتى

74(9)

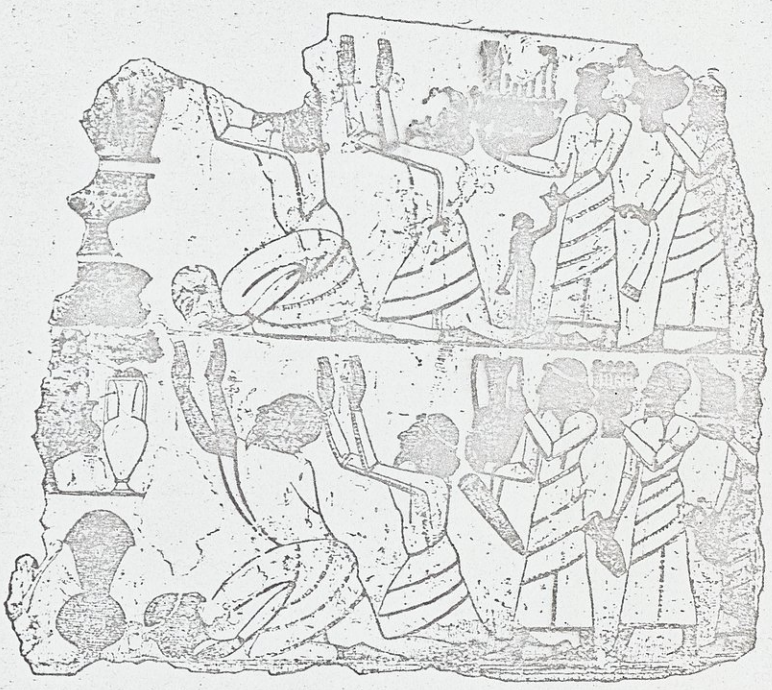

صورة اخذت عن جدران تاب الى المتحف البريطاني تمثل روثانو اي سوريين
يقدمون هداياهم لمتسلط في مصر صفحة ٧٤

يخال الناظر ان الصورة رسم لما جاء في الكتاب عن تقدمة اخوة يوسف هداياهم له وسجودهم امامه ولا اختلاف الا في الاسماء وعدد الاشخاص

وسألهم يوسف عن سلامة ابيهم فقالوا انه في سلام ولا يزال حيًا وخروا وسجدوا ونظر الى بنيامين فقال اهذا هو اخوكم الصغير الذي ذكرتموه لي وقال يرأف الله بكَ يابنيَّ وتحرك فؤاده اليه فدخل المخدع وبكى ثم غسل وجهه وتجلد وقال قدموا الطعام وقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الاكلين عنده وحدهم لان المصريين لم يكونوا يأكلون مع العبرانيين لانه رجس عندهم وفي المتحف البريطاني صور اخذت من مصر تمثل لنا هيئة الموائد عند المصريين فترى كلاً من المدعوين جالسًا بجانب مائدة مخصوصة متشحًا بافخر ملابسه والارقا يقدمون لهم المشرب وبجانبهم راقصات يرقصنَ واربعة ارقاء يضربون بآلات الطرب وكان لحم الخنزير محظورًا اكله على المصريين فيا كلون لحوم البقر والماعز والغنم مطبوخة ومشوية قال هيرودت (ك٢ف٤١) ان المصريين كانوا يفضلون البقرات (اجلالاً لايسيس) على جميع الحيوانات ولا يستعملون سكينًا او اناءً استعمله يوناني ولا يذوقون لحم البقر نفسه ولو نقيًا اذا مسه سكين يوناني . وكانوا يعتبرون الاجانب ارجاساً فلا يواكلوهم واكل يوسف وحده رعاية لمقامه لكنه رفع حصصاً من بين يديه الى اخوته فكانت حصة بنيامين اكثر من حصة خمسة منهم

وشاء يوسف ان يمتحن اخوته ليرى ما يكنُّون من جهة اخيه بنيامين فامر قيم بيته ان يملأ جوالقهم طعاماً ويجعل فضة كل منهم في فم جوالقه ويضع جام الفضة الذي يشرب يوسف به في فم جوالق بنيامين مع فضة ميرته ففعل القيم كما امر يوسف وانصرف اخوته صباحاً فقال للقيم قم فاسعَ في اثر القوم فاذا ادركتهم فقل لهم لِمَ كافأتم الخير بالشر اليس هذا هو (الجام) الذي

يشرب به مولاي ويتفأل به فلحقهم وقال لهم ذلك الكلام فاستغربوه واستأوا منه واوردوا لتبرئتهم ما صنعوه بردهم الفضة التي وجدت اولاً في جوالقهم وقالوا من وجد الجام معه يقتل ويكون الباقون عبيداً لسيده فحطوا الجوالق ففتشها فاذا الجام في جوالق بنيامين فمزقوا ثيابهم وحمّل كلٌّ حماره وعادوا الى المدينة ووقعوا بين يدي يوسف فقال لهم ما هذا الصنيع اما علمتم ان رجلاً مثلي يتفآل فقال يهوذا بماذا نتكلم وبماذا نتبرأ ها نحن ومن وُجد الجام في يده عبد لسيدي فقال يوسف حاشَ لي ان اصنع هذا بل الرجل الذي وجد الجام في يده هو يكون لي عبداً وانتم تصعدون بسلام فبسط اليه يهوذا ما كان لهم معه اولاً وكم شق على ابيه ان يسمح لبنيامين ان ينحدر معهم الى مصر لتعلق نفسه به وما يتولاه من الكآبة ان لم يعد معهم فيموت وتنحدر شيبته بحسرة الى الجحيم (تك ف ٤٤)

وقد انبأتنا الآثار المصرية ان قصور المصريين كانت ملأى بالأثاث والآنية النفيسة وكانت الجامات والكؤوس لا سيما التي يستعملها رب البيت ثمينة المادة بديعة الصناعة فقد وجد في المدافن كثير من هذه الاجوُم وازدهت متاحف اوربا بكثير منها وبعضها من ذهب وبعضها من فضة او نحاس او زجاج ففي متحف بريس جام من ذهب نقش عليه اسم توتمس الثالث احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة وهو بديع الصناعة وهناك ايضاً جام اخر من فضة كان لاحد كبار عمال مصر فلا بدع ان كان ليوسف جام من فضة . وقد ندد جاحدو الوحي بالكتاب قائلين لم نجد اثراً ولا ذكراً للتفآل بالجامات في مصر او غيرها من الاصقاع وكيف اعتقد يوسف الفال او تفآل على انه قد حقق كثير من الجوالة ان المصريين كانوا يستعملون التفآل بالاجوام وما برح بعضهم يستعمله الى الان وفي كتاب صيني كتب سنة ١٧٩٢ ان من جملة انواع التفآل التي

يستعملها اهل هذه البلاد انهم يصبون ماء في اناء ويبصرون ما يظهر لهم في الماء وكان الجام عند الفرس آلة للتفاءل وقد لهج شعراؤهم بجام توصل من بلادهم الى سليمان واسكندر فكان سبباً لنجاحهما ومجدهما وذكر احد هولاء الشعراء يوسف في عداد من توصل هذا الجام اليهم وقال القديس افرام السرياني (في كتبه المطبوعة في رومة بالسريانية واللاتينية مجلد ١ صفحة ١٠٠) انه كان البعض يتفاءلون بالجام فيتقرونه ويصغون لصوت رنته فيستدلون به على ما يستقبل من الامور واما كيف اعتقد يوسف الفأل او تفاءل فقال القديس توما (في الخلاصة اللاهوتية مجلد ٢ مبحث ١٩٥) « ان قول يوسف اما علمتم ان رجل مثلي يتفاءل قاله هزلاً لا جدًّا على ما رأى اغوسطينوس ولعله اشار بذلك الى ما تعتقده العامة به بعد تعبيره الاحلام (اي انه ساحر ككهنتهم) وكذا قل في كلام قيم بيته »

قال الكتاب (تك ف ٤٥) لم يستطع يوسف ان يضبط نفسه فنادى اخرجوا كل احد من بين يديَّ فخرجوا وتعرف يوسف الى اخوته قائلاً انا يوسف اخوكم أحي ابي بعد فارتاع اخوته فقال لهم تقدموا اليَّ فتقدموا واطلق صوته بالبكاء والقى نفسه على عنق بنيامين اخيه فبكى وبكى بنيامين على عنقه وقبَّل سائر اخوته وبكى معهم وقال لا تأسفوا ولا يشقَّ عليكم انكم بعتموني الى هنا فان الله قد بعثني امامكم لاحييكم وصيرني ابًا لفرعون وسيدًا لجميع اهله ومتسلطاً على ارض مصر كلها وقد مضت سنتا جوع في الارض وبقي خمس سنين ليس فيها حرث ولا حصاد فبادروا واشخصوا الى ابي وقولوا له كذا قال ابنك يوسف فهلمَّ اليَّ ولا تقف فتكون قريباً مني انت وبنوك وبنو بنيك وكل ما هو لك لئلا تفنى انت واهلك ونما الخبر الى بيت فرعون ان قد جاء اخوة يوسف فقال له فرعون قل لاخوتك حملوا دوابكم وانطلقوا وخذوا

اباكم وبيوتكم وتعالوا اليَّ فاعطيكم خير ارض مصر وخذوا لكم عجلات لاطفالكم ونسائكم ولا تحزن نفوسكم على اثاثكم ان خير مصر هو لكم واعطاهم يوسف عجلات بامر فرعون وزادًا للطريق واعطى كلاً منهم حلل ثياب وبنيامين ثلث مئة من الفضة وخمس حلل ثياب وبعث الى ابيه بمثل ذلك وبعشرة حمير محملة من خير مصر وعشر اتن محملة برًا وخبزًا وزادًا لابيه للطريق وصرفهم واوصاهم ان لا يتخاصموا في الطريق

﴿ عد ١٧٦ ﴾

في انحدار يعقوب الى مصر باسرته وفي محلهم فيها

ارتحل اسرائيل بجميع ماله حتى جاء بئر سبع فقدَّم لله ذبائح فظهر الله له في الحلم قائلاً لا تخف ان تهبط الى مصر فاني ساجعلك ثمة امة عظيمة فقام يعقوب من بئر سبع وحمل ابناؤه اباهم واطفالهم ونساءهم على العجلات التي ارسلها فرعون واخذوا ماشيتهم وسرحهم فكان جملة الداخلين الى مصر مع ابني يوسف منسى وافرائيم سبعون نفساً وشدّ يوسف على مركبته وصعد ليلاقي اباه في جاسان فلما ظهر له القى بنفسه على عنقه وبكى طويلاً وقال له دعني اموت الان بعد ان رأيت وجهك وقال يوسف لابيه واخوته انا صاعد الى فرعون لاخبره بقدومكم فاذا استدعاكم وقال لكم ما حرفتكم فقولوا كنا نحن وآباؤنا الى الان ذوي ماشية لكي تقيموا بارض جاسان لان كل راعي غنم هو عند المصريين رجس (تكوين فصل ٤٦)

انما قصد يوسف بهذا ان يستمر اهله على حالة رعاية الماشية وان ينكبهم كثرة المخالطة مع المصريين وان يحلهم في اجود الارض وقد تعددت اقوال المفسرين في اعتبار المصريين كل راعي غنم رجساً فقال الحجري في تفسير هذه الاية انما ذلك لان الرعاة يذبحون ويأكلون لحوم غنمهم وبقرهم التي

كان المصريون يعبدونها واستشهد لرايه بقول الكتاب في سفر الخروج (ف ٨ عد ٢٦) ان موسى قال لفرعون « ليس من الصواب ان تصنع (اي ان نذبح في ارض مصر) لاننا انما نذبح للرب الهنا ما هو رجس عند المصريين فهل نذبح بحضرتهم ما هو رجس عندهم ولا يرجمونا » وقال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٦٤) ما ملخصه قال بعضهم « ان المصريين كانوا يعتدّون الرعاة ارجاساً لتوقف نجاح بلادهم على الزراعة ولان اسم الرعاة يشير الى الخساسة والوغادة والهمجية وقالوا ان الاثار تمثل الرعاة بهيئة ضعفاء شنيعي المنظر وان هيرودت اشار (في ك ٢ فصل ١٦٤) الى ان المصريين كانوا يمقتون جميع الرعاة لان رعاة الخنازير منهم ولا تستقيم النتيجة لان مقت المصريين رعاة الخنازير انما كان لرجاسة هذا الحيوان عندهم فلا يتعدى الى سائر الرعاة وبعض الاثار المصرية يمثل الرعاة بهيئة الارقاء وبعضها يمثلهم بشيء من التعظيم لكثرة ماشيتهم او ما كان الاولى لحل هذا المشكل ان نقول ان المصريين كانوا يمقتون الرعاة لان الملوك الرعاة اذلوهم واستحوذوا على بلادهم وابابي احدهم احسن قبول العبرانيين لانهم من اهل وطنه القديم وقرظ الاب فيكورو كلمت لانه اهتدى (في تفسيره سفر التكوين) الى هذا الوجه لتفسير هذه الاية قبل ان ينجلي تاريخ الملوك الرعاة كما انجلى الان فلم يكن الرعاة الوطنيون ارجاسا بل كانوا يعتبرون الرعاة الاجانب ارجاساً من جرى الملوك الرعاة

واخذ يوسف اولاً خمسة من اخوته فمثلهم بين يدي فرعون فتلطف بهم وقال ليوسف ان كنت تعلم ان فيهم ذوي حذقٍ فاقمهم على ماشيتي ثم ادخل يوسف يعقوب اباه ومثله بين يدي فرعون فرحّب به وسأله عن عمره فقال سنو غربتي مئة وثلاثون سنة ولم تبلغ سني حياة ابآئي وعاش يعقوب بعد ذلك

في مصر سبع عشرة سنة واحلَّ يوسف اخوته في اجود موضع من مصر وهو ارض جاسان التي سماها الكتاب ارض رعمسيس ايضًا واقام بعض اخوته وكلاء على ماشية فرعون وكان للفراعنة ماشية كثيرة ويكفي لاثبات ذلك ما ذكروه من تقادمهم للهياكل فجاء في البابير المعروف بهاريس ان رعمسيس الثالث قدم لهيكل طيبة (تاب) قطيع ماشية عدده ستة وثمانون الف راس ولهيكل هيلوبوليس (المطرية الآن اوتل الحصن) قطيعًا عدده خمسة واربعون الفًا وخمس مئة واربعة واربعون راساً

قد كان للعلماء ومفسري الكتاب قبل الاكتشافات الحديثة اقوال عديدة متضاربة في موقع ارض جاسان التي احتلها بنو اسرائيل فان الجهل بجغرافية مصر اوقع امهرهم في اغلاط بينة من ذلك جعل العلامة كرنيلوس الحجري موقع مدينة رعمسيس وارض جاسان في الصعيد في جنوبي مصر حيث توفر عدد السائحين في صدر النصرانية ولم يسعد الحظ كامت الشهير ان يحترز من التهور في مثل هذا الغلط على ان احتفار قناة السويس وابحاث العالم ادوار نافيل في هذه الارض سنة ١٨٨٥ على نفقة الجمعية الانكليزية المعروفة بلجنة البحث في مصر كشفت لنا عن حقيقة موقع جاسان وارض رعمسيس فهي في الجهة الشمالية الشرقية من مصر حيث الآن المديرية المعروفة بالشرقية فقد وجد نافيل هناك تمثال رعمسيس الثاني نفسه مكتوبًا عليه اسمه ست مرات واكتُشف في المحل المعروف الآن هناك بسفط الجنة على اثر يتبين منه ان هذا المحل كان يسمى كاسام وكان هذا الاسم يطلق على العمل كله وليس كاسام الا جاسان مبدلاً فيه حرفان بما يقاربهما كما جرى في كثير من هذه الاسماء وهو في الجنوب الشرقي من الزقازيق وفي الشرق من تل المسطوطة وهناك سفط وتل الكبير وقد جاء في سفر الخروج (ف ١ ع ١١) ان بني اسرائيل « بنوا لفرعون

مدينتي خزن وهما فيتوم ورعمسيس ، وحققت ابحاث نافيل ان اخربة تل المسقوطة انما هي فيتوم القديمة حقيقة ففيتوم او بيتوم كلمة مركبة من تي ومعناه بيت كما في السريانية ومن توم اسم احد معبودات مصر فكانت هذه المدينة مفردة لهذا الاله وتحت حمايته وجميع الاثار التي وجدت هناك تجد عليها اسم الاله توم وهناك وجد تمثال رعمسيس الذي سميت المدينة الثانية باسمه ومن جملة هذه الاثار تمثال صغير من حجر احمر كتب عليه اسم الاله توم ثلث مرات ووجدت صورة هذا الاله ايضاً وكثير من اللبن مصنوعاً من اوحال النيل يخالطها التبن وذلك من بقايا سور المدينة وهذا اللبن هو الذي كان الفراعنة يسخرون بني اسرائيل بصنعه فاذاً قد كان تل المسقوطة جزءاً من ارض جاسان او ارض رعمسيس ولا يخالف ذلك ان هذه الارض لا ترى الان خصبة جيدة التربة لان ارمال البرية الحارة غطتها بعد ان كانت في ايام بني اسرائيل تسقى بمياه النيل وتشهد لذلك اثار القناة الباقية الى الان ولم يشهد الكتاب وحده بجودة ارض جاسان بل شهدت لها الاثار ايضاً فقد جاء في البابير المحفوظ الان في لوندرة وقد خطّ في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر ان ارض رعمسيس كانت على غاية من العمران من حيث كثرة السكان وغزارة ماء سقائها وكثرة غلاتها قال الاب فيكودو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٢٢٤) ، ان ارض جاسان يعود اليها خصبها اذا احياها ماء النيل وقد دلنا احد سكان تل المسقوطة عند زيارتنا لها في شهر اذار سنة ١٨٨٨ على ارض فسيحة تبلغ الى ثمان مئة فدان (كما يقولون) اشتراها سنة ١٨٨٥ وسقاها بقناة صغيرة من ماء الاسمعيلية فاصبحت نضرة خصبة متوفرة الغلة ، فهناك اذاً اقام يعقوب وهناك نمى نسله كما سترى

عد ١٧٧

في وفاة يعقوب ثم يوسف في مصر

لما دنا اجل يعقوب دعا يوسف واستحلفه ان لا يدفنه في مصر بل في مدفن آبائه في حبرون واتاه يوسف بابنيه منسى وافرائيم فبارکهما مقدماً اصغرهما افرائيم على اكبرهما منسى ثم جمع بنيه وبارکهم وتنبأ على ما يكون لذرية كل منهم وخص يهوذا بارث المواعد الالهية وبان المخلص يولد من نسله وقدمه على اخوته وأوبين وشمعون ولاوي مع انهم اكبر منه سناً لجعلهم انفسهم غير اهل للتقدم لما اقترفوا من الجرائم ولاسيما اثخانهم في ارض شكيم عند اقتضاض اختهم دينا ولما فرغ من وصيته لبنيه ضم رجليه على السرير فيظهر انه كان يوصي جالساً ورجلاه ممتدتان ولما فرغ ضم رجليه وفاضت روحه فما اهنأ موت الابرار : فبكاه يوسف وامر الاطباء ان يحنطوا جثته فحنطوها وقد اعتاد المصريون تحنيط جثث الموتى من اقدم الايام . ذلك دليل على تيقنهم حياة اخرى وقيامة الموتى . وكان لهم في التحنيط اساليب متنوعة يجرون منها على ما شاءه اهل الميت من النفقة واقل انواعه نفقة اخراج الاحشاء والدماغ ووضعها في قار مغلي وحفظها في آنية من خزف او غيره وتجفيف سائر الجسم بوضعه في النترون مدة متطاولة نحواً من اربعين او سبعين يوماً ثم لف الجسم بعصائب من كتان نقي وكثيراً ما توجد مكتوبا عليها اسماء الالهة وآيات من السفر المعروف عندهم بسفر الموتى وكانوا يضعون ايدي النساء على صدورهن وايدي الرجال على جانبي جثتهم او يضعون اليد اليسرى على كتف اليمنى وكانت الخنافس رمزاً عندهم الى عدم الموت فكانوا يضعون مثالها موضع القلب ويعتبرون القلب مقر الضمير فيكتبون على لفافته فقرة من الفصل الثلاثين من كتاب طريقة دفن الموتى هي يا قلب يا قلب قد اتخذتك من امي وكنت قلبي ما حييت

على الارض فلا تكن شاهداً عليَّ ولا تشكوني الى رئيسي الالهي ولا تثقل عليَّ امام الاله الاعظم . (رواه مسبرو في تاريخ شعوب المشرق صفحة ٤١) ذلك دليل على اعتقادهم الدينونة

وبعد اتمام التحنيط صعد يوسف ليدفن اباه وصحبه آله الأَ اطفالهم وجم غفير من عبيد فرعون وشيوخ ارض مصر ومراكب وفرسان فكان الموكب عظيماً جداً فافضوا الى بيدر اطاد في عبر الاردن وقال القديس ايرونيموس ان موقع هذا البيدر في عبر الاردن الشرقي ثم قال انه في عبره الغربي يبعد ثلثة اميال عن اريحا وميلين عن الاردن نحو الغرب ولعل القول الاول حرّفه النساخ او ذكره هذا العلامة تبعاً لنص الكتاب انه في عبر الاردن للقادم منْ مصر اذ يكون قدومه من شرقي الاردن وعبره في مغربه ولا سيما لانه جعل موقع بيدر اطاد في محل عين حجلة الان (كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٥٣) وهو تجاه مخاضة حجلة في شمالي الخليل فهناك اقام يوسف مع صحبه مناحة لابيه ولذلك سمي هذا المحل وقتئذٍ مناحة المصريين ثم رفعوا جثة يعقوب الى حبرون (الخليل) ودفنوه في المغارة المضاعفة مع ابرهيم وسارة واسحق ورفقا ولية (راجع عد ١٦٣)

وخاف اخوة يوسف ان يتذكر اخوهم بعد وفاة ابيهم مساءتهم اليه فيجزيهم عليها شرًّا فارسلوا يقولون له ان اباه اوصى ان يغفر لاخوته فبكى يوسف حين قيل له هذا الكلام فجاء اخوته ووقعوا بين يديه فقال لا تخافوا هذه مشيئة الله ولاطفهم وعاش يوسف بعد وفاة ابيه نحواً من اربع وخمسين سنة لان فرعون استوزره وعمره ثلاثون سنة ومرت سبع سني الشبع وسنتان من المجاعة الى انحدار يعقوب الى مصر وعاش يعقوب في مصر سبع عشرة سنة فمجموع هذه السنين ست وخمسين سنة وانبأنا الكتاب ان يوسف مات وله من العمر

مئة وعشر سنين فيكون الباقي منها اربع وخمسون سنة وقبل موته استحلف آله ان ينقلوا عظامه الى ارض الموعد متى افتقدهم الله واخرجهم من مصر فحنطت جثته على عادة المصريين ووضعت في تابوت حملوه معهم عند ارتحالهم من مصر الى ارض كنعان وجاء في سفر يشوع بن نون (ف ٢٤ ع ٣٢) ان « عظام يوسف التي اصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم (نابلس) في قطعة الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حمور ابي شكيم بمئة نعجة (تك ف ٣٣ ع ١٩) وصار لبني يوسف ملكاً » وقال القديس ايرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين) ان مدفن يوسف كان يشاهد الى ايامه في فلسطين . وقال العالم رونلدسون انه زار في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ مدفناً في نابلس اجمع السامريون واليهود والمسلمون والنصارى على انه مدفن يوسف وتلا هذا الجوالة الانكليزي خطبة في هذا الشان بحضرة اعضاء جمعية الاثار الكتابية في لوندرة في ٧ ك ٢ سنة ١٨٧٣ روى ذلك الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٩٦) وقال « يحتمل ان يكون يوسف دفن في هذا المحل ولكن في حجرة والاثر الذي يشاهد الان حديث وقد زرته في ٢٨ اذار سنة ١٨٨٨ وعليه كتابة انكليزية ناطقة بان العالم روجه عني بمرمته »

وقد كانت المدة التي انقضت من اتيان ابرهيم الى ارض كنعان الى انحدار يعقوب الى مصر مئتين وخمس عشرة سنة لان ابرهيم شخص الى ارض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة وولد اسحق وعمره مئة سنة اي لسنة ٢٥ من اتيانه الى فلسطين واسحق ولد يعقوب وعمره ستون سنة ويعقوب انحدر الى مصر وعمره مئة وثلاثون سنة كما رأيت فيكون المجموع ٢١٥ سنة

الفصل الرابع

(في اخبار بني اسرائيل في مصر)

﴿ عد ١٧٨ ﴾

حالة بني اسرائيل اولاً في مصر واشتراكهم مع المصريين في بعض غزواتهم

نما بنو اسرائيل كثيراً في ارض جاسان الخصبة ولم يبرحوا ممتازين عن المصريين في دينهم وادبهم ولغتهم ولم يكن المصريون يهوون التقرب اليهم لانهم رعاة ورحّل وقد رأيت ان الرعاة كانوا يحسبون في مصر ارجاساً وتلك عناية صمدانية ندرك من غاياتها محافظة بني اسرائيل على اعتقادهم وحدانية الله وعلى التقليدات التي تلقوها من ابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف ووقايتهم من سريان عدوى عقائد المصريين اليهم . على انه وان كان للفراعنة الولاية العليا عليهم فكان لهم شيوخ يلون امرهم فكان كل سبط يقسم الى اسرات ولكل اسرة شيخ ولشيوخ كل سبط رئيس يسميه المصريون هاك (والياً او رئيساً) ويرأس هولاء عمال يسميهم المصريون سكوتريم (كتبة) تختارهم الحكومة من بني امرائيل وهم المواخذون امام الحكومة بتنفيذ اوامرها واداء التكاليف المفروضة على بني اسرائيل فكان لاقامة بني اسرائيل في مصر وجهان نافعٌ وضار فالنافع قربهم من شعب فاقهم حضارة وتمدناً فاقتبسوا منه بعض الصنائع واخذوا عنه عيشة الحضارة بدلاً من البدو والضار تشوش بعض تقليداتهم وادابهم وبعض الخلل في عبادة الاله الحق ولذلك شاء الله اخراجهم من مصر

قد حصلت ثورات عديدة في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر منها طرد الملوك الرعاة وعود البلاد الى استقلالها ومجدها كما رأيت في تاريخ الحثيين ويظهر ان الملوك الوطنيين بعد الرعاة رفقوا ببني اسرائيل ولم يعتوهم وان رجال هولاء كانوا من جنود الفراعنة في حملاتهم على اسيا وحاولوا منذ ذلك العصر الاقامة في ارض موعدهم فلم تتيسر لهم وجاء في سفر اخبار الايام الاول (ف ٧ ع ٢٠) ان ابناء افرائيم بن يوسف نزلوا الى جت (مدينة الفلسطينيين) ذكرين الان ليأخذوا ماشيتهم فقتلهم رجال جت. وذكروا ان ابنة من ذرية افرائيم بنت مدنا في بلاد كنعان وان بعض بني سيلا بن يهوذا استحوذوا على بعض مدن الموآبين هذا ملخص ما رواه لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ١٩٥) وقد طالعت في هذه الايام مقالة اثبتها الاب دي مور l'Abbé de Moor في المجلة الكتابية Revue Biblique في عددها الثالث الصادر في تموز سنة ١٨٩٢ معنونة « العبرانيون في فلسطين قبل الخروج » وموضوعها الكلام في صفائح مسمارية كشف عنها سنة ١٨٨٧ في تل الامرنا بما بين النهرين ذكرت فيها اسماء اورشليم واليهود بين اسماء الشعوب سكان فلسطين الذين انتصر عليهم امانوفيس الرابع احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة بعد طرد الرعاة من مصر وقبل خروج بني اسرائيل منها بزهاء مئة وخمسين سنة فارتبك العلماء في مغزى هذه الصفائح وفي التوفيق بين ما كتب فيها وآيات الكتاب وآثار اخرى فبذل الاب دي مور قصارى جده ليثبت ان هولاء اليهود الذين ابان الاثر الجديد اقامتهم في فلسطين قبل الخروج قد رافقوا الملوك الرعاة عندما طردهم المصريون فاقاموا في فلسطين واورشليم خاصة وملكوا فيها وايد قوله هذا بحجج منها قول مانيتون ابي التاريخ المصري ان الرعاة بنوا اورشليم اي رفقاء الرعاة ومنها اقوال اخرى لمانيتون ايضاً سمى بها الرعاة اورشليميين او اراد العبرانيين الاورشليميين . ومنها انه

وجد في جريدة اسماء الشعوب الذين قهرهم توتمس الثالث اسماء يعقوبال ويوسفال اي بني يعقوب وبني يوسف وهذه الجريدة منقوشة على جدار الكرنك يعدد بها توتمس الشعوب الذين قهرهم بعد موقعة مجدو (راجع عد ٦٢) ومن حججه ايضاً ما كتب على صفائح تل الامرنا المبحوث فيها واقوى حججه آية سفر اخبار الايام الاول (ف ٧ ع ٢٠ وما يليه) « وبنو افرائيم شوتالح ... وعاز والعاد فقتلهم رجال جت المولودون في الارض لانهم نزلوا ليأخذوا ماشيتهم فناح افرائيم ابوهم اياماً كثيرة واقبل اخوته ليعزوه » ولا مرية ان افرائيم هو ابن يوسف وجث هي مدينة فلسطين المشهورة وخروج بني اسرائيل من مصر كان لسنين متطاولة بعد وفاة افرائيم بن يوسف فلا مخرج لهذه الاية التي اعيا العلماء تفسيرها الا بان يقال ان بعض العبرانيين حاربوا مع الرعاة لقربهم منهم موطناً في سورية وفلسطين وخرجوا معهم عند خروجهم من مصر فاقاموا في اليهودية ، هذا خلاصة ما جاء به الاب دي مود في مقالته

﴿ عد ١٧٩ ﴾

في بدء اضطهاد بني اسرائيل في مصر

قال الكتاب (في الفصل الاول من سفر الخروج عد ٦ وما يليه) « ومات يوسف وجميع اخوته وسائر ذلك الجيل ونمى بنو اسرائيل وتوالدوا وكثروا وعظموا جداً جداً وامتلأت الارض منهم وقام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه ان شعب بني اسرائيل اكثر واعظم منا تعالوا نحتال عليهم كيلا يكثروا فيكون انهم اذا وقعت حرب ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الارض فاقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يعنتوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي خزن وهما فيتوم ورعمسيس غير انهم كانوا كلما اذلوهم ينمون

ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بني اسرائيل فاستخدم المصريون بني اسرائيل بقسوة ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر اعمال الارض »

وقد جاءت الآثار المصرية مصداقاً لآي الكتاب هذه فقد وجدت على مدافن مصرية صور عديدة تمثل اسرى ساميين يعملون بالطين واللبن ويبنون الاسوار تحت امرة عمال مصريين بيد كل منهم سوط او عصا طويلة حتى ان الناظر الى تلك الصور يقضي لاول وهلة ان ما تلك الصور الا ممثلة لما رواه الكتاب من استعباد المصريين لبني اسرائيل وسنذكر احدى هذه الصور في العدد ١٨٢ . اجمع اهل العلم بالآثار المصرية ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عهد الدولة التاسعة عشرة وقال بعضهم ومنهم مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) انهم خرجوا في عهد ساتي الثاني احد فراعنة هذه الدولة . وقال لبسيوس ودي روجه وشباس ولانرمان وسايس وبروغش وإبار وتابعهم في قولهم اكثر اهل العلم بهذا الفن في افرنسة وانكلترا والمانيا ان خروج بني اسرائيل كان في عهد منفتاح الاول ابن رعمسيس الثاني وعليه فرعمسيس هذا هو الذي شرع يضطهد بني اسرائيل واثقلهم ببناء المدينتين اللتين سميت احداهما رعمسيس باسمه كما سميت الاسكندرية باسم اسكندر وقسطنطينية باسم قسطنطين وانبأتنا الخطوط الهيروكليفية ان رعمسيس الثاني انما هو باني هذه المدينة وقد حققته خاصة اكتشافات ادوار نافيل في فيتوم مدينة رعمسيس الاخرى حيث كشف عن آثار عديدة لا تدع محلاً للامتراء في ان المدينتين بنيتا بامر رعمسيس لان اسم رعمسيس على كثير من هذه الآثار ومن جملتها تمثال رعمسيس نفسه مكتوباً عليه اسمه ست مرات وهو الان في جنة الاسمعيلية ثم انك تجد على مقربة من تل المسقوطة (حيث كان موقع فيتوم) صخراً كبيراً من الحجر المحبب (كرانيت) رسمت عليه صورة ملك جالس بين الهين فهذا الملك هو رعمسيس

88 (9)

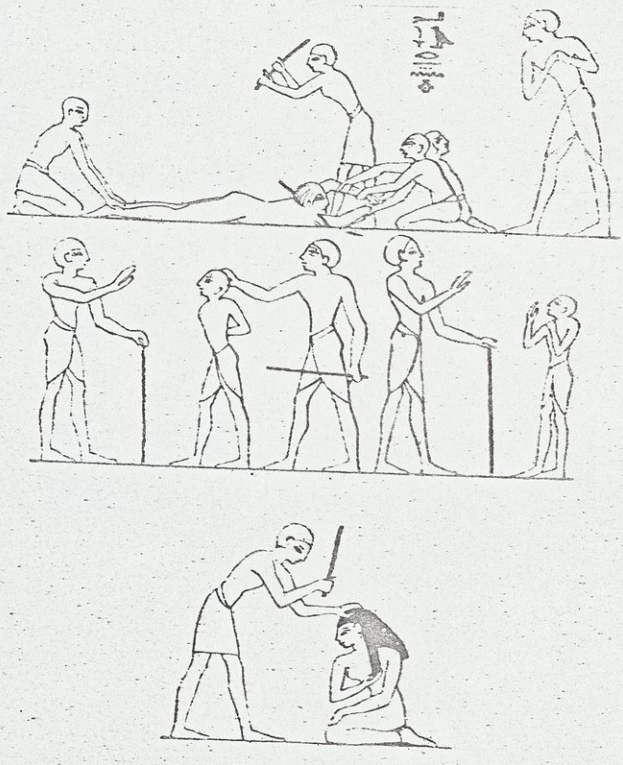

الثاني وقد نقش اسمه مكررًا على هذا الصخر والالهان بجانبه هما توم ورع وقد مر (في عد ١٧٦) ان فيتوم او بيتوم تأويلها بيت الاله توم او معبده مركبة من بَي او فَي بيت وتوم اسم الاله ويراد به عندهم الشمس عند غروبها ورع او امون رع يريدون به الشمس وقت خفائها وحول هذا الصخر اخربة كثيرة وكبيرة وهي بقايا لبن مصنوع من وحول النيل يخالطها التبن وكانت اسوار مدينة بيتوم مبنية بها حتى يمكن ان يثبت ان بعض بقايا هذا اللبن هي من عمل بني اسرائيل (طالع العدد ١٨٢)

قد وجد في منف بابير خُطَّ في عهد رعمسيس الثاني وهو الان في متحف لايد (في هولاندا) ترجمه العالم شباس فاذا به بيتان قاطعتان لصحة ما جاء في الكتاب من اعنات بني اسرائيل وتسخيرهم بابنية رعمسيس واليك البينة الاولى فمن مآل هذا البابير ان الكاتب كويسر يجيب رئيسه الكاتب (كان العمال يسمون كتبة) بكنفتاح عن شيء امره به فيقول « استرضاء لسيدي اتممت امره الذي انفذه اليَّ قائلاً اعطِ الجنود قوتهم واعطِ ايضاً العبريو (العبرانيين) الذين ينقلون الحجار لبناء البكهان (المخازن او الحصون العسكرية) الكبيرة للملك رعمسيس مريامان خليل العدل (العبرانيين) الذين وكل امرهم الى رئيس المدجايو (رجال الشحنة والضابطة) عنميان فانا اجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الاوامر السامية التي انفذها سيدي اليَّ »

والبينة الثانية هي رسالة اخرى كتبها الكاتب كِنيامن الى رئيسه كجاناهوي من المقربين الى رعمسيس الثاني فقال « اطعت ما امرني به سيدي قائلاً اعطِ الجنود ارزاقهم والعبريو ايضاً الذين ينقلون الحجارة لشمس الشمس (اي هيكل الشمس) الذي انصرفت اليه عناية رعمسيس مريمان في جنوب منف » فالبيتان قاطعتان خاصة اذا راعينا ان بني اسرائيل كانوا يعرفون في مصر

باسم عبرانيين ونرى فرعون نفسه يسميهم بهذا الاسم لانه قال لقابلتين « اذا استولدتما العبرانيات » وموسى نفسه قال « وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات » (خروج ف ١ ع ١٥ و ١٦)

ولما رأى رعمسيس ان اعنات العبرانيين واثقالهم بالاشغال الشاقة لا ينوله مأربه من انقاص عددهم عمد الى ذريعة اخرى بان امر قابلتي العبرانيات ان تقتلا كل ذكر يولد لهنَّ فاتقت القابلتان الله ولم تفعلا واحتجتا بان العبرانيات قويات يلدنَ قبل ان تدخل القابلة عليهنَّ فبارك الله القابلتين وعمر بيوتهما فاستشاط رعمسيس غضبًا فامر جميع شعبه امرًا فظيعًا ان يطرحوا في النهر كل ذكر يولد للعبرانيين ولم يكن الفراعنة يقدرون حياة الانسان حق قدرها تنبئنا بذلك الوف الرجال الذين كانوا يهلكونهم في بناء آثارهم وغيرها على ان امر فرعون هذا لم ينفذ الا في مدة وجيزة لاننا نرى عدد بني اسرائيل بعده بثمانين سنة قد اتصل الى ستماية الف مقاتل عند خروجهم من مصر وقد مر في كلامنا على الحثيين ان رعمسيس هذا غشى سورية بعساكره مرتين لمحاربة الحثيين والكنعانيين ونقش صورته ظافرًا على صخر في جانب نهر الكلب

﴿ عد ١٨٠ ﴾

مولد موسى ومنشأه في بيت فرعون وفراره من مصر

وكان ان رجلاً من سبط لاوي يسمى عمران او عمرام تزوج بابنة من قرائبه اللاويات اسمها يوكابد وسماها يوسيفوس (في تاريخ اليهود) يوكابل وابن الاثير يوحانذ فولدت له اولاً بنتًا سمتها مريم ثم ابنًا سمته هرون ثم ابنًا اخر رأته حسنًا وخافت عليه نفوذ امر فرعون به فاخفته ثلاثة اشهر ولما لم تستطع ان تخفيه بعد اخذت له سفطًا من بردي وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه ووضعته بين الحيزران على حافة النهر ووقفت اخته من بعيد لتنظر ما

يقع له فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها سائرات على شاطئ النهر فرأت السفط بين الخيزران فارسلت آمتها فاخذته ولما فتحته رأت فيه صبيًا يبكي فرقت له وقالت هذا من اولاد العبرانيين وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٢ ف ٥) ان ابنة فرعون هذه كان اسمها ترموتيس وذكرت الآثار المصرية لرعمسيس امرأة سمتها تمرنموت او تمرموت وتأويل هذا الاسم «محبوبة الالهة موت» وروى يوسيفوس ثمة ايضًا ان ابنة فرعون استدعت كثيرًا من المرضعات فلم يأخذ الطفل ثدي احداهنَّ فقالت حينئذٍ مريم اخته لابنة فرعون لا يأخذ الطفل ثدي ظئرٍ من غير امته فان امرتِ اتيتك بمرضع عبرانية فقالت اليَّ بها فاسرعت الفتاة فدعت ام الصبي فقالت لها ابنة فرعون خذي هذا الصبي وارضعيه وانا اعطيكِ اجرتك فاخذته وارضعته مع الحليب حب الاله الحق والغيرة على بني قبيلته وحفظ التقليدات العبرانية ولما كبر جاءت به ابنة فرعون فاتخذته ابنًا لها وسمته موسى وقالت لاني انتشلته من الماء فمعنى الكلمة النشيل لان لفظة مو في المصرية معناها الماء وايزاس او ساس معناها نشل

لم ينبئنا الكتاب شيئًا مما كان لموسى في بيت فرعون على ان التقليدات اليهودية التي رواها يوسيفوس (في الفصل الانف ذكره) تؤذن بان ابنة فرعون اقامت عليه اساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين وعنت بان تنكبه حسد الكهنة والمنجمين الذين كانوا يتوسمون فيه ذكاءً ساميًا ويخشون ما يكون في مقبل امره ويجعلون الملك واجسًا منه. ومن اقاصيصهم ان موسى سامت اليه قيادة الجيوش في حملة على الحبشة ولهم في ظفره فيها وفي تزوجه بتربيس بنت ملك الحبشة حكايات لا تصدق فنضرب عنها

ان رفاه عيش موسى وعزازته في بيت فرعون لم ينسياه الضيق الملم بشعبه فكان يكثر التردد بين اظهرهم معزيًا ومشجعًا لهم وخرج يومًا الى اخوته فاذا

مصريّ يضرب عبرانيًا فلم يتمالك موسى عن ان يثب على المصري ويقتله ويطمره في الرمل وخرج في اليوم التالي فاذا بعبرانيين يتضاربان فقال للمعتدي لِمَ تضرب قريبك فقال من اقامك رئيسًا وحاكمًا علينا اتريد ان تقتلني كما قتلت المصري فخاف موسى وعلم ان الخبر قد ذاع وان فرعون يريد قتله مدفوعاً الى ذلك بحسد المصريين له فهرب موسى من وجه فرعون

﴿ عد ١٨١ ﴾

اقامة موسى في بلاد مدين وزواجه فيها وعوده الى مصر

قد فرّ موسى الى ارض مدين وهي من بلاد العرب في شرقي البحر الاحمر وقد مر بك عند كلامنا في ولد ابرهيم من قطورة ان هولاء المدينيين الذين لجأ موسى اليهم هم كوشيون اصلاً وغير المدينيين ولد مدين ابن ابرهيم من قطورة الذين كانت مساكنهم في شرقي البحر الميت وان بعض العلماء يرى ان للشعبين اصلاً واحدًا وانبأنا الكتاب (خروج ف ٢) ان موسى قعد عند بئر في ارض مدين فجاءت بنات رعوئيل كاهن مدين الذي يسميه الكتاب يترو او يثرون ايضًا ويسميه العلماء العرب شعيب فاستقينَ وملأنَ المساقي ليسقينَ غنم ابيهنّ فطردهنّ الرعاة فانتصر لهنّ موسى وسقى غنم ابيهنّ فاخبرنَ اباهنّ بما فعله الرجل اليهنّ فاستدعاه وشكر له واكرم مثواه ورغب اليه ان يقيم عنده فارتضى موسى ووكل اليه يثرون العناية بماشيته وزوجه صفّورة ابنته فولدت لموسى ابنًا سماه جرشوم وقال كنت نزيلاً في ارض غريبة فتأويله الغريب او النزيل ثم ولدت له ابناً ثانياً سماه اليعازر وقال ان اله ابي ناصري انقذني من يد فرعون فتأويله عون الرب او انجاده

ان موسى اقام في ارض مدين اربعين سنة وكان عمره اذ هرب اليها اربعين سنة وقام على قيادة بني اسرائيل اربعين سنة فجملة سني عمره مئة

وعشرون سنة كما جاء في الفصل الاخير من سفر التثنية وعليه فما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج من تجلي ملاك الرب له في جبل حوريب بلهيب نار في وسط العليقة كان في السنة الثمانين من عمره والاخيرة من سني اقامته في ارض مدين لان موسى همَّ بالعود الى مصر بعد هذه الرؤيا التي افتتح الله بها رسالته الى فرعون ليطلق الشعب اذ جاء في الكتاب ان موسى مال لينظر ما بال العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق فناداه ملاك الرب من وسط العليقة قائلاً اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذي انت قائم فيه ارض مقدسة وكان خلع النعلين في المشرق خاصةً دليلاً على الاحترام والتهيب وناجاه الرب قائلاً انا اله ابائك ابرهيم واسحق ويعقوب وقد نظرت الى مذلة شعبي في مصر فالان تعال ابعثك الى فرعون واخرج شعبي من مصر فقال له موسى من انا حتى امضي الى فرعون واخرج بني اسرائيل من مصر فقال له الرب انا اكون معك فقال له موسى ها انا سائر اليهم وقائل لهم ان اله ابائكم بعثني اليكم فان قالوا لي ما اسمه فماذا اقول لهم فقال له الرب انا هو الذي هو انا الكائن اي انا القيوم انا هو الازلي والابدي انا هو الذي لا يتغير بل هو دائمًا هو فقال موسى لا يكفيهم هذا بل يقولون لي لم يتجلَ لك الرب وكانه يطلب من الرب اية فقال له الرب ما تلك التي بيدك قال عصا قال القها على الارض فالقاها فصارت حية فهرب موسى من وجهها فقال له الرب امدد يدك وامسك بذنبها ففعل فعادت عصا في يده . ثم قال له ادخل يدك في جيبك فادخلها واخرجها فاذا يده برصاء كالثلج فقال له اردد ها الى جيبك فردها واخرجها فعادت كسائر بدنه فصدق موسى قوة الله واستمر مترددًا بقوة نفسه فقال رحماك يارب اني بطيء النطق وثقيل اللسان فقال له الرب من الذي خلق للانسان فما ومن الذي يخلق الاخرس والاصم والبصير والاعمى اليس اياي انا الرب

والان فامضِ فاني اكون مع فيك واعلمك ما تتكلم به فقال رحماك يارب ابعث من انت باعثه فاتقد غضب الرب على موسى واسمعه ان اخاه هرون يكون معه وهو يخاطب الشعب عنه وأمره ان يأخذ بيده العصا التي صارت حية فمضى موسى ورجع الى يترو حميه واعلمه بانطلاقه الى اخوته فشيعه بالسلام فأخذ موسى امرأته وولديه واركبهم الحمير كعادة المصريين الى اليوم ولما كان في الطريق في المبيت التقاه ملاك الرب واراد قتله فاخذت صفورة صوانة فقطعت قلفة ابنها ومست رجليه وقالت انت لي عروس دم فكف عنه عندما قالت عروس دم من اجل الختان . لا تخلو آيات الكتاب هذه من غموض وكثرت الاقوال في تفسيرها واظهرها ان الملاك اراد قتل موسى لمخالفته السنَّة بترك ختان ابنه اليعازر لان ابنه الاكبر جرشوم كان اختتن وعرفت صفورة امرأة موسى علة ارادة الملاك اهلاكه فاخذت الصوانة وختنت ابنها والضمير فى رجليه من قوله مست رجليه عائد الى موسى على الاظهر لا الى ابنها فمست رجلي موسى وقالت انت لي عروس دم كانها تقول ان الملاك كان يريد قتلك فاستحييتك بختان ابنك فكانك لي عروس جديد بالدم الذي وقيتك به الهلكة وكف الملك عنه بعد الختان فظهر ان ترك الختان كان علة لطلبه اغتياله . والتقى هرون موسى في البرية فقص موسى عليه جميع كلام الرب الذي بعثه به واخبره بالايات التي امره بها ومضيا الى مصر فجمعا شيوخ بني اسرائيل كلهم وخاطبهم هرون بما كلم الرب به موسى وصنع الايات على عيون الشعب فخروا وسجدوا شاكرين لان الرب افتقدهم

عدد ١٨٢

مخاطبة موسى وهرون فرعون ليطلق بني اسرائيل
وما كان من قسوته

قد مرَّ بك ان فرعون الذي كان يلي مصر لدن عود موسى من مدين انما هو منفتاح ثالث عشر ابناء رعمسيس الثاني فقد كتب على جدار هيكل صيوا انه كان لرعمسيس مئة واحد عشر ولدًا فمات في ايامه الاثنا عشر الاولون وخلفه منفتاح والبابيرات الكائنة الآن في متاحف لندرة وبولنية وتورينو وقد خطت في عهد منفتاح هذا انبأتنا انه كان يقيم في مصر السفلى اي في منف وهليوبولي (المعروفة اليوم بالمطرية) ورعمسيس مدينة ابيه (تل المسقوطة) وتانيس (صان في قرب الزقازيق) وهذه المدن مجاورة ارض جاسان او واقعة فيها وفي الاخيرة منها اي في تانيس كان يحاول مقاومة ارادة الله باطلاق شعبه وما في هذه البابيرات يطابق ما رواه موسى مكانًا وزمانًا ويتبين منها ان منفتاح كان قاسيًا فظًا يعتمد على السحرة كما جاء في سفر الخروج وكان الليبيون وثبوا على تخوم مصر الغربية في عهد رعمسيس الثاني فانتصر عليهم وبدد شملهم فتألبوا بعد موته مع سكان جزر البحر المتوسط وبعض اسيا الصغرى ويظهر ان بعض السوريين شايعوهم فوثبوا على شمالي مصر بحرًا وبرًا فروعوا المصريين ولكن استظهر عليهم منفتاح واخذ منهم ٩٣٧٦ اسيرًا وفصلت ذلك خطوط نقشت على جدار مدينة ابو وهيكل الكرنك ونبهت هذه الاحداث منفتاح الى زيادة الحذر من الاجانب ولاسيما من توطنوا في شمالي مصر الشرقي اي العبرانيين خشية ان ينشئوا شغبًا في مملكته او يضافروا من غزاها وقد كتب هذا الملك على هيكل الكرنك ما يشير الى ذلك وهو « ان هذه الاماكن او احدها لم تكن تحرث بل تركت

مرعى للماشية من جرى البرابرة (الاثر محطم فلم تكن وسيلة لتعيين المحل) وقد تواتر السطو في هذا المكان منذ عهد السلف لما كان ملوك مصر العليا رقدًا في ظلال اثارهم وكان ملوك مصر السفلى ينعمون في مدنهم تحدق بهم مواطن العثوّ والفساد ولم يكن لجنودهم من منجد لبكت اولئك ، روى ذلك شباس (في كتابه الموسوم بدرس القدم التاريخي صفحة ٢٠٤) وقال ان هذا الكلام مؤذن بارتباك منفتاح من جرى تزايد عدد البرابريين في عمل من بلاده كثر فيه من اقدم الايام السطو والعثوّ حتى لم تكن ارضه تحرث لعدم الامن على استغلالها من مهاجمات العرب وغيرهم فكيف ان عظم فيه عداد اجنبيين واشتد ساعدهم فلا منجاة منهم الا باذلالهم وتقليل عديدهم ما امكن . فرأف الله بشعبه وبعث موسى وهرون الى هذا الملك ليطلبا اطلاق بني اسرائيل

قال الكتاب (خروج ف ٥ ع ١ وما يليه) ، دخل موسى وهرون وقالا لفرعون كذا قال الرب اله اسرائيل اطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب فاسمع لقوله واطلق اسرائيل ... وامر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريهم قائلا لا تعطوا الشعب تبنًا بعد ليصنعوا اللبن مثل امس فما قبل بل ليذهبوا هم ويجمعوا لهم تبنًا ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه امس فما قبلُ افرضوه عليهم ولا تنقصوا منه شيئًا ... ليثقل العمل على الشعب فيشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب . فخرج مسخرو الشعب ومدبروهم وخاطبوا الشعب قائلين كما قال فرعون ، فتفرق الشعب في جميع ارض مصر ليجمعوا جذامة عوض التبن والمسخرون يلحون عليهم قائلين اكملوا اعمالكم فريضة كل يوم في يومها كما كان وقت اعطاء التبن وضُرِب مدبرو بني اسرائيل الذين ولاّهم عليهم مسخرو فرعون ، ان الجذامة من الزرع هي ما بقي بعد الحصاد كما في كتب اللغة والكلمة في العبرانية قش وفي النسخة

السريانية ܫܩܫ ولحدا وقد ارتبك العلماء في تفسيرها فقد ترجمها بعضهم بالجذامة كما رونا عن نسخة الاباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت ويظهر انه اعتاص على القديس ايرونيموس لدى ترجمته سفر الخروج من العبرانية فهم المقصود بكلمة قش فلم يترجم الاية كلمة فكلمة بل اقتصر على قوله « تفرق الشعب في ارض مصر كلها ليجمع التبن » والتوى على كلمت ايضاً تفسير الآية فقال « تفرق الشعب لجمع العصيفة اي التبن الدقيق المهمل في الحقل بدلاً من التبن الذي كانوا يعطونه قبلاً » وقرائن كلام الكتاب تقضي بان يكون ما جمعه بنو اسرائيل غير التبن المعتاد على ان الاكتشافات المصرية ابانت لنا ان كلمة قش التي ذكرها موسى في هذه الاية انما هي مصرية يراد بها نبات يكثر وجوده على شواطي النيل والاقنية المتفرعة عنه ويترجح انه البردى الذي تعمل منه الحصر او ما تسميه عامتنا السعد فقد وجد العالم نافيل صاحب اكتشافات تل المسقوطة في ارض جاسان ما لا يقدر من هذا اللبن وحلل كثيراً منه فوجد بعضه يخالطه عصيفة من البردى وبعضه مخلوطاً بالتبن وبعضه مصنوعاً من وحول النيل ليس الا واليك قوله في خطبته التي قدمها سنة ١٨٨٣ في المجتمع الاول العام في شان الاكتشافات المصرية « ان قسماً من هذا اللبن يخالطه التبن او افلاذ من البردى (او القصب المراد به كل نبات اصله انابيب) وآثارها بينة وقسماً اخر منه مصطنع من وحول النيل وحدها لا يرى اثراً للتبن فيه » وقد لاحظ الدكتور لبسيوس ان اللبن الذي وجد في تل المسقوطة وقد كان مبنياً فيه سور مدينة رعمسيس القديمة يخالطه تبن مجذم ونقل بعضه الى متحف برلين وقاسه فكان طول كل لبنة منه ٤٤ وعرضها ٢٤ سنتيمتراً وثخانتها ١٢ سنتيمتراً . وقد اكتشفت شركة قناة السويس هناك طبقة من التراب المعد لاصطناع اللبن واصطنعت منها اجراً جديداً كما ذكر فردينند دي

لاسبس في خطبته في نانت التي طبعت في بريس سنة ١٨٦٧ حيث قال « ان يعقوب اقام في الوادي حيث كشفنا عن القناة القديمة المتفرعة من النيل وهناك وجدت اخربة رعمسيس (المسقوطة) المدينة التي ذكرها الكتاب وحيث كان العبرانيون يصنعون اللبن الشهير فشركة القناة البحرية وجدت عند حفرها في رعمسيس طبقات من التراب الذي كان العبرانيون يعملون منه لبنهم فصنعت منه الشركة لبناً بنت به الاسماعلية »

وقد وجدت صورة في القرنة بجانب تاب (طيبة) على مدفن رجل يسمى رخمارا احد عمال توتمس الثالث تمثل اكمل تمثيل ما جاء في سفر الخروج عن التسخير بصنع اللبن فترى في هذه الصورة هيئة رجال غير مصريين يميزهم لونهم عن الوطنيين والتقليد موضح بانهم اسرى اخذهم الملك لبناء هيكل ابيه عمون وترى من هولاء الاجانب من يحفر التراب بالمعاول ومن يدلي الماء وغيرهم يعجن الطين وغيرهم ينقله قبل اصطناعه وبعضهم يضغطه بملزم من خشب وبعض الاسرى يحملون اللبن على عواتقهم وبعضهم ينقلونه الى محل بناء الهيكل وبيد بعض المصريين عصي وهم يعنتون العملة بقسوة لاتمام ما فرض عليهم وقد رأى كثير من اهل العلم بالاثار المصرية منهم روزالليني (في كتابه في اثار مصر والنوبة مجلد ٢ صفحة ٢٥٤) ان هذه الصورة تمثل بني اسرائيل مسخرين بعمل اللبن . واليك مثالا من هذه الصورة

﴿ عد ١٨٣ ﴾

﴿ في ضربات مصر (١) وهي آيات الله فيها على يد موسى وهرون ﴾

قد امر الله موسى وهرون ان يعودا الى فرعون فعادا ومعهما العصا التي صارت ثعباناً في حوريب فدخلا على فرعون فلم يعجب لحمل هرون عصا اذ

(١) سماها ابن خلدون الجوائح جمع جائحة وهي الشدة والنازلة العظيمة

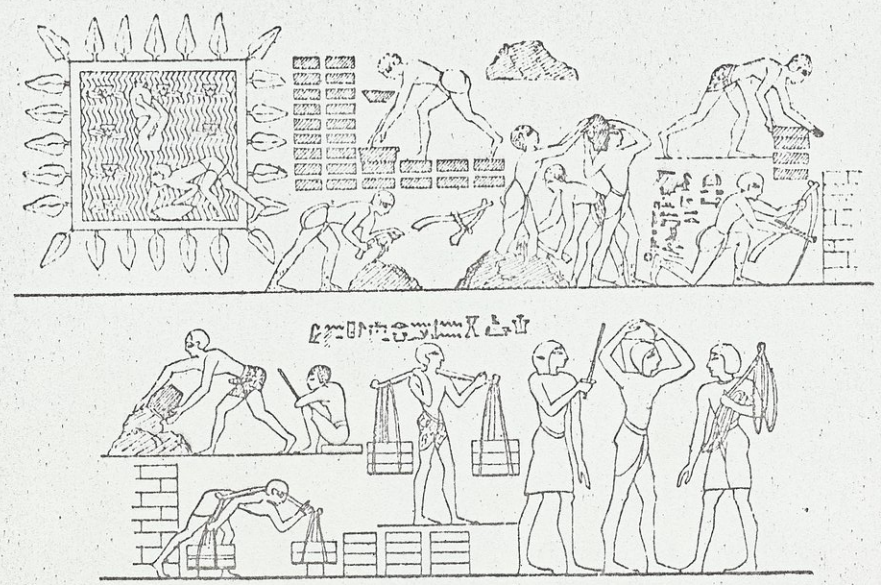

صورة عن مدفن وخمارا احد عمال توتمس الثالث في القرنه بجانب تاب

كانت عادة الكهنة والاعيان في مصر ان يحملوا في يدهم عصا وكثيراً ما ترى صوراً لكهنة واعيان وبيدهم عصي وقد توفر في متاحف اوربا عدد هذه العصي القديمة من اخشاب متنوعة واكثرها من الاكاسيا فطلب فرعون منهما آية يثبتان بها قوة الاله الذي ارسلهما . فالقى هرون عصاه بين يدي فرعون وعبيده فصارت ثعباناً فدعا فرعون ايضاً الحكماء والعرافين فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم التي كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين . فابتلعت عصا هرون عصيهم ، (خروج ف ٧) بياناً لعظمة اله اسرائيل . وقد حفظ التقليد اسمي ساحرين من سحرة فرعون هولاء ذكرهما بولس الرسول (في رسالته الـ ٢ الى تيموثاوس ف ٣ ع ٨) وهما « ياناس ويمبراس » وعسى الاكتشافات تأتينا يوماً باسمهما . وقد اشتهرت مصر في كل عصر بسحرتها وعرافيها وكان من عادة الفراعنة ان يستدعوهم اليهم في كل امر خطير كما نرى فرعون في عصر يوسف استقدمهم لتعبير احلامه . وقد رأى اكثر القدماء من مفسري الكتاب ان صيرورة عصي سحرة فرعون ثعابين كانت تخيلاً لا حقيقة ونسبوا ذلك الى قوة ابليس اذ جعل اعين الناظرين ترى عصي السحرة بهيئة حيات واما الان فاكثر المفسرين على اعزاء ذلك الى صناعة الرقية التي كانت معروفة من اقدم الايام في مصر ولا نحتاج في بلادنا الى شرحها اذ قل بيننا من لم يتفق له ان يرى احداً من هولاء الراقين يحملون الحيات على اعناقهم وايديهم ويلعبون بها كيف شأوا ويستخرجونها من خباياها بالصفير والتلفظ ببعض كلمات وقد جاء ذكر الرقية مكرراً في الكتاب منه (في مزمور ٥٧ ع ٥) « لهم سم كسم الحية الافعى الصماء التي تسد اذنها فلا تسمع صوت الحواة ولا رُقى راقٍ ماهر » ومنه (في نبوة ارميا ف ٨ ع ١٧) « هآنذا ابعث فيكم حيات افاعٍ لا تُرقى فتلدغكم يقول الرب » وذكر الرقية من القدماء استرابون

(ف ١٧) وبلين (في التاريخ الطبيعي ف ٧) وغيرهما فعلى رأي القدماء انه خيل الى الناظرين بفعل ابليس ان عصيهم تسعى وجاء في القرآن ، فاذا حبالهم وعصيهم يخيَّل اليه من سحرهم انها تسعى ، وعلى رأي المتأخرين ان السحرة كانوا حواة اعدوا حيات وارسلوها بدل عصيهم في مجلس فرعون فسعت لكن ابتلعتها عصا هرون بيانا لعظمة اله اسرائيل . ومع ذلك تقسى قلب فرعون ولم يسمع لموسى وهرون

فامر الله موسى ان يمضي بالغداة الى فرعون على شاطي النهر وبيده العصا التي انقلبت حية وان يضرب بها ماء النهر فينقلب دماً فصنع كذلك موسى وهرون ، رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر على مشهد فرعون وجميع عبيده فانقلب جميع الماء الذي في النهر دماً والسمك الذي في النهر مات وانتن النهر فلم يستطع المصريون ان يشربوا من ماء النهر وصار الدم في جميع ارض مصر . . . وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليشربوا ماء ، (خروج ف ٧ ع ٢٠ وما يليه) وهذه الضربة الاولى من الضربات العشر الاتي ذكرها ومما نلاحظه فيها انها اذا اعتبرت بنفسها مجردة عن ظروفها وقرائن حدثها كانت طبيعية واذا اعتبرت بظروف مكانها وزمانها واتزالها بكلمة وانقضائها بكلمة الى غير ذلك من القرائن الملازمة لها كانت آيات ومعجزات حقة فاحمرار ماء النيل مثلاً يحصل في كل سنة في شهر تموز عند بدء فيضان مائه لما يمازجه من الوحول لكن انقلابه دماً في غير وقت فيضانه (لان الظاهر من الكتاب ان تلك النقمة كانت في اواسط شباط) وبضربة عصا وموت السمك فيه ونتانة النهر وامتداد ذلك الى احواض المصريين وآنية استقائهم وعدم سريان ذلك الى جاسان حيث مساكن العبرانيين ذلك كله آية لا يقدر عليها الا من هو على كل شيء قدير . وكذا قل في آيات الضفادع والجراد

والبرد الى غيرها فتلك المصائب يكثر نزولها في مصر على ان نزولها بمجرد كلمة يتلفظ بها موسى وفي غير حينها المعتاد ووفرتها الخارقة العادة وانكفائها من فور امر موسى إن ذلك الا آية معجزة . وكثيرًا ما تستند عناية الله في صنع المعجزات الى الفواعل الطبيعية معظمة قواها ومبرزة افعالها في غير حينها وهذا لا يخرجها من حيز المعجزات

الضربة الثانية بالضفادع فقد جاء في سفر الخروج (ف ٨) ان الرب امر موسى ان يدخل على فرعون طالبًا اطلاق الشعب واذا ابى ضرب تخوم مصر كلها بالضفادع فتقسى قلب فرعون فمد هرون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت ارض مصر وانتشرت في البيوت والمخادع وعلى الاسرة والناس وفي التنانير والمعاجن فدعا فرعون موسى وهرون وقال اشفعا الى الرب ان يرفع الضفادع عني وعن شعبي حتى اطلق الشعب فقال له موسى اقترح علي متى تشاء ان اشفع فيك فتقطع الضفادع قال غدًا قال موسى سيكون كما قلت لتعلم ان ليس للرب الهنا نظير وفعل الرب كما قال موسى وماتت الضفادع من البيوت والاقنية والحقول فجمعوها كومًا كومًا وانتنت الارض منها . وكان المصريون يعبدون من اقدم الايام اي من عهد الدولة الخامسة الهًا يقيهم ازعاج الضفادع وغيرها من الدبيب والذباب وترى في آثارهم صور آلهة وعلى رأسها ضفدع منها في متحف بولاق تمثال اله وعلى رأسه ضفدع وفي دندرة صورة كتب عليها « وجهك اشبه بوجه ضفدع » وكانوا يحسبون النيل الهًا ويعبدونه فاراد الله بآياته ان يذل النيل بالضربة الاولى محولاً ماءه دمًا وان يذري بالهة الضفادع بالضربة الثانية ليظهر للمصريين عجز هذه الالهة عن وقاية عبادها بل اتيانها بنفسها عليهم بالمضرة .

« ولما رأى فرعون انه قد حصل الفرج صلب قلبه ولم يسمع لهما » اي

لموسى وهرون فابلاه الله بالضربة الثالثة فان هرون مدّ يده بعصاه بحسب امر الرب فضرب تراب الارض فكان البعوض على الناس والبهائم حتى خيّل ان كل تراب الارض صار بعوضاً في جميع ارض مصر . ان كلمة البعوض في العبرانية قينيم وقال اوريجانوس (في خطبته الـ ٤ في الخروج) في وصفه البعوض « هو حيوان صغير يحمله الهواء وهو دقيق حتى لا تراه الاعين من يحدّق اليه ويؤلم الجسم بمنخسه الحادّ » ووصفه هيرودت (في ك ٢ من تاريخه) بانه يزعج الناس ويقتلهم وهم جلوس على موائدهم ويحرمهم النوم ويمتص الدم ويكسي الجسم لذعات أليمة وعليه فهو ما تسميه عامتنا الناموس او السكيت وهذا البعوض يكثر في مصر ولذلك يظهر من الآثار المصرية ان ستائر الاسرة (وهي الناموسيات بلغة عامتنا) تقادم عهد استعمالها في وادي النيل وترى بين هذه الآثار صوراً تمثل اشخاصاً بيدهم مراوح يراوحون بها وقاية لاعيانٍ من لذع هذا البعوض على ان البعوض الذي ابتلى الله به المصريين كان خارقاً العادة وشرائع الطبيعة حتى خيل ان تراب مصر كله صار بعوضاً وانمحق بكلمة من موسى

ان سحرة فرعون صنعوا ما صنعه موسى وهرون في الجائحتين السالف ذكرها فانهم حولوا الماء الى هيئة دم واوجدوا ضفادع في حضرة فرعون وكان لهم في ذلك وجهان الاول انهم حمروا الماء بصبغ القوه فيه بخفة لا تدركها عيون الحاضرين ونقلوا بعض الضفادع بصنعة كذلك من مستنقع الى حضرة فرعون واعوانه . والثاني انهم عملوا ذلك بحيلة شيطانية سمح الله بها لمقاصد عنايته التي تعلو المدارك البشرية ولتقسية قلب فرعون ليفرغ الله نقمه به وبشعبه على انهم حاولوا في الضربة الثالثة اخراج البعوض فلم يكن لهم اليه سبيل فقالوا لفرعون « هذه اصبع الله » ومع هذا ظل قلبه متقسياً . قال برجيا (في معجم اللاهوت

الاعتقادي في كلمة سحر وسحرة) ما ملخصه « ليس ما يحملنا على ان نفترض ان سحرة مصر اتوا بشيء خارق لشرائع الطبيعة والكتاب يبين لنا عكس ذلك فكان للسحرة وقت يعدون به ما شأوا فان فرعون استقدمهم وحولوا عصيهم حيات ورقية الحيات وانتزاع قوتها على اللدغ امر مستفاض في مصر والهند بل في بعض اقاليم اوربا ايضاً حيث يتجر بالحشرات فشيء من الذكاء وخفة الحركة كان كافياً للسحرة ليخيلوا ان عصيهم استحالت حيات . على ان تحويل ماء النيل دماً وفساده بضربة عصا آية تفوق الطبيعة واما صبغ ماء في حوض او اناء بلون الدم فلا شيء من المعجز فيه وكذا مد يد هرون الى النيل واخراجه منه ضفادع تغطي ارض مصر ثم اماتتها من فور امر موسى آيتان حقتان واما ايجاد بعض الضفادع بحيلة ما امام فرعون فلا معجزة فيه »

لم تنجع الجوائح الثلث في فرعون ولا قرار سحرته بان هذه اصبع الله فضربه الله بالضربة الرابعة وهي انه ارسل عليه وعلى عبيده وشعبه وبيوته الذبان حتى امتلأت منها بيوت المصريين والارض التي هم عليها وميز ارض جاسان المقيم فيها شعب الرب فلم يكن ثم ذبان (خروج ف ٨ ع ٢١ وما يليه) ان كلمة الذبان في هذه الاية بالعبرانية عَرب ومدلولها الخلط والامتزاج فيمكن ان يكون المراد كل صنف من الذباب دون تعيين صنف على ان الذبان في مصر من آفاتها المنكدة العيش وما اعظم تنكيدها وقد ارسل الله على المصريين منها ما فسدت الارض من قبله كما صرّح الكتاب فكانت هذه الضربة قاسية حتى نرى فرعون اخذ يتساهل اذ قال لموسى وهرون « امضوا اذبحوا لالهكم في الارض فقال موسى ليس من الصواب ان نصنع ذلك لاننا انما نذبح للرب الهنا ما هو رجس عند المصريين أفنذبح بحضرتهم ما هو رجس عندهم ولا يرجمونا » قال كلمت في تاريخ العهد القديم ان المصريين كانوا يعبدون بعض

الحيوان فلا يطيقون ذبح العبرانيين له وقال دوهربخر (في تاريخه البيعي) ما ملخصه ان حكماء المصريين كانوا يجعلون بعض الحيوان ممثلاً للاله فيجعلون كبش الغنم او تيس الماعز قائد القطيع مثالاً للرب مدبر الكون والحيوان الكثير النتاج مثالاً للاله الخالق والنسر الحادّ البصر مثالاً للاله الذي يرى كل شيء وكان للثور والبقرة في عرفهم وفي لغتهم السرية والهيروكليفية رموز ودلائل على امور مقدسة ولم تكن عامتهم تدرك هذه الاسرار فكانت تسجد وتعبد هذه الحيوانات لا بما انها ممثلة للاله فقط بل لاعتقادهم فيها شيئاً من الالوهية ولا اقل من اجلالها كاشياء مفردة لله ، فيستآون من العبرانيين اذا ذبحوها لالههم . فقال فرعون انا اطلقكم لتذبحوا للرب الهكم في البرية ولكن لا تبعدا في المسير واشفعا فيّ وخرج موسى من عند فرعون فشفع الى الرب فرفع الذبان عن فرعون وعن عبيده وشعبه ولم يبقَ واحدة

لكن فرعون صلّب قلبه هذه المرة ايضاً ولم يطلق الشعب فضربه الرب بالضربة الخامسة وهي وباء شديد اصاب الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم فماتت مواشي المصريين ولم يمت شيء من جميع ما هو لبني اسرائيل وارسل فرعون فاذا مواشي اسرائيل لم يمت منها واحد (خروج فصل ٩) ومثل هذا الوباء يصيب احياناً المواشي في مصر فيلجأ اهلها الى شراء البقر من سورية وجزائر البحر المتوسط لكنه لا يشتد اشتداده في ضربة موسى ولا تمتاز به مواشي مصري عن مواشي عبراني . وقد قسا قلب فرعون هذه المرة ايضاً ولم تلينه ضربة الماشية فضربه الله وشعبه في اجسادهم بالجائحة السادسة وهي القروح فان موسى وهرون اخذا بحسب امر الرب ملء راحتيهما من رماد الاتون وذراه موسى الى السما على مشهد فرعون فصار غباراً في جميع ارض مصر وصير في الناس والبهائم قروحاً وبثوراً منتفخة ولم يستطع السحرة ان يقفوا

بين يدي موسى من اجل القروح ولا يمكن تعيين هذا المرض الا بكونه من الامراض الوبائية وقد اصاب كل طبقةٍ من الناس كما اشار اليه الكتاب بذكره السحرة ومع ذلك قسا قلب فرعون ايضاً فضربه الرب الضربة السابعة بالبرد اذ مد موسى عصاه نحو السماء فارسل الرب بروقاً ورعودًا وبردًا على ارض مصر لم يكن مثله منذ يوم اسست مصر فامات الناس والبهائم وايبس العشب وكسّر جميع الشجر ولم يكن شيء من البرد في ارض جاسان التي فيها بنو اسرائيل وكان موسى انذرهم بانه اي انسان او بهيمة وجد في الصحرآء ولم يأوِ الى المنازل ينزل عليه البرد فيموت فمن خاف كلام الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده وماشيته الى البيوت ومن لم يوجه قلبه الى كلام الرب ترك عبيده وماشيته في الصحرآء فمات وقد عين الكتاب وقت انزال هذه الضربة بقوله « اذ كان الشعير مسبلاً والكتان مبزرًا » ويكون ذلك في مصر في شهر اذار واما الحنطة والقطاني فلم تتلف لانها كانت متأخرة « على انها اتلفها بعد ذلك الجراد كما سيجيء وذكر الكتاب نارًا مع البرد والارجح ان المراد بها البروق المتتالية ولما عظمت الجائحة « استدعى فرعون موسى وهرون وقال لهما قد خطئت هذه المرة ايضاً الرب عادل وانا وشعبي منافقون فاشفعا الى الرب فحسبنا ما نالنا من اصوات الرعود والبرد فاطلقكم ولا تعودوا تمكثون ... فخرج موسى وبسط يديه الى الرب فكفت الرعود والبرد ولم يعد المطر يهطل على الارض » (خروج فصل ٩)

وقد عاد فرعون الى معصيته واخلف موسى ما وعده ولم يؤذن الا في انطلاق الرجال من بني اسرائيل واخيرًا طرد موسى وهرون من بين يديه فعاقبه الله بجائحة الجراد وهي الثامنة فانه امر موسى ان يمد عصاه على ارض مصر فساق ريحًا شرقية على الارض طول ذلك اليوم وطول الليل فحملت

الريح الجراد على جميع ارض مصر واستقر عليها كثيرًا جدًّا لم يكن قبله جراد مثله ولا يكون بعده كذلك فغطى وجه الارض حتى اظلمت واكل جميع عشبها وجميع ما تركه البرد وثمر الشجر حتى لم يبقَ شيءٌ من الخضرة فبادر فرعون واستدعى موسى وهرون وقال قد خطئت الى الرب الهكما واليكما والان فاصفحا عن ذنبي هذه المرة واشفعا الى الرب الهكما ان يرفع عني هذه التهلكة فخرجا من عند فرعون وشفع موسى الى الرب فردَّ ريحًا غربية شديدة جدًّا فحملت الجراد وطرحته في بحر القلزم ولم يبق جرادة واحدة في ناحية من نواحي مصر ولكن قسى الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل فابتلاه الله بالضربة التاسعة وهي ان موسى مد يده نحو السماء فكان ظلام مدلهم في جميع ارض مصر ثلاثة ايام لم يكن الواحد يبصر اخاه ولم يقم احد من مكانه ولجميع بني اسرائيل كان نور في مساكنهم (خروج ف ١٠) وقد وصف كاتب سفر الحكمة (ف ١٧ و ف ١٨) شدة هذه الجائحة فما قاله « لم يكن في قوة النار مهما اشتدت ان تأتي بضياء ولا في بريق النجوم ان ينير ذلك الليل المدلهم ... حينئذٍ بطلت صناعة السحر وشعوذته وبرز على افتخارهم بالحكمة حجة مخزية ... اما اولئك فكان جديرًا بهم ان يفقدوا النور ويحبسوا في الظلمة لانهم حبسوا بنيك الذين بهم سيمنح الدهر نور شريعتك الغير الفاني » والاظهر ان النقمة لم تكن بمجرد الظلام المدلهم خاصة لانه جاء في سفر الحكمة ذكر اصوات قاصفة تدوي من حولهم واشباح مكفهرة تترآى امام وجوههم ومرور وحوش وفحيح افاعي وقعقعة حجارة متدحرجة وزئير وحوش ضارية الى غير ذلك وقد رأى الاب فيكورو (مجلد ٢ صفحة ٣٣٦) ان الظلام حصل بامر الله ان يشتد السموم المعروف في مصر بالخمسين اشتدادًا خارقًا العادة واستشهد لذلك بان آية سفر الخروج المنبئة بذلك انما هي في الترجمة السبعينية مؤذنة بهذا

المعنى وبان اوريجانوس قال (في تفسير بشارة متى) « ان الظلام المدلهم كان في مصر ثلاثة ايام لا من قبل انتقاص نور الشمس ولا من قبل تكاثف السحب المظلمة ولا من قبل كثافة الهواء » وقد كانت هذه الضربة موجعة اذ نراها جعلت فرعون يستدعي موسى ويؤذن في انطلاق الشعب واطفالهم بشرط ان يتركوا غنمهم وبقرهم فقال له موسى تعطينا ذبائح ومحرقات نقربها للرب الهنا فمواشينا ايضاً تمضي معنا لا يبقى منها ظلف فقال له فرعون امضِ عني واحذران تعود النظر الى وجهي فانك يوم تنظر وجهي تقتل فقال موسى نعماً قلت لا اعاود ارى وجهك ايضاً

وقال الرب لموسى قد بقيت ضربة واحدة انزلها على فرعون والمصريين وبعد ذلك يطلقكم من ههنا جملةً بل يطردكم طردًا فكلِّم الشعب ان يطلب الرجل من صاحبه والمرأة من صاحبتها امتعة من فضة وذهب وانا آتيهم حظوة في عيون المصريين فيعطونهم ما يسألون ومضى بنو اسرائيل فصنعوا كما امر الرب « ولما كان نصف الليل ضرب الرب كل بكرٍ في جميع ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الاسير الذي في السجن وجميع ابكار البهائم وكان صراخٌ عظيم في مصر حيث لم يكن بيت الا وفيه ميت » (خروج ف ١١ و ١٢) وهذه هي الجائحة العاشرة والاخيرة وقال فيها صاحب سفر الحكمة (ف ١٨ ع ١٢) « وكان لكلهم اجمعين اموات لا يحصون قد ماتوا ميتة واحدة حتى ان الاحياء لم يكفوا لدفن الموتى » واما بنو اسرائيل فذبحوا في ذلك المساء خروف الفصح بحسب ما امر الرب موسى ورشوا من دمه على ابوابهم فعبر ملاك الرب عن بيوتهم بضربته فلم يمسهم ضرّ فدعا فرعون موسى وهرون ليلاً وقال قوما فاخرجا من بين شعبي انتما وبنو اسرائيل بغنمكم وبقركم وامضوا اعبدوا الرب وباركوني ايضاً والحّ المصريون على الشعب

ليعجلوا اطلاقهم لانهم قالوا قد متنا باجمعنا فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر واخذوا ما اعارهم المصريون من امتعة فضة وذهب وثيابًا وكان ذلك يحق لهم مكافاةً عن اتعابهم في بناء مدن واقنية . وقد يمكن ان يكون الملاك المهلك اباد الابكار بوباء او بوسيلة اخرى تنفّذ امر الرب على انه لا يمكن ان تكون هذه التهلكة بوباء طبيعي كما ادّعى بعض منكري الوحي لا سيما لشمول الموت الابكار وحدهم ولا وجه طبيعي لذلك

لا عجب من اننا لا نجد اثرًا مصريًا ينبئنا بهذه الجوائح لانها مصائب نزلت بهم لعصيانهم وهي مخزية لهم وحاطة من شأنهم وقد لاحظ اهل العلم بالآثار المصرية ان المصريين لم يتركوا اثرًا لكل ما كان خافضًا من شأنهم الا اذا استعادوا شرفهم وهو بديهي فمن يرغب في تقليد ذكر خزيه وذله ومع هذا قد وجد اثرٌ دالٌّ على الضربة الاخيرة وهي موت الابكار قال شباس (في تاريخ الدولة الـ ١٩) « اننا نجد في اثر مصري كائن في متحف برلين اشار اليه بروغش (في تاريخ مصر) ذكرًا لابنٍ لمنفتاح الاول مات قبل ابيه كابن فرعون الوارد ذكره في سفر الخروج » حيث قال من بكر فرعون الجالس على عرشه « كما مر آنفاً وقد اتحفنا العالم لوت بايضاحات اكثر دقةً في هذا الشان قال « ان فرعون الذي كان يلي مصر لدى عود موسى من مدين لا يمكن ان يكون الا منفتاح واذا تقرر ذلك لزمنا ان نحول بصرنا الى تمثالٍ كبير لمنفتاح كائن الان في متحف برلين يمثّل ابن منفتاح البكر مشاركاً لابيه في الملك كما يدل على ذلك التاج الذي على رأسه ووصفه بالابن الذي يحبه ابوه والذي يعطف اليه قلب من ولَدَه ويسمى منفتاح باسم ابيه وقد صُوّر ساجدًا لسوتخ الاله العظيم رب السماء فلا يلزم ان يكون الانسان شديد التشبّث بايمانه ليوقن ان هذا الامير الذي مات قبل ابيه منفتاح وترك الخلافة في الملك لساقي اخيه

الاصغر انما هو بكر منفتاح الذي تهدده الرب بقوله « قلت لك اطلق ابني ليعبدني وان ابيت ان تطلقه فهأنذا قاتلٌ ابنك البكر » (خروج ف ٤ ع ٢٣) وقد اتمَّ الرب ما هدَّد به كما جاء في سفر الخروج (ف ١١ ع ٥ و ف ١٢ ع ٢٩) « ضرب الرب كل بكرٍ في جميع ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الاسير » فالجالس وصفٌ للبكر وقد كُرِّر ذلك في آياتٍ ثلاث من الخروج فالبرهان واضح روى ذلك فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٢ صفحة ٣٤١)

الفصل الخامس

(في اخبار خروج بني اسرائيل من مصر الى البرية)

عد ١٨٤

في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر

قد مر في عد ٩٤ ذكر الخلاف الحاصل في تعيين سني العبودية التي قضاها بنو اسرائيل في مصر وابنّا ان منشأه الاختلاف بين النص العبراني وغيره من الترجمات التي صرحت بان مقام بني اسرائيل في مصر كان اربع مئة وثلاثين سنة وبين الترجمتين السبعينية والسامرية اللتين يتبين منهما ان الاربع والثلاثين سنة كانت من خروج ابرهيم من اور الكلدانيين الى خروج بني اسرائيل من مصر وان يوسيفوس وغيره من القدماء والحدثاء اعتمدوا على ما جاء في الترجمة السبعينية لكن الاكثرين من العلماء والمفسرين عولوا على ما جاء صريحًا في النص العبراني في سفر التكوين (ف ١٥ ع ١٣) حيث قال الله

لابرهيم « ان نسلك سيكونون غرباء في ارضٍ ليست لهم ويستعبدونهم ويعذبونهم اربع مئة سنة » ثم في سفر الخروج (ف ٢ ع ٤٠) « وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر اربع مئة وثلاثين سنة » وقد اثبتنا هناك ان كثيرًا من الآثار المصرية يُستخلص منه ان المدة التي انقضت من عهد ابابي الذي استوزر يوسف في سنة ١٧ لملكه الى عهد منفتاح فرعون الخروج انما هي نحو من اربع مئة وثلاثين سنة لا مئتان وخمس عشرة سنة وعليه فالاظهر ان مدة اقامة بني اسرائيل في مصر اربع مئة وثلاثون سنة ويؤيده النص العبراني الصريح واقوال كثير من الاباء والعلماء منهم من مشاهير الحدثاء لانرمان في التاريخ القديم لشعوب المشرق وفيكورو في محال عديدة من كتبه والاب مور في مقالته في سلسلة تواريخ الكتاب وتوفيقها مع الاثار المثبتة في مجلة المباحث الدينية في عددها المؤرخ في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٣ وغيرهم كثيرون بل ان يوسيفوس نفسه الذي قال (في ك ٢ ف ٦ من تاريخ اليهود) « ان العبرانيين خرجوا من مصر لسنة ٤٣٠ من بلوغ ابينا ابرهيم الى ارض كنعان ولسنة ٢١٥ من انحدار يعقوب الى مصر » كان قال قبلاً (ف ٥ من الكتاب الثاني المذكور) « وانقضت اربع مئة سنة على هذا النحو كان المصريون فيها يجدون في ابادة امتنا وبنو اسرائيل يجهدون في توطئة هذه المصاعب » وقال العالم فلاّس (من مقالته في الشعوب القدماء المطبوعة في امستردام سنة ١٧٦٩) ان ذرية الاصل الواحد في مدة ٤٣٣ سنة واربعة اشهر يبلغ عديدها الى ٢٤٥٧٦ شخصاً فاذا فرضنا ان السبعة والستين ذكرًا الذين انحدروا الى مصر مع يعقوب اقاموا فيها ٤٣٠ سنة كان عددهم عند خروجهم منها ١٦٤٦٥٩٢ نفساً فاذا اسقطنا النساء نصف هذا العدد كان الباقي ٨٢٣٢٩٦ ذكرًا واذا اسقطنا زبع هذا العدد اطفالاً وشيوخاً كان الرجال المقتدرون على حمل السلاح ٦١٧٤٧٢ رجلاً وفي الكتاب ان

عددهم عند خروجهم ، نحو ست مئة الف ماشٍ من الرجال خلا الاطفال ، (خر ف ١٢ ع ٣٧)

عد ١٨٥

في المحل الذي ارتحل منه بنو اسرائيل وفي طريق خروجهم

ان لتعيين المحل الذي ارتحل منه بنو اسرائيل لدى خروجهم من مصر اهمية اذ يتعلق به مبحث آخر توفرت الاقوال فيه وهو تعيين معبرهم في البحر الاحمر فاذا عُلم محل بدء سفرهم سهل العلم بطريقهم وبالمحل الذي انتهوا اليه عند البحر الاحمر فقال يوسيفوس (في ك ٢ رس ٥ من تاريخ اليهود) ، ان العبرانيين ارتحلوا من مصر والمصريون يذرفون الدموع اسفاً على سوء معاملتهم لهم وكان طريقهم في ليتوبولي وكانت حينئذٍ صحراً فبنيت بعد ذلك هناك مدينة سميت بابل عندما استحوذ كمبيس على مصر ، وقال في محل اخر ان بابل هذه كانت في محل القاهرة الان . وقال اسطفان البيزنطي (في كلامه على المدن) ، ان ليتوسبولي مدينة في مصر وهي حي من منف وتجاهها الاهرام ، وعليه فرأي يوسيفوس ان بني اسرائيل رحلوا من منف او القاهرة وهذا غير ثابت ولم يكن يوسيفوس يعرف المحال التي تكلم فيها ولعله أسند رأيه الى تقليد اليهود الذين اقاموا في مصر بعد ان دمّر بختنصر اورشليم ولم يكن لتقليد هولاء اسٌ راهن ومع هذا اعتمد عليه وعلى رواية يوسيفوس بعض العلماء المسيحيين في صدر النصرانية وبعده دون ان يسبروا اساسه . ولما جاء عصر التدقيق والتنقيب كان الاب سيكار P. Sicard اليسوعي (١) اول من عني بالتنقيب عن طريق الاسرائليين عند خروجهم من مصر الا انه لم يبلغ من الحقيقة شاوًا لانه ظن ان منفتاح ملك مصر وقتئذٍ كان يسكن مدينة منف

(١) ولد في اوبين في افرنسة سنة ١٦٧٧ ومات في مصر سنة ١٧٢٦

على مقربة من القاهرة لا مدينة تانيس (صان) كما حققت الآثار القديمة الآن وان رعمسيس المدينة التي صرّح الكتاب بان بني اسرائيل هاجروا منها انما هي في القرب من منف في جنوب القاهرة على نحو ثلث ساعات منها في المحل المسمى الآن البساتين فلم يكن لهم والحالة هذه الا طريقان من منف الى البحر الاحمر الاول في الوادي الذي بين جبل طورا وبين جبل ديوشى والثاني في الصحراء التي بين القاهرة والسويس التي سماها القدماء ارسينيا وقطع بان بني اسرائيل سلكوا الطريق الاول وقد تابع الاب سيكار في قوله كثير من علماء عصره ولاسيما في افرنسة على ان الاكتشافات الحديثة محقت كل اشكالٍ واتت بالعلم اليقين ان منفتاح كان عند انزال الجوائح بمصر ولدى اطلاق بني اسرائيل في تانيس المعروفة الآن بصان والواقعة في الشمال الغربي من البحر الاحمر وفي جوار ارض جاسان التي كان يسكنها بنو اسرائيل . وقد حققت هذه الآثار ايضًا ان رعمسيس المدينة لم تكن في القرب من منف والقاهرة بل من ارض جاسان وتانيس في مصر السفلى (راجع ع ١٧٦) وعليه فمما لا يشوبه ريب ان بني اسرائيل ارتحلوا من رعمسيس المدينة التي بناها رعمسيس الثاني في مصر السفلى الى سكوت ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام في طرف البرية كما صرح بذلك سفر الخروج (ف ١٢ ع ٣٧ و ف ١٣ ع ٢٠) . ولم يسيرهم الرب في طريق ارض فلسطين مع انه قريب لان الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حربًا فيرجعون الى مصر » (خروج ف ١٣ ع ١٧) اذ كان الاقرب مسافة ان يسيروا على شاطي البحر المتوسط ويجتازوا من العريش الى غزة على ان هذا الطريق كانت تحدق به حصون غاصة بالجنود المصرية فتمنع مسيرهم ويتسنى لفرعون ان يدركهم ولم يشأ الله ان يعرض بني اسرائيل (وهم منهوكون بالعبودية وغير ممرنين على حمل السلاح) للحرب مع الكنعانيين

المحنكين بالحرب واللائذين بملك مصر فينجدهم لا محالة على الاسرائيليين وقد اخرج بنو اسرائيل معهم عظام يوسف كما كان اوصاهم ومن تقليد اليهود الذي اثبته القديس اسطفانوس في اعمال الرسل (ف ٧ ع ١٥ و ١٦) والقديس ايرونيموس ان العبرانيين اخذوا معهم عظام اخوة يوسف الاحد عشر

﴿ عدد ١٨٦ ﴾

اقوال العلماء في طريق بني اسرائيل ومعبرهم في البحر الاحمر

قدمنا قول الكتاب ان بني اسرائيل ارتحلوا من رعمسيس الى سكوت وارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام ثم امر الرب موسى « ان يرجعوا وينزلوا امام فم الحيروت بين مجدول والبحر امام بعل صفون » (خروج ف ١٤ ع ٢) فاين سكوت وايتام وفم الحيروت ومجدول وبعل صفون فهذه مسألة معضلة مهمة يتعلق على العلم بها العلم بطريق العبرانيين الى البحر الاحمر وبمعبرهم فيه وقد توفرت فيها الاقوال وتضاربت وقد اورد الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٦٢) منها قولين خاصة قول بروغش العلامة الالماني وقول مهندسي ترعة السويس الافرنسيين وعقبهما بذكر رأيه فنجتزئ بتلخيص هذه الاقوال فالحاصل من قول بروغش (في كتابه الخروج والاثار المصرية صفحة ٢٥ وما يليها) ان للمسافر من رعمسيس (وهي تانيس على رأيه) الى فلسطين طريقين احدهما نحو الشمال الشرقي من رعمسيس الى بالوز (وهي الان طينة او فرما) مارًّا بفيتوم الى سكوت على ان الاثار انبأتنا ان هذا الطريق تكثر به الوحول فلم يكن مطروقًا ولا يسافر به جمٌّ غفير بعدد وذخائر وماشية والطريق الثاني هو الطريق الذي كان الفراعنة يسيرون به جنودهم وخيولهم ومركباتهم ويسميه المصريون السكة السلطانية وهو مسافة اربع مراحل اي رعمسيس واسوار سكوت وايتام ومجدول واثبت بروغش

استطراق هذه الطريق باثر عُثر عليه اتفاقًا والاولى ان يقال بعناية ربانية (كما قال) في المتحف البريطاني خط هذا الاثر منذ ثلاثين قرنًا كاتب مصري قص فيه اخبار سفره لينشد خادمين فرًا فقال « مضيت من القصر الملكي في تانيس في مساء اليوم التاسع من الشهر الثالث من الصيف اتطلب الخادمين فبلغت اسوار سكوت في اليوم العاشر من ذلك الشهر فخبرت ثمة ان الفارين ذهبا نحو الجنوب فبلغت في الثاني عشر الى قيتام فقيل لي هناك انهما توجها الى شمال مجدول » وهذا الاثر هو البابير المعروف بانستازى الخامس وقال بروغش بعد ذلك ضع موسى وقومه موضع الفارين وهذا الكاتب موضع فرعون تجد طريق العبرانيين

وقد تعقب فيكورو قول بروغش هذا لاوجه منها ان تانيس التى سافر منها الكاتب غير رعمسيس التي سافر منها العبرانيون وان سكوت التي جعل بروغش موقعها في شرقي تانيس قد حققت اكتشافات العالم نافيل انها في جنوبيها في محل المسقوطة الان . ومنها ان ايتام التي حل فيها بنو اسرائيل غير قيتام التي بلغ الكاتب المصري اليها . ومنها ان الفارين توجها الى شمال مجدول والكتاب ينبئنا ان بني اسرائيل مضوا من ايتام نحو الجنوب فاذًا قد كان طريق العبرانيين غير طريق الفارّين والكاتب المصري . وندَّد فيكورو بهذا القول خاصة لانه يؤدي الى ان بني اسرائيل لم يتوجهوا من جهة البحر الاحمر بل من جهة البحر المتوسط ولم يجتازوا في البحر بل عبروا في مضيق من الارض يفصل بين البحر المتوسط وبحيرة سربونيس المسماة الان بحيرة بردويل وان جنود فرعون لم تغرق في بحر بل في بحيرة او آجامها وكل ذلك يخالف كلام الكتاب في سفر الخروج وغيره

واما اكثر المهندسين الموظفين في حفر خليج السويس فقرضوا ان البحر

الاحمر في ايام عبور المصريين من مصر الى برية سينا كان متصلاً بالبحيرات المرة الواقعة في شمالي السويس وفي جنوب بحيرة التمساح وزعم بعضهم انهم عبروا في هذه البحيرات . واليك ما قاله فردينند دي لاسبس في خطبته التي القاها في نانت في ٨ كانون الاول سنة ١٨٦٦ ، جاء في الكتاب المقدس الذي تيقنت صدقه باكتشافاتي واسفاري كلها ان موسى لما اخرج بني اشرائيل من مصر سار بهم من رعمسيس المدينة حيث يُرى الى الان صخر يمثل احد فراعنة مصر ويسمى رعمسيس والمحطة الثانية التي حلوا فيها سماها الكتاب سكوت وتأويل الكلمة في العبرانية مظلة وخيمة والعرب يسمون هذا المحل ام الخيم وقام موسى بقومه من سكوت الى محلة سماها الكتاب ايتام وهناك محل تنجعه عشيرة من رعاة الماشية تسمى ايتاميس ومن عادة قبائل العرب ان تسمي الارض التي تحل فيها باسمها . ولما عرف موسى ان جنود فرعون يتتبعون اثرهم عاد الى الوراء بشعبه بحسب امر الله له واحتلوا بحيروت او فم الحيروت وتأويل الكلمة محل القصب والعرب تسمي هذا المحل وادي بيت البوز اي وادي القصب وكان هناك حينئذٍ مستنقعات من امواه البحر الاحمر وقد اكتشفنا ثمة طبقات من الملح البحري متجمعة من بخار ماء البحر في مدة قرون وعثرنا ايضاً على اصداف البحر الاحمر . ولم يكن القدماء يحسبون طول الخليج الا خمسة عشر فرسخاً ولا امترى البتة ان مجتمع امواه البحيرات المرة انما هو الخليج المسمى خليج هيروبوليس . واما بحيروت او فم الحيروت فكان موقعها على ما يتلخص من الكتاب بين البحر جنوباً ومجدول شمالاً وبعل صفون شرقاً وبيتوم غرباً وكان البحر متصلاً بالبحيرات المرة واما مجدول فكانت حصناً سماه الرومانيون مكدول او مكدلون وترى اطلالها في جانب الطريق المؤدي الى سورية . وبعل صفون كانت هيكلاً مقاماً على

ارفع اكمة هناك تذكرة لحرب اثارها او سيريس على تيفون (بحسب حكاياتهم) وهي آخر ما يسقى بمياه النيل . وبيتوم كانت على مدخل الوادي الذي يسمى الى اليوم وادي توم ... ولما احتل بنو اسرائيل فم الحيروت ظهرت لهم طلائع الجيش المصري فارتعدوا لكن الله اثار عند المساء الريح الشديدة التي وصفها الكتاب فامسك المصريين عن الوثوب عليهم الى صباح اليوم التالي وقد كنت شاهدًا لمثل هذه الريح العاصفة اذ حللت في المحل نفسه عند اول ما اخذت في اكتشاف الخليج سنة ١٨٥٤ فلم اتمكن انا ورفقائي من توثيق اطناب مظلتنا التي قلبتها العاصفة وكانت الحصى تدمي وجوهنا وايدينا فشدة الريح العاصفة في ايام موسى قذفت الامواه من حيث لم تكن عميقة فاغتنم موسى العون الرباني الذي امده الله به وسير العبرانيين في البحر طريقًا يبسًا وعند سكون الريح عاد الماء الى محله فغمر المصريين الذين كانوا دخلوا في اثر بني اسرائيل وحيث ان ارتفاع الماء هناك من متر وثلاثين سنتيمترًا الى متر وثمانين سنتيمترًا فامسك جيش فرعون او غرقه »

ومن هولاء المهندسين العالم لاكوانتر وقد حقق ان البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الاحمر وان ارتفاع البرزخ المسمى الشالوف فصل بينهما وان مياه البحيرات اشد ملوحة من مياه البحر وذلك دليل على ان هذا الاتصال كان متقطعًا فتكون الامواه تارة متصلة وطورًا منفصلة وعليه قال ان موسى اذ ارتحل من ايتام سير قومه على شاطي البحيرات المرة الغربي قاصدًا ان يدخل الصحراء الواقعة في شرقي خليج السويس فقطع الطريق عليهم جيش فرعون الآتي من منف في الجنوب الغربي وامسى بنو اسرائيل محصورين بين العسكر المصري جنوبًا والبحيرات شرقًا وجبل جنفًا (المسمى الان جبل احمد تاشر على ما روى فيكورو) غربًا فخلص الله شعبه بآية فاتحًا له في

وسط البحيرات طريقًا يبسًا وغرق اعداءهم في هذه الامواه المتصلة بالبحر الاحمر فصدق قول الكتاب ان بني اسرائيل عبروه والمصريين غرقوا فيه . وقد ابان لاكوانتر شديد التشبث بقوله حتى سأل ان يستقصى الكشف في محال يعينها في هذه البحيرات فيأمل وجدان اثر لمركبات فرعون

قد ندَّد الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٨٧) باقوال هولاء المهندسين ولاسيما لاكوانتر مبينًا ان برزخ الشالوف الفاصل بين خليج السويس والبحيرات المرة هو اقدم من موسى بقرون واثبت ذلك من طبقات ارضه التي لا يمكن تكونها في عهد موسى ولا بعده بل قد تقدمته كثيرًا . وقال ان الاثار المصرية لم تأتنا باشارة الى اتصال البحر الاحمر بالبحيرات المرة بل انبأتنا بما يخالف ذلك وهو احتفار قناة توصل بينهما فقد اكتشف بوكرد في القرن الماضي خط هذه القناة واستتبع روبل مجراها مسافة ساعة ونصف بل ذكرها هيرودت من ايامه وعزاها الى رعمسيس الثاني ابي منفتاح الذي خرج بنو اسرائيل من مصر في عهده . وآثار هذه القناة باقية الى يومنا هذا وعليه فلم يكن البحر الاحمر في ايام موسى متصلاً بالبحيرات المرة ولا في وقت الانواء الشديدة ولا حاجة الى العدول عن ظاهر آيات الكتاب الصريحة بان العبرانيين عبروا البحر الاحمر او بحر سوف او بحر القلزم والمعنى واحد ولا داعي الى هجر اقوال الاباء والعلماء القدماء وكثير من الحدثاء الذين اثبتوا ان المراد بآيات الكتاب المتعددة البحر الاحمر

وبعد ان فنَّد الاب فيكورو هذه الاقوال عاد الى ايراد ما يراه الامثل والاظهر والاقرب الى الصواب في هذا الباب فقال ان بني اسرائيل ارتحلوا من جاسان في وادي توميلات في جنوبي المديرية المسماة الان الشرقية حيث قناة الماء التي كشف عنها حديثًا وقد رأيت اثارها في جوار بيتوم وانبأتنا

الاثار ان ساقي الاول جد منفتاح انما هو الذي احتفرها وكان مسير بني اشرائيل في القرب من الماء ضربة لازب لاستقائهم واستقاء ماشيتهم وكانت مرحلتهم الاولى قصيرة فجم غفير نظيرهم لا يتسنى له ان يسير مسافة طويلة خاصة في اليوم الاول من سفرهم فحلوا في سكوت وهي على رأيه حصن من حصون بيتوم وفي اليوم التالي بلغوا اطراف البرية وحلوا في ايتام والارجح عنده ان المراد بايتام احد الحصون التي بناها الفراعنة وقاية من غزوات العرب الرحل وذكر ديودورس الصقلي هذه القلاع واثبتت الاثار المصرية وجودها ويتبين من بابير محفوظ في متحف برلين انها بنيت منذ عهد اقدم ملوكهم وكانت تسمى باللغة المصرية إتام وفي القبطية تام او توم ولا تخفى المقاربة بين هذا الاسم وبين اسم ايتام الذي ذكره الكتاب وهذا الطريق كان يؤديهم الى غزة ولكن مسيرهم به هربًا من فرعون كان يوقعهم في يد حلفائه ملوك فلسطين والبابير المعروف بانستازي الثالث ناطق بوجود هذه المحالفة يومئذٍ ولذلك امر الرب موسى ان يرجع فيسير ببني اسرائيل نحو الجنوب اي نحو البحر الاحمر وجبل سينا فساروا الى ان حلوا امام البحر ولم يصرّح الكتاب كم كانت مدة انتقالهم من ايتام الى امام البحر أيومًا ام اكثر وبعد المسافة مؤذن بانهم قضوا اكثر من يوم وكان مسيرهم على شاطي البحيرات المرة الغربي قضى عليهم بذلك احتياجهم الى الماء والكلاء لماشيتهم وكانت تلك القطعة تروى بماء النيل وفم الحيروت (١) يتعذر تعيين موقعها لتعذر تعيين موقع مجدول وبعل صفون اللتين عرف موسى بهما فم الحيروت ولكن لا يعدو ان يكون موقع هذه في شمالي خليج السويس عند اخره لان موسى اتى من جهة الشمال ميممًا

(١) ويروى حيروت وبيحيروت مركبة من كلمة بي ومعناها في المصرية كالسريانية محل وبيت ومن حيروت وفي نسختنا السريانية فمه بمعنى فم الحيروت كما في النص العبراني

المشرق فلا وجه لعوده نحو المغرب بل ان يحل عند الطرف الشمالي من الخليج وقد عثر ادوار نافيل في اخربة تل المسقوطة على صفيحة من عهد بتوليميس فيلادلفوس كتب عليها اسم بيكارت او بيحارت مرتين ولكن لم يعين موقعها ولعلها بيحيروت التي ذكرها سفر الخروج وقال كثير من المحققين الحدثاء ان بيحيروت هي المسماة الان اجرود وهي واقعة بين البحيرات المرة والسويس على بعد اربع ساعات من السويس ولا يبعد هذا عن الصواب وان تعسر القطع به . وكذا لا يمكن القطع بتعيين محل مجدول وقد وجد اسمها مكتوباً في الآثار المصرية مَكتل او مكدل ومعناه القلعة او الحصن كمعنى مجدل او مجدول وهذا مؤذن بان موقعها كان على التخوم بين مصر والبرية وكان ثمة حصن . وفي اثر لساتي الاول ان هذا الملك مر بمدينة اسمها مجدل عند ايابه من سورية الى مصر (ذكر ذلك بروغش وشباس وغيرهما) واما بعل صفون فيرجح انه الجبل المسمى الان جبل الطاقة (؟) الواقع فى الجنوب الغربي من السويس ويظهر ان هذا الاسم ساميّ دال على معبد لاله وقال بعضهم ان بعل صفون معناه اله الشمال او اله الريح الشمالية وان واضع هذا الاسم لهذا الجبل انما هم البحارة الفونيقيون الذين كانوا يسيرون سفنهم من هناك نحو الجنوب ويقدمون محرقات لبعل اله هذا الجبل . انتهى ملخصاً

﴿ عد ١٨٧ ﴾

نجاة بني اسرائيل وغرق جنود فرعون في البحر الاحمر

قال الكتاب (خروج ف ١٤ ع ٥ وما يليه) « فلما أُخبر ملك مصر ان الشعب قد هربوا تغير قلبه وقلوب عبيده عليهم وقالوا ماذا صنعنا فاطلقنا اسرائيل من خدمتنا فشدَّ مركبته واخذ قومه معه واخذ ست مئة مركبة مختارة وجميع مراكب مصر ... فاتبعهم المصريون فادركوهم وهم نازلون عند البحر » قد

كان المصريون حراصاً على امساك اسراهم وعبيدهم لتواصل النفع بعملهم كما تبين من كثير من اثارهم فلا مرية ان كان غمهم شديداً اذ رأوا شعباً كبيراً هاجر بلادهم واعدمهم الانتفاع باعماله لا الى زمن ليقدموا الذبائح لالههم كما كان يظن فرعون بل الى ما لانهاية له . ولذلك ركب فرعون بنفسه في مقدمة قومه واخذ ست مئة مركبة من مركباته وجيشاً كبيراً واسرع في لحاق بني اسرائيل وقد كتب منفتاح نفسه في احد اثاره انه صنع كذلك عند محاربته غزاة اجنبيين انتصر عليهم في مبادئ ملكه اذ قال « ان الفرسان الراكبين خيول عظمته جدُّوا في تتبع اثارهم » فسار الجيش المصري من تانيس حيث كان الملك حينئذٍ كما مر فادركوا بني اسرائيل عند خليج السويس وقطعوا عليهم الطريق من جهة الشمال والشمال الشرقي وكان في الغرب والجنوب جبل الطاقة وعر يستعضي عليهم المسير به وفي الشرق البحر فضاقت بهم المسالك وسدت عليهم الطرق ولذلك ارتاع بنو اسرائيل ارتياعاً شديداً وقالوا لموسى « أمن عدم القبور في مصر اخرجتنا لنموت في البرية ... فقال لهم موسى قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه اليوم لكم ... ومدَّ موسى يده على البحر فارسل الرب ريحاً شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافاً وقد انشق الماء ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليبس والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه الى وسط البحر ... وقال الرب لموسى مد يدك على البحر فيرتد الماء على المصريين ... فمد موسى يده ورجعت المياه فغطت مراكب وفرسان جميع جيش فرعون الداخلين وراءهم في البحر ولم يبقَ منهم احد » ولا يعلم حق العلم كم كانت المسافة التي اجتاز بها بنو اسرائيل في البحر ويظهر انها لم تكن طويلة لانهم عبروا في ليلة واحدة فيقدر انها مسافة ست الى ثماني ساعات على كونهم مليونين من

120(a)

من النفوس ومنهم نساء واطفال ومعهم ماشية . ويرجح ان معبرهم كان من شاطي الخليج الغربي بخط منحرف الى شاطيه الجنوبي الشرقي . ان فرعون لم يغرق كما غرق عسكره لان الكتاب لم يشر الى ذلك والتاريخ والاثار المصرية يظهر منها انه مات حتف انفه وعلى فراشه ودفن في المحل الذي يسمونه بيبسان الملوك في مدفن أُعدَّ له على ان الاثار لم تنبئنا بشيء من الاحداث في عهده بعد السنة الثامنة من ملكه وان قال بعضهم انه ولي مصر عشرين سنة دون ان يقيموا على مدعاهم دليلاً . ولا عجب من اننا لا نجد ذكرًا لجائحة البحر الاحمر في الاثار المصرية كما لم نجد ذكرًا للضربات العشر لما مر من ان المصريين وغيرهم لم يشأوا تخليد انخذالهم وخزيهم وهو طبيعي وبديهي ومع هذا قد روى العلامة شباس ترجمة اعلام اخذه عن البابير المعروف بانستازى الخامس قد نسخ في عهد ساتي الثاني ولكن يمكن ان يكون كتب لاول مرة في ايام منفتاح الاول وقد انفذه احد قادة الجيش الى بعض مأموريه وهذه ترجمته « اعلام متى وصلت اليكم رسالتي هذه اهتموا سريعًا بان تحضروا اليَّ بالمدجيو (مر معنا ان المراد بهذه الكلمة رجال الشحنة الموكولة اليهم المحافظة على العبرانيين بعمل اللبن) الذين يلون السافكي (لا يعلم معنى هذا اللفظ) الاجانب العازمين على الصعود (اي من مصر نحو بلاد العرب وهذا التعبير كان المصريون والعبرانيون يستعملونه للدلالة على الانطلاق من مصر) ولا تحضروا جميع الرجال الذين عينت لكم اسماؤهم في درج واحرصوا على نفسكم وان لا يتردد الرجال في طاعة آمريهم وايتوني بهم الى تقهو (هو حصن من حصون المحافظة على التخوم الشرقية) فانا ادخلكم واياهم » وقال شباس لو عين العبرانيون في هذه الرسالة باسمهم لما كان لاحد ان يمتري في دلالتها على خروجهم من مصر ولكن سموا سافكي ولعل هذا اللفظ دال

على حالتهم او شغلهم في مصر وعليه فلا يمكن القطع بان المراد به العبرانيون وان اوجبت ذلك القرائن فيبقى الامر في حيّز الاحتمال

زعم بعض ناكري الوحي ان العبرانيين انتهزوا فرصة الجزر في البحر الاحمر فعبروه على اليبس الحاصل من قهقرة ماء البحر ولما تتبع المصريون اثرهم استولى المدّ في البحر فغرقهم وممن تمحلوا لذلك العالم دوبوا إمه الذي كان يصحب القائد بونابرت (نابوليون الاول) في غزوته الى مصر وتابعه اكثر مفسري الكتاب من العقليين وسلفادور اليهودي . على ان آي الكتاب ناطقة بما يخالف زعمهم نطقًا جليًا وقد دقق ونقب كثير من الجوابين والعلماء وصرحوا بانه يستحيل حقيقة على مليونين من النفوس ان يعبروا سوية مصحوبين بماشيتهم واطفالهم ونساءهم على ضفة حاصلة من جزر البحر في مدة ساعات قليلة ولا نرى آية عظمت الاسفار المقدسة قدرها كآية شق البحر الاحمر واجازة بني اسرائيل فيه . وقد كثر ذكرها في اسفار العهدين القديم والحديث وترنم بها الانبياء في مواضع عديدة من كتبهم . ومثل هذا الزعم في بطلانه زعم بعضهم ان عمود النار والغمام إنْ هو الا اقباس من النار كان موسى يسيرها في مقدمة قومه فتضيئهم ولما اتبعهم المصريون سيرها في اواخر قومه لتحجبهم عن نظر اعدائهم فهذا يُسخر منه ولا يلتفت الى رده فالاقباس لا تنير مليونين من النفوس والكتاب يعزو هذا العمود الى ملاك اذ قال (خروج ف ١٤ ع ١٩) « فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر اسرائيل فصار وراءهم وانتقل عمود الغمام من امامهم فوقف وراءهم . ودخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل فكان من هنا غمامًا مظلمًا وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب احد الفريقين من الاخر طول الليل » وهذا العمود صحب بني اسرائيل مذ سافروا من سكوت على ما قال القديس ايرونيموس في رسالته الى فابيول او مذ سافروا من

رعمسيس على ما قال غيره او مذ سافروا من ايتام الى ممات هرون على ما قال اكثر المفسرين وكان مضنًا في مدة الليل ومظلمًا كغمام حالك في مدة النهار فقد توفرت آيات الله في اخراج شعبه من مصر لتكون ذكرى وعبرة لشعبه وغيرهم طول الايام

وقد سبح موسى وبنو اسرائيل بعد نجاتهم التسبيحة التي ذكرها سفر الخروج (في الفصل الخامس عشر منه) والمفتتحة « اسبح الرب فانه قد تعظم بالمجد الفرس وراكبه طرحهما في البحر » الى اخرها واخذت مريم اخت موسى وهرون الدف في يدها وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص يترنمن بآي هذه التسبيحة ومريم وبعض رفيقاتها يجاوبن سبحوا الرب فانه قد تعظم بالمجد

الفصل السادس

(في اخبار بني اسرائيل في برية سيناء)

﴿ عد ١٨٨ ﴾

لمعة في شبه جزيرة سينا

ان سينا شبه جزيرة يحدها خليج السويس غربًا والبحر الاحمر جنوبًا وخليج عقبه شرقًا وتتصل ببلاد العرب شمالاً واعلى جبالها يسمى الان جبل ام شومر وجبل موسى وجبل سربال وليست برية سينا صحارى تعلوها الرمال بل بلاد جبلية متحجرة وليس فيها من الرمل الا ما ندر خلافًا لصحارى مصر وتربتها غير خصبة والنبات فيها قليل الا في بعض الاودية والهضاب حيث تكثر

الاعشاب العطرية وليس على اكامها تراب ولا خضر والماء قليل في اوديتها وسماؤها نقية ولكن شمسها محرقة حتى تزيد فيها الحرارة مدة النهار ثلثين درجة عليها مدة الليل وسماها الكتاب (خروج ف ١٥ ع ٢٢) شور وهي كلمة عبرانية معناها السور وفي السريانية ܫܘܪ فان العبرانيين رأوا تجاههم عند اقبالهم على هذه البلاد جبالاً شامخة من وراء البرية كانها اسوار طبيعية للبلاد فسموها شور اي سوراً حتى قال هنري بلمر رئيس اللجنة الانكليزية الآتي ذكرها وهو ينظر مع صحبه من عند عيون موسى الى جبلي الراحة والتيه من وراء البرية اعجبوا من تسمية العبرانيين لهذه البلاد سوراً فما اطبق هذه التسمية للحقيقة والوضع

ان اول من زار برية سينا في هذا العصر واستقصى فيها انما هو بوكرد لسنة ١٨١٠ ثم تتبعه كثير من الجوابين والزائرين على مشقة السفر وقلة الامن فيها الى ان ارسل الانكليز سنة ١٨٦٨ لجنة علمية للتنقيب فيها والاستطلاع على مواقعها وكان رئيس هذه اللجنة العالم هنري بلمر فاقامت هذه اللجنة في تلك الانحاء ستة اشهر واخذت نحو ثلث مئة صورة فوتغرافية تمثل اخص مواقع هذه البلاد ورسمت لها عدة خرائط جغرافية ونسخت كل ما عثرت عليه فيها من الخطوط ونشرت خلاصة اعمالها واراءها سنة ١٨٧٢ ونستشهد مرات اقوال هولاء العلماء في الاعداد التالية

﴿ عد ١٨٩ ﴾

مراحل بني اسرائيل من جانب البحر الاحمر الى برية سين

اثبت كثيرون ما جاء في تقليدات اهل تلك الانحاء ان الاسرائيليين بعد ان عبروا البحر الاحمر حلوا في الموضع المسمى الان عيون موسى فهناك صحراء كافية لاحتلالهم فيها بعض عيون ماء صافٍ لكنه ملح وقال فيكورو (الكتاب

والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٤٢) انه عدَّ هناك اثني عشر ينبوعًا عند زيارته هذا المحل في ٨ اذار سنة ١٨٨٨ وهناك بعض النخيل ايضًا . وقال الكتاب (خروج ف ١٥ ع ٢٢) « ثم ارتحل موسى باسرائيل من بحر القلزم وخرجوا الى برية شور فساروا ثلثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فافضوا الى مارة » قال فيكورو (في المحل المذكور) ان بني اسرائيل اجتازوا حينئذٍ في ساحل البحر الاحمر الذي طوله الى مارة ثمانون كيلومترًا وعرضه ثمانية عشر كيلومترًا وساروا هذه المسافة في مدة ثلثة ايام فكأنهم ساروا في كل يوم ما يجتازه راكب واحد في مدة نحو اربع ساعات ونصف . وقد تيقن كل من جابوا هذه الاماكن بصدق كلام الكتاب اذ لم يجدوا هناك الا ارضًا جردآء ذات حصى سوداء ليس فيها من النبات الا بعض اعشاب لا نضارة لها وبعض شجيرات ذابلة ولا شيء من الماء هناك حتى قال هنري بلمر رئيس اللجنة الانكليزية « ان كل ما هنالك لا يطبع في مخيلة المسافر الا تصور برية لا ماء فيها » وقال فلستد (في كتاب رحلته ببلاد العرب المطبوع في لندرة سنة ١٨٣٨) « يكره العرب الرحل كل البلاد التي من حوارة الى عيون موسى لعدم وجود الماء فيها »

واما مارة التي افضوا اليها فاكثر العلماء على انها الينبوع المسمى اليوم عين حوارة وهي على اكمة صغيرة هناك ويختلف طعم مائها باختلاف الفصول لكنه لا يخلو ابدًا من مرارة وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية سنة ١٨٢٢ صفحة ٤٧٢) ان الناس لا تستطيع شرب هذا الماء لمرارته بل الجمال نفسها تأنف منه الا اذا اضناها الظمأ . على ان اللجنة الانكليزية لم تقطع بموقع مارة كل القطع بل قال رئيسها هنري بلمر انه وجد اثرًا لذلك في وادي مريرة في تلك الجهة اذ اكتشف سنة ١٨٦٩ هناك عين ماء مر المذاق

ان كل ما مر مصداق لقول الكتاب ، فافضوا الى مارة فلم يطيقوا ان يشربوا من مائها لانه مر ولذلك سميت مارة فتذمر الشعب على موسى وقالوا ماذا نشرب فصرخ الى الرب فاشار له الى شجرة فالقى منها في الماء فصار عذباً ، وسمى بعضهم هذه الشجرة كركد وقالوا انها شجرة ذات اشواك يكثر نبتها حذاء الينابيع تثمر في الصيف حبوباً حمرآء عذبة المطعم وان من خواصها جعل الماء اقل مرارة ولكن ابى حكماء اللجنة الانكليزية المصادقة على هذا الزعم وقال بلمر رئيسهم لا يعلم احد اي الشجر استعمل موسى في تحلية ماء مارة فسفر الخروج لم يصرح به واهل تلك البلاد لا يعرفون نباتاً يحلي الماء وقد مر بنو اسرائيل في تلك البلاد ولم تكن ثمار الاشجار ناضجة ولكن قال فردينند دي لاسبس (في خطبته السالف ذكرها في نانت سنة ١٨٦٦) اخبرني بعض العرب انهم يلقون في المياه المرة نوعاً من الشوك يحمل ثمراً احمر حامضاً فيمتص ما فيها من المواد الملحية والقلوية فتخف مرارتها وتصلح للشرب عند الحاجة ومهما يكُ فذلك فضلٌ من الله سواء قيل انه هدى موسى الى شجرة يحلي بطبعه مرارة الماء او انه ازال مرارته بآية مع توسط الشجر

ثم قدم بنو اسرائيل ، الى ايليم وكان هناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء ، وقد اجمع اكثر العلماء والجوابين على ان موقع ايليم هذه انما هو في وادي غرندل فهناك صحرآء تبعد عن عيون موسى ستة وثمانين كيلومتراً وتجد الى اليوم اشجار النخل وغيرها من اشجار البرية وهناك ايضاً ينبوع ماء يجري دائماً ومياهه صافية غزيرة لا سيما في ايام الربيع وقت حلول بني اسرائيل هناك حتى يتفرع منه عدة ينابيع ، ثم ارتحلوا من ايليم واقبل كل جماعة بني اسرائيل الى برية سين التي بين ايليم وسيناء ، كذا في سفر الخروج (فصل ١٦ عد ١) وفي سفر العدد (فصل ٣٣ عد ١٠) وارتحلوا

من ايليم ونزلوا على بحر القلزم وارتحلوا من بحر القلزم ونزلوا ببرية سين ، فقصل موسى في سفر العدد ما اجمله في سفر الخروج ومحلة بني اسرائيل هذه في جانب بحر القلزم الذي هو البحر الاحمر نفسه يتيسر لمن شهد هذه الاماكن تعيينها تعيينًا اكيدًا فاقوم طريق لهم من ايليم الى البحر كان ان يجتازوا في سفح الجبل المسمى حمام فرعون وان ينحدروا نحو ساحل البحر في وادي شبيقه ووادي طيبة وعليه فاكثر من تجوّلوا في هذه البلاد قضوا بان محلة بني اسرائيل هذه كانت في اطراف وادي طيبة من جهة البحر وان موسى وعمدة قومه حلوا على الارجح عند ينابيع وادي طيبة ونخيله على بعد الف وخمس مئة متر من الشاطي وبين هذا المحل وبين وادي غرندل الذي ارتحلوا منه مسافة ثلثين كيلومترًا اي مسافة نحو خمس ساعات

وقد كان لهم في مرحلتهم من وادي طيبة الى برية سين طريقان يسمى احدهما طريق البحر يسار به على شاطي البحر مسافة عدة كيلومترات ثم يصعد به نحو الجبل بوادي فيران والثاني يسمى طريق الشمال يصعد به في وادي طيبة ثم يتحول الى الجنوب الشرقي الى طرف المحل المعروف بدبة الرملة من جهة الغرب الى ان يتصل بالطريق الذي على شاطي البحر واجمع اعضاء اللجنة الانكليزية ان بني اسرائيل ارتحلوا في طريق البحر لسهولة مسلكه ووجود الماء فيه وهو ارجح من قول غيرهم انهم سلكوا طريق الشمال لقربه من برية سين . وهذه البرية هي الصحراء المعروفة الان ببرية المرقى على ما رأى علماء اللجنة الانكليزية وهي واقعة بين الجبال شرقًا والبحر الاحمر غربًا وطولها ٢٢ كيلومترًا وعرضها خمسة كيلومترات وفيها ينبوعان عين ذفاري وينبوعها عذب وعين المرقى وماؤها مر ملح والمسافة من وادي طيبة الى عين ذفاري اثنان وعشرون كيلومترًا وفي هذه البرية بعض المرعى وبلغ اليها بنو

اسرائيل بعد شهر من خروجهم من مصر

﴿ عد ١٩٠ ﴾

في المن

لم يتذمر بنو اسرائيل في برية سين على موسى لحاجتهم الى الماء اذ كان منه ما يكفيهم فيها بل انبأنا سفر الخروج (فصل ١٦ عد ٢ وما يليه) انهم تذمروا لحاجتهم الى الطعام وقالوا لموسى وهرون « ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا فلم اخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع فقال الرب لموسى ها انا ممطر لكم خبزاً من السماء فليخرج القوم ليلتقطوه طعام كل يوم في يومه ... وبالغداة كان يسقط الندى حول المحلة ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه البرية شيء دقيق مكتّل كالجليد على الارض فلما رآه بنو اسرائيل قال بعضهم لبعض منهو (اي ما هو ما هذا فسمي لذلك منًا) لانهم لم يعلموا ما هو ... وسماه آل اسرائيل المن وهو كبزر الكزبرة ابيض وطعمه كقطائف بعسل ، وكانوا يلتقطون منه كل واحد على قدر اكله عمراً لكل نفس والعمر كيل وقال بعضهم انه الوعاء الذي كانوا يشربون الماء به . وكانوا يقسمون ما جمعوه بهذا العمر فمن اكثر لم يفضل له ومن اقل لم ينقص له وكانوا يلتقطونه في كل غداة فاذا حميت الشمس كان يذوب وما بقي منه الى اليوم التالي دب فيه الدود وانتن الا في يوم السبت فكانوا يلتقطون منه يوم الجمعة ما يكفي مؤونة يومين فلا يعتريه فساد ولا يجدون يوم السبت شيئاً منه في البرية

زعم بعض الطبيعيين ان المن الذي اكله بنو اسرائيل في برية سينا لم يكن الا شيئاً طبيعياً فهو صمغ شجر الطرفاء . والى اليوم يلتقط العرب ورهبان دير طورسينا من هذا المن ويأكلونه بالخبز كالعسل . وقد اخذ منه كثير من

الجوابين الى اوربا . فلا تنكر ان شجر الطرفاء كثير في تلك البلاد وانه ينضج صمغاً يتعلق على اغصانه كحباب الندى ويسيل عند اشتداد حرارة الشمس في شهري حزيران وتموز وله طعم العسل ويسميه العرب المنّ لشبهه بالمنّ الذي اقات الله به بني اسرائيل لكن بين منّ الطرفآء وبين المن الذي انزله الله على بني اسرائيل فرقاً كبيراً من اوجه عديدة منها اولاً ان منّ بني اسرائيل كانوا يلتقطونه كل يوم في السنة كلها وفي مراحلهم كلها من برية سين الى ارض الموعد ومنّ الطرفآء لا تجد له عيناً ولا اثراً الا في شهري حزيران وتموز . ثانياً ان المنّ الرباني كان يسقط عند الفجر ومن الطرفآء يسقط نحو نصف النهار اذ كان منّ اسرائيل يذوب . ثالثاً ان منّ بني اسرائيل كان يقيت جمهورهم وهو نحو من مليونين ومنّ الطرفآء قليل جداً حتى حقق ستنلاي (في كتابه منّ سينا وفلسطين صفحة ٢٦) ان ما يلتقط من المنّ في سينا هيهات ان يكفي مؤونة رجل واحد في مدة ستة اشهر . وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية صفحة ٦٠١) ان ما يلتقط منه في شبه جزيرة سينا كل سنة انما هو خمس مئة الى ست مئة ليبرا وزده ما استطعت فلا يكفي بني اسرائيل مؤونة اسبوع واحد . رابعاً ان منّ بني اسرائيل كان ينتن في اليوم التالي الا يوم السبت ومنّ الطرفآء يمكن حفظه سنين عديدة . خامساً ان منّ بني اسرائيل كان كأنه القوت الوحيد لجمهورهم مدة اربعين سنة ومن الطرفآء لا يكفي لقوت انسان واحد لانه دوآء مسهل قل فيه الجوهر المغذي . سادساً ان منّ بني اسرائيل « كانوا يطحنونه بالرحى او يدقونه في الهاون ويطبخونه في القدور ويصنعونه مليلاً » (سفر العدد فصل ١١ عد ٨) ومن الطرفآء لا يصدق عليه شيء من ذلك . هذا وقد حلل العالم برتلوت احد القائلين بان المنّ كان طبيعياً المنّ المأخوذ من سينا والمنّ المأخوذ من كردستان فكانت نتيجة تحليله

الكيماوي ان اكبر جزء مما تألف منه هذا المنّ انما هو المادة السكّرية وبعض المواد المسهلة التي لا تصلح للتغذية فاذًا ما المنّ الذي اقتات به بنو اسرائيل الا الخبز الذي نزل من السماء

زعم بعضهم ان بني اسرائيل كانوا يذوقون بالمنّ اي طعم ارادوه كل منهم واسندوا ذلك الى قول سفر الحكمة (فصل ١٦ عد ٢٠ و ٢١) « وارسلت لهم من السماء خبزًا معدًّا لا تعب فيه يتضمن كل لذة ويلائم كل ذوق لان جوهرك ابدى عذوبتك لبنيك فكان يخدم شهوة المتناول ويتحول الى ما شاء كل واحد » ففهموا الاية بحسب منطوق حروفها على ان القديس اغوسطينوس وغيره من الاباء والعلماء اثبتوا ان المراد بكلام سفر الحكمة ليس هو الا ان المنّ كان يلائم ذوق كل ممن يستعملونه وخاصة لانه جاء في سفر العدد (ف ١١ عد ٦) « والان فنفوسنا يابسة لا شيء امام عيوننا غير المنّ » ولو ذاق كلٌّ به ما شاء من الطعام لما قالوا ان نفوسهم يابسة فالمنّ كان لذيذًا مغذياً يلائم كل ذوق فلا يأنف منه احد ويخدم شهوة المتناول فيعيضه عن احسن ما يشتهي

﴿ عد ١٩١ ﴾

في السلوى

جاء في سفر الخروج (ف ١٦ ع ١٣) « ولما كان العشي صعدت السلوى فغطت المحلة » وجاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣١) « وهبت ريح من لدن الرب فساقت سلوى من البحر والقته على المحلة على مسير يوم من هنا ويوم من هناك حوالى المحلة (وكان طيران السلوى) على نحو ذراعين عن وجه الارض فاقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم يجمعون السلوى فجمع اقلهم عشرة اعمار فسطحوها لهم مساطح حوالي المحلة » لتجف وتكون لهم مؤونة

والظاهر ان الله ارسل اليهم السلوى مرتين الاولى في برية سين وهي التي ذكرها موسى في سفر الخروج والثانية في محلة قبور اشهوة وهي التي ذكرها في سفر العدد وبين الاولى والثانية سنة وكلتاهما في فصل الربيع وقال علماء الزولوجيا (وهم اهل العلم بالحيوان) ان السلوى لا ترتفع عند طيرانها عن الارض اكثر من ذراعين لا سيما اذا اضناها التعب وحقق الجرابون وغيرهم ان هذا الطائر يكثر مروره في برية سيناء وسائر بلاد العرب في فصلي الربيع والخريف فكانت المعجزة اذًا قائمة بجعل الله الريح تسوقها بكثرتها العجيبة الى محلة بني اسرائيل وتيسيره التقاطها وانبآء موسى بها قبل بلوغها وسوقها عند مسيس الحاجة اليها

واسم هذا الطائر في العبرانية شلوى وفي الكلدانية والسريانية שלוי (سلواي) وفي العربية سلوى وواحدته سلواة وهو معروف في بلادنا بهذا الاسم وكذا فهمه قدماء المترجمين في الترجمات السبعينية واللاتينية والسريانية والعربية وكذا ورد في القرآن ايضًا وان قال بعض مفسريه ان المراد بالسلوى السَمَانى على ان العالم لودلف لم يألُ جهدًا ليثبت (في كتابه تاريخ الحبشة ك ١ فصل ١٣ عد ٩٦) ان المراد بكلام موسى ليس طائر السلوى بل الجراد ومن مستنداته ان اسم شلوى في العبرانية مشتق من اصل يدل على الكثرة والغزارة فيصدق على الجراد اكثر من طائر السلوى وان الجراد يكثر في بلاد العرب وتسوقه الريح اليهم ويلتقطونه ويملحونه ويذخرونه مؤنة طيبة المطعم نافعة للصحة لا يأنف منها اكابرهم واعيانهم وان رأيه يؤيده قول موسى انهم سطحوها مساطح حوالى المحلة ولو كان المسطوح طائر السلوى لدب فيه الدود وانتن من تعريضه للشمس . غير ان اجماع نسخ الكتاب ومفسريه القدمآء والحدثاء على ان المراد طائر السلوى يبطل ازعام لودلف ويمحقها ان

العبرانيين سألوا موسى لحماً لان نفوسهم سئمت المنّ فلا يغنيهم الجراد عن اللحم

عد ١٩٢

في ارتحال بني اسرائيل من برية سين الى رفيديم

قد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١) « ثم ارتحل كل جماعة بني اسرائيل من برية سين مرحلة مرحلة على حسب امر الرب ونزلوا في رفيديم » ولكن جاء في سفر العدد (فصل ٣٣ عد ١٢) تفصيل المراحل حيث قيل « وارتحلوا من برية سين ونزلوا بدفقة . وارتحلوا من دفقة ونزلوا بألوش وارتحلوا من الوش ونزلوا برفيديم » فالظاهر ان سفر الخروج لم يصرح بذكر منزلتي دفقة وألوش لانه لم يكن فيهما شيء مهم . وللمسافر من برية سين الى وادي فيران حيث موقع رفيديم القديمة ثلث طرق الاولى شمالية يسار بها من عين ذفارى السالف ذكرها ويجتاز في جبل هناك الى رفيديم ولكن هذه الطريق مستحدثة والثانية يمر بها في وادي سدرة ووادي مكتّب في جانب المحل المسمى مغارة حيث كان المصريون يحتفرون المعادن والثالثة وهي الايسر والاطول يسار بها على شاطي البحر في جنوب سهل المرقى الى مصب وادي فيران ويصعد في هذا الوادي الى رفيديم والمسافة بين برية سين ورفيديم في هذا الطريق ثمانية وسبعون كيلومترًا . وقد رأى اعضاء اللجنة الانكليزية ان السواد الاعظم من بني اسرائيل سار في هذا الطريق مع ماشيتهم وان بعض المشاة منهم سار في طريق وادي سدرة لانتقاصها سبعة عشر كيلومترًا عن الاولى وزعم بعضهم ان مسير هولاء في هذا الطريق يمنع منه خوفهم من المصريين الذين كانوا يعملون في المعادن او يحرسون العملة ولكن هذا مردود بان بني اسرائيل الذين كان عديدهم حينئذٍ زهاء ست مئة الف رجل لم يبالوا بنفر يحتفرون المعادن او يحرسونها . ولم تتمكن اللجنة الانكليزية من تعيين موقع دفقة على ان العالم

إبر الالماني استدعى الالتفات الى المشابهة الكائنة بين اسم دفقة وبين اسم مفقة الذي يراد به باللغة المصرية المواد الثمينة التي تخرج من معادن سيناء فكأنه يشير الى ان دفقة كان موقعها قريباً من المغارة السالف ذكرها . واما ألوش فلا يعلم في اي المواقع هذه بين دفقة ورفيديم . واما رفيديم فموقعها في الوادي المعروف الان بوادي فيران وتأويل اسمها محل الراحة . والماء الان قليل في المسافة بين برية سين ورفيديم فان كان كذلك في ايام موسى فيكون بنو اسرائيل اسرعوا في مسيرهم متزودين بقربهم ما كان لا بد منه لهم من الماء وكانوا يعللون انفسهم بوجدانهم ماء في رفيديم فخاب ما املوا فعاودوا على عادتهم الشكوى

﴿ عد ١٩٣ ﴾

آية اجراء الماء من الصخرة

قال الكتاب (خروج ف ١٧ ع ٣) « وعطش هناك الشعب الى الماء وتذمروا على موسى وقالوا لِمَ اصعدتنا من مصر لتقتلنا وبنينا وماشيتنا بالعطش فصرخ موسى الى الرب قائلاً ما اصنع بهولاء الشعب انهم عن قليل يرجمونني فقال له الرب مرَّ امام الشعب وخذ معك من شيوخ بني اسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر ... وها انا قائم هناك امامك على الصخرة في حوريب فاضرب الصخرة فانه يخرج منها ماء فيشرب الشعب فصنع موسى كذلك على مشهد شيوخ اسرائيل » فجرى الماء من الصخرة « وسمي ذلك الموضع المحنة والخصومة لسبب مخاصمة بني اسرائيل » وتأويل حوريب الخراب واليبوسة اذ ليس هناك ماء . ورأت اللجنة الانكليزية ان حوريب هذه غير حوريب التي تجلى الرب فيها لموسى في العليقة

واما الصخرة الوارد ذكرها هنا فقد اشغل الجوالين والزائرين البحث

عنها من اقدم العهد وحسبها رهبان دير القديسة كاترينا في جوار ديرهم وكثيراً ما اروها زائريهم فصدقوا بقولهم وكتبوا فيها ما عنّ لهم واخصهم شاو Shau الانكليزي وبوكوك الاول في كتابه الذي طبعه في اكسفرد لسنة ١٧٧٢ وملخص ما قال « قد شهدنا رفيديم وتهيأ لنا ان نرى صخرة مريبة (وهي التي تسميها النسخة اللاتينية العامية المحنة والخصومة كما روينا آنفاً) فاذا هي محفوظة سالمة من التأثيرات الجوية وكرور الايام وهي صخر من رخام اشبه بالحجر المحبب مكعبه ستة يردات (واليرد اقل من المتر قليلاً) وهو في وسط الوادي منفصماً عما سواه ويظهر انه منقطع اصلاً من جبل سيناء المحيط بهذا السهل والماء الذي جرى منه قد ثقب في احدى زواياه قناة عمقها انشان (الانش جزء من اثني عشر جزءاً من القدم) وعرضها عشرون انشاً وقد عاينا ثقوباً عديدة على طول هذه القناة وتلك ادلة حية ناطقة بان كل ثقب كان يصدر عين ماء والمتأمل يرى ان مثل ذلك لا تأتي به صناعة ولا مصادفة بل كل ما شاهدنا دلنا ان ثمة آية وان هذا المشهد يبدي حركة تقوية في قلب كل ناظر » وقال بوكوك ما خلاصته « ان في الغرب والجنوب من جبل سيناء وادي يسمى وادي يَه اي وادي الله ولا غرو ان ما كان منه في الغرب انما هو وادي رفيديم حيث حل بنو اسرائيل بعد ارتحالهم من برية سين فأهل هذا المحل يدلون هناك على الصخرة التي يقولون ان موسى ضربها فجرت المياه وهي صخرة ضخمة من الحجر المحبب الاحمر طولها عشرة اقدام وعرضها كذلك وعلوها اثنا عشرة قدماً وفي اسفل جانبيها منفجرات لا يظهر انها صنع آلة وعددها من كل جانب نحو اثني عشر منفجراً والعرب يسمون هذه الصخرة صخرة موسى ويلقون عشباً في هذه المنفجرات ويطعمونه جمالهم زاعمين انه يبرئها من كل مرض » وقال بهذا المقال لاون دي لابورد وستنلاي وغيرهما

على ان اعضاء اللجنة الانكليزية لم يروا في منفجرات الصخرة المحكى عنها شيئًا من المعجزة واوردوا لعدم تصديقهم بان هذه الصخرة صخرة موسى سببين الاول انها ليست في وادي رفيديم بل في الوادي المسمى وادي اللجة والثاني ان هذه الصخرة لا تنفرد بالعلامات التي استدلوا بها على انها صخرة موسى فان في هذا الوادي نفسه صخرة اخرى تشبه الاولى كل الشبه ولها مثل اخرى في انحاء شبه جزيرة سيناء وقد تابع الاب فيكورو اعضاء اللجنة الانكليزية في رأيهم فقال في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٧٦) ما ملخصه « لم تكن آية ضرب الصخرة وجري الماء في المحل الذي يعينه الآن رهبان سيناء وصدقهم فيه شاو وبوكوك لان رفيديم حيث جرى الماء من الصخرة ليس موقعها في وادي اللجة بل في وادي فيران كما حقق لنا ذلك تقليد قديم حفظه اوسابيوس والقديس ايرونيموس في القرن الرابع وانطونينوس الشهيد في القرن السابع وأيّدته رؤية هذه المحال فالصخرة الحقيقية يلزم ان تكون في وادي فيران وقد ذكر رجال اللجنة الانكليزية تقليدًا عند عرب تلك الانحاء يعين محل هذه الصخرة في بقعة تسمى حسي (١) الخطاطين وهم يعدون موسى من الخطاطين لانه خط الشريعة ولهم عادة لا يعرف لها بدء وهي ان كل من مر بهذا المحل رمى حجرًا صغيرًا دالاً على انه لا ينسى المحل ولا التقليد المشار اليه فترى الحصى ركامًا فوق الصخور الكائنة هناك والعرب يقولون ان بني اسرائيل بعد ان شربوا من الماء الذي انفجر من الصخرة جلسوا يلعبون برمي الحصي على الصخور . ومن يمشون الان على هذه العادة يقصدون تذكر هذه الاية والاستشفاع بموسى صانعها لبرء اقربائهم او اصحابهم

(١) الحَسي والحِسي والحِسى سهل من الارض يستنقع فيه الماء وقيل غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلما نزحت دلوًا اجتمعت اخرى

من المرض . ولا تنحصر عادة رمي الحصى على هذا المحل بل يعرف لها نظائر في محلات اخرى حيث وجد تقليد دال على امر مهم فالعالم بالمر هو اول من روى هذا التقليد وهو يعين محلاً يرجح انه محل هذه الاية ،

قال الرسول ، ان آباءنا شربوا شرابًا واحدًا روحيًا لانهم كانوا يشربون من الصخرة الروحانية التي كانت تسير معهم وتلك الصخرة كانت المسيح ، (قرنثية ١ ف ١٠ عد ٤) فقال بعض المفسرين والاباء ان الصخرة التي ضربها موسى فجرت المياه كانت تسير مع بني اسرائيل او كانت امواهها تسيل في اقنية تابعة لهم حيث حلوا واتصل بعضهم الى ان يقول ان مياه الصخرة لبثت تصحبهم ثماني وثلاثين سنة على ان هذا التفسير غير صحيح بل الصحيح ما قال غير هولاء من المفسرين والآباء وهو ان كلام الرسول مجازيّ ورمزيّ كما هو ظاهر من وصفه الشراب بالروحي والصخرة بالروحانية ومن تصريحه بان الصخرة كانت المسيح فالصخرة اي مدلول الصخرة وهو المسيح كان يسير معهم بما انه اله اجرى لهم الماء وانزل عليهم المن . وايضًا لو كانت الصخرة تسير معهم بنفسها او بمائها لما خاصموا موسى في قادش ايضًا لحاجتهم الى الماء كما ورد في سفر العدد (ف ٢٠) ولما اغفل موسى ذكر استمرار هذه الآية سنين طوالاً فهو لم يغفل ذكر استمرار المن اربعين سنة

﴿ عد ١٩٤ ﴾

في حرب العمالقة

بينما كان بنو اسرائيل في رفيديم وافاهم العمالقة يقطعون الطريق عليهم فكانت الحرب التي ذكرت في سفر الخروج (ف ١٧ ع ٨ وما يليه) وقدم في كلامنا على غزوة كدرلاعومر ملك العيلاميين لجنوبي سورية ان كثيرًا من العلماء يرون ان العمالقة هم ذرية عماليق بن اليفاز (من سريته تمنع) بن عيسو

ابن اسحق بن ابرهيم وان العلماء العرب وكثيرين غيرهم يرون ان عماليق جد هولاء انما هو من ذرية حام لا من ذرية سام ويؤيد قولهم ان غزوة كدرلاعومر كانت قبل مولد عيسو واليفاز وذكر انه ضرب العمالقة فارجع الى ما مر هناك عد ١٥٥ فهولاء العمالقة كانوا يسكنون برية فاران وما جاورها وسمعوا اخبار قدوم بني اسرائيل الى ارضهم وظنوا انهم ينوون الاقامة فيها فانتظروا بلوغهم محلاً ييسر لهم فيه الانتصار عليهم وفاجاؤهم في وادي فيران حيث كانوا بلغوا ضنكا بسفرهم الشاق مسافة ثمانين كيلومترًا من برية سين فقال موسى ليشوع بن نون الذي كان يخدمه مذ كان حدثًا ، اختر لنا رجالاً واخرج لمحاربة العمالقة وغدا وانا اقف على راس (الراية) اليفاع وعصا الله في يدي فصنع يشوع كما قال له موسى في محاربة العمالقة . وموسى وهرون وحور صعدوا الى راس اليفاع فكان اذا رفع موسى يده يغلب بنو اسرائيل واذا حطها تغلب العمالقة ولما كلّت يدا موسى اخذا (اي هرون وحور) حجرًا وجعلاه تحته فجلس عليه واسند هرون وحور يديه احدهما من هنا والاخر من هناك فكانت يداه ثابتتين الى مغرب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف وقال الرب لموسى اكتب هذا ذكرًا في الكتاب ، فيظهر ان الحرب دامت النهار بطوله وكانت للعمالقة حروب اخرى مع بني اسرائيل سيأتي ذكرها . واما من هو حور هذا فزعم يوسيفوس انه زوج مريم اخت موسى على ان الاباء ونخص بالذكر منهم غريغوريوس النيصصي وامبروسيوس اثبتوا ان مريم اخت موسى استمرت بتولاً لم تتزوج وان الصحيح ان حور من ذرية يهوذا فهو ابن كالب بن حصرون غير كالب بن يوفنا . واما اليفاع فهو اسم راية قال فيكورو (في المحل الانف ذكره) انها تسمى اليوم جبل الطاحونة وان ارتفاعها ٢٢٠ مترًا . وقد عمر المسيحيون الاولون في هذا المحل مدينة فاران ذكرًا

لهذه الاية وكانت مدينة اسقفية وترى هناك الى اليوم اطلال كنائس ومعابد واديرة ومدافن وقد كشفت اللجنة الانكليزية ثمة عن صفيحة مثلث عليها صورة رجل متشح بحلة وذراعاه مبسوطتان يصلي كما صوّر لنا سفر الخروج موسى في موقعة رفيديم ،ووجدوا ايضاً صورة ناتئة على اعلى باب تمثل ثلثة اشخاص في الهيئة الانفة الذكر فلا غرو ان سكان فاران الاولين راموا ان يخلدوا بهذه الصور ذكر موقعة كانت سبباً لشهرة مدينتهم

﴿ عد ١٩٥ ﴾

اتيان يترو حمي موسى اليه في البرية ومشورته عليه في القضاء للشعب

ان يترو حما موسى ويسميه العرب شعيباً كان كاهن مدين كما يسميه الكتاب ويظهر انه كان يعبد الاله الحقيقي او اخذ يعبده حينئذٍ اذ جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ١١) انه قال لموسى « الان علمت ان الرب عظيم فوق جميع الالهة بنفس الامر الذي بغوا (المصريون) به عليهم (على بني اسرائيل) ثم قرب يترو حمو موسى محرقة وذبائح لله وجاء هرون وجميع شيوخ اسرائيل ليأكلوا مع حمي موسى امام الله) والارجح ان المدينيين قوم يترو سكان العدوة الشرقية من البحر الاحمر هم غير المدينيين ذرية مدين بن ابرهيم من قطورة سكان الجهة الشرقية من البحر الميت فالاولون حاميون من ذرية كوش بن حام لتسمية الكتاب صفورة امرأة موسى كوشية (سفر العدد ف ١٢ ع ١) والثانون ساميون من ولد ابرهيم وان قال بعضهم ان اصل القبيلتين واحداً وقد مر لنا كلام في هذا الشان . فلما سمع يترو بجميع ما صنع الله لموسى وبني اسرائيل اتى اليه ومعه صفورة ابنته امرأة موسى وجرشوم واليعازار ابناه فيظهر ان موسى كان قد ارسلهم الى يترو بعد ان نزل بهم الى مصر كما جاء في الفصل الرابع من سفر الخروج وخرج موسى للقاء حميه وسجد وقبله وسأل كل منهما

عن سلامة صاحبه وقصّ موسى على حميه جميع ما صنع الرب بفرعون والمصريين وجميع ما نالهم من المشقة في الطريق وكيف خلصهم الرب . ولما رأى يترو موسى يجلس وحده ليقضي للشعب من الغداة الى العشي قال له ليس ما تصنعه بحسن فانك تكل انت وهذا الشعب الذين معك ايضاً فاسمع ما اشير به عليك كن انت للشعب من قبل الله ترفع دعاويهم اليه وتنبئهم بالفرائض والشرائع وتنهج لهم الطريق الذي يسلكونه وانظر من جميع الشعب اناساً اقوياء اتقياء مستقيمين يكرهون الطمع وولِّ منهم عليهم رؤساء فيئات بين الف ومئة وخمسين وعشرة فيقضون للشعب في كل امر ضئير ويرفعون اليك كل امر عظيم فسمع موسى من حميه وصنع جميع ما قاله له ولما ازمع بنو اسرائيل على المسير من برية سيناء نحو ارض الموعد سأل موسى حماه ان يبقى معهم ليهديهم الطرق فاعتذر ولذلك جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ٢٧) . ثم صرف موسى حماه فمضوا الى ارضه ، ولكن يظهر ان حوباب بن يترو استمر معهم اذ جاء في سفر العدد (ف ١٠ ع ٢٩) ان موسى قال لحوباب . تعالَ معنا نحسن اليك ... فقال له وانما امضي الى ارضي وعشيرتي قال له لا تتركنا فانك تعلم مواضع حلولنا في البرية فتكون لنا بمنزلة الابصار وان سرت معنا فما يحسن الرب به من خير نحسن به اليك ، وقد صحبهم الى ارض الموعد واخذ نصيباً مما قسمه يشوع بن نون

﴿ عد ١٩٦ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من رفيديم الى برية سيناء ونزولهم الجبل واي الجبال هو

جاء في سفر الخروج (ف ١٩ ع ١ وما يليه) . وفي الشهر الثالث لخروج بني اسرائيل من مصر في ذلك اليوم ... رحلوا من رفيديم وجأوا برية سيناء

فنزلوا في البرية ... تلقاء الجبل ، ان للمرتحل من رفيديم اي من وادي فيران الى برية سيناء طريقين الاول يسمى الان طريق الواطية في الطرف الشمالي من وادي فيران والثاني في محل يسمى الان نجب الهواء في شرقي رفيديم وممر الطريقين بين سلسلة جبال ارتفاعها من ست مئة الى تسع مئة متر على ان طريق نجب الهواء عسر المسلك فالاظهر ان العبرانيين سلكوا طريق الواطية الى جبل سيناء . ثم ان المسافة التي اجتازها بنو اسرائيل من عيون موسى الى جبل سيناء هي نحو من مئتين وواحد وستين كيلومترًا فاذا قسمت على احدى عشرة مرحلة (كما كانت مراحلهم هذه) كان الحاصل انهم ساروا في كل مرحلة ٢٤ كيلومترًا الا قليلاً عبارة عن مسافة اربع ساعات بناءً على ان الراكب يجتاز في كل ساعة ستة كيلومترات وليس ذلك قليلاً وهم شعب كامل يسير باطفاله وشيوخه ومواشيه واما تلقاء اي الجبال حلوا لان هناك جبالاً او قممًا لسلسلة جبل سيناء يسمى كل منهما باسم خاص فاعم التقليدات ان الجبل الذي حلوا تلقاءه انما هو الجبل المسمى الان جبل موسى وقد صحح اعضاء اللجنة الانكليزية هذا التقليد القديم على ان بعض الجوالين في هذا العصر رأوا ان الجبل الذي حلوا تلقاءه هو جبل سربال وهو قمة من جبال سيناء تبعد عن رفيديم ستة كيلومترات او سبعة وسمي سربالاً اي درعًا لهيئة تحدر الماء على صخوره آونة الشتاء فتكون اشبه بزرد درع نشرت عليها وارتفاعه عن ساحل البحر نحو ١٩٨٠ مترًا ويبلغ بعض اعاليه الى ٢٠٦٠ مترًا على ان موقع هذا الجبل المحاط بثلاثة اودية ضيقة هي وادي الريم ووادي علامة ووادي عجلة يقضي بانه لم يكن صالحًا لنزول بني اسرائيل تلقاءه ولاسيما انهم اقاموا في برية جبل سيناء مدة طويلة وقد صرّح كثير من المؤلفين القدماء الذين ساحوا او حجوا الى جبل سيناء ان هذا الجبل هو المعروف الان بجبل موسى ومن هولاء

سيلفانوس امون والقديس نيلوس راهب سيناء وانطونينوس الشهيد وغيرهم .
ثم ليس في جبل سربال ما نراه في جبل موسى من الآثار الدالة على اجلال القدماء له لتنزيل السنّة عليه كبناء كنائس ومعابد وانهاج طرق . وقد استمسك القائلون بان سربال هو الجبل الذي نزلت عليه الشريعة بوجود بعض خطوط قديمة في جواره لكن هذه الخطوط في جوار سربال اقل منها كثيرًا في غيره كجبل المناجاة وقد كان العلماء في اواخر القرن السالف ومبادئ هذا القرن يظنون تلك الخطوط نمّقها العبرانيون في ايام خروجهم من مصر فظهر الان بعد حلّ رموزها والاطلاع على فحواها انه لم يكن لبني اسرائيل يد فيها بل ان ماكان منها ساميًا قد كتبه النبطيون قبل قليل من التاريخ المسيحي او بعده وبعضها كتب باليونانية وقد قطعت اللجنة الانكليزية بان سربال ليس الجبل الذي حل بنو اسرائيل تلقاءه وبالنتيجة ليس الجبل الذي نزلت السنّة فيه على موسى

فالصحيح اذًا ان الجبل الذي ذكره الكتاب انما هو جبل سيناء ويسمى الان جبل موسى وطول هذا الجبل ٣٢٠٠ متر وعرضه ١٦٠٠ متر وهو يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وارتفاعه الاوسط عن ساحل البحر ٢٠٠٠ متر وعن الأوداء المجاورة له ٤٥٠ مترًا على ان له قمتين الاولى جنوبية وارتفاعها ٢٢٤٤ مترًا وهذه يسمونها جبل موسى باسم الجبل كله وكانت تسمى قبلاً جبل المناجاة والثانية في الشمال الغربي وتسمى راس الصفصافة ومعظم ارتفاعها عن سطح البحر ٢١١٤ مترًا . وفي الشمال الغربي من راس الصفصافة سهل فسيح يسمى سهل الراحة مساحة سطحه الف وست مئة اكتار والاكتار عبارة عن عشرة الآف متر مربع فيكون المجموع ستة عشر مليون متر مربع واذا أُلحق به منفرجا وادي الدير ووادي اللجة تضاعف اتساعه فعلى ايّ القمتين

تجلى الرب لموسى وانزل عليه الشريعة فرهبان دير القديسة كاترينا يزعمون استنادًا الى تقليد متوغل في القدم ان القمة الجنوبية المسماة جبل موسى او جبل المناجاة هي مهبط السنَّة وان راس الصفصافة لا اهمية له على ان معاينة هذه الاماكن تقضي بالمخالفة لزعمهم اذ ليس في سفح القمة الجنوبية ارض يمكن ان يجتمع فيها جمع غفير وسهل الراحة محجوب عنها بقمة راس الصفصافة وقد صرح الكتاب بان بني اسرائيل كانوا يرون قمة الجبل الذي نزَّل الله السنَّة عليه ولذلك رأى روبنسون اولاً ثم قطعت اللجنة الانكليزية بان راس الصفصافة انما هو مهبط الشريعة الموسوية وهذا لا ينقص من حرمة جبل موسى فانه يرجح انه الجبل الذي تجلى الله لموسى عليه في العليقة والنار تضطرم فيها وفي مناجاته له بعد الشريعة كما تدل على ذلك تسميته القديمة جبل المناجاة . وتقليدات اهل تلك البلاد ان الجبل المسمى الان جبل المناجاة هو جبل منخفض في شرقي جبل موسى ويشرف على سهل الراحة فهناك اقيم خباء المحضر (قبة العهد) اذ عليه يصدق ما ذكره الكتاب من ان هذا الخباء كان خارجًا عن المحلة وكان كل من بني اسرائيل يمكنه ان يرى من باب خيمته موسى داخلاً في الخباء انتهى (ملخصًا عن الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ من صفحة ٤٨١ الى صفحة ٤٩٩ طبعة ٤)

﴿ عد ١٩٧ ﴾

في تنزيل الله السنَّة

لما حل بنو اسرائيل تلقاء جبل سيناء صعد موسى الى الجبل فناداه الرب قائلاً كذا تقول لبني اسرائيل قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على اجنحة النسور واتيت بكم اليَّ والان ان امتثلتم اوامري وحفظتم عهدي فانكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لان جميع الارض لي فعاد موسى

ودعا شيوخ الشعب والقى اليهم جميع الكلام الذي امره الرب به فاجاب الشعب اجمع كل ما تكلم به الرب نعمل بحسبه ولما انهى موسى كلامهم الى الرب قال له امضِ الى الشعب وقدسهم اليوم وغدًا وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث فان الرب يهبط امام جميع الشعب على جبل سيناء واجعل حدًّا للشعب من حواليه واحذروا من ان تصعدوا الجبل او تمسوا اطرافه فان كل من يمس الجبل يقتل قتلاً بالرجم واذا نفخ في البوق جاز لهم ان يصعدوا فنزل موسى واعدَّ الشعب كما امر الرب . وحدث في اليوم الثالث عند الصباح انها كانت اصوات وبروق وغمام كثيف على الجبل وصوت بوقٍ شديد جدًّا فاخرج موسى الشعب من المحلة فوقفوا اسفل الجبل (في سهل الراحة) وهو مدخن كله كدخان الاتون فارتجف الشعب جدًّا ونادى الرب موسى الى راس الجبل فصعد فقال الرب له انزل ناشد الشعب ان لا يقتحموا الى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون وليتقدس الكهنة الذين يتقدمون الى الرب كيلا يبطش الرب بهم فامض وانزل ثم اصعد انت وهرون معك فقعل موسى كما امر الرب ثم تكلم الرب على مسمع من الشعب منزلاً شريعته واولها الوصايا العشر وألحق بها السنن والاحكام الواردة في الفصول ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من سفر الخروج فوعد الشعب ان يعمل بكل ما امر الرب فكتب موسى جميع كلام الرب وبكّر في الغداة وبنى مذبحًا في اسفل الجبل ونصب اثنى عشر نصباً لاسباط اسرائيل الاثني عشر وبعث فتيان بني اسرائيل فاصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب

قد انكر جاحدوا الوحي في القرن السالف ان موسى كتب السنّة وسائر اسفار التوراة المنسوبة اليه متعللين لانكارهم بانه لم يكن له في البرية ما يكتبها به فقال فولتر ومن حذا حذوه انه لم تكن وسيلة في تلك الايام لكتب

المرء افكاره الا بحفرها على حجر او رصاص او خشب او لبن ولم يكن للكلدان والمصريين حينئذٍ من ذريعة لابلاغ الخلف ما كان لهم الا برسم ما يدل على مجمل احداثهم بايجاز وخطوط هيروكليفية لا ان ينمقوا كتبًا في البرية وهم كل يوم بواد وقال هرتمان الالماني في هذا القرن ايضًا انه كان نوع من الكتابة في ايام موسى الا انها لم تكن الا سرًّا محفوظًا للكهنة فلم يتهيأ لبني اسرائيل عرفانها على حالتهم الذليلة في مصر وزعم مع غيره من الجاحدين انه لم يكن في امكانهم وجدان المواد اللازمة لكتابة اسفار ضخمة كاسفار موسى الخمسة ولاسيما ان التقليدات المحلية كانت تحظر عليهم استعمال غير الحجر او المعدن او الخشب ولا تبيحهم استعمال الرق واختتم هرتمان كلامه بان العبرانيين لم يعرفوا الكتابة قبل عصر القضاة

ان هولاء الجاحدين كانوا قبل هذه الايام ولو اوردوا اليوم مثل هذه الحجج الباطلة لعيبوا بالجهل الفاحش فقد صدقوا بان فنّ الكتابة كان في ذلك العصر نادرًا عند القبائل اليافثية في اوربا لكنه كان في وادي النيل عامًا شاملاً يعرفه المصري والعبراني ايضًا وكنت ترى الكاتب المصري كيف اتجهت وقلمه بيده كما نرى الان صورًا لهم تشذ عن العد نقشت قبل ايام الخروج وفي عصره بل كان للمصريين ولوع او هوَس بالكتابة حتى عدَّت من العلامات المميزة لهم ولم تكن المواد اللازمة لها تعوزهم اذ كانوا يكتبون على الحجر والخشب والنسيج والبابير وفي متاحف اوربا ما هو اكثر من ان يعد مكتوبًا على المواد المذكورة في عصر الخروج وقبله . وعليه فاذا رأينا موسى حاملاً اللوحين ووصايا الله مكتوبة عليها ورأيناه يأمر بان تكتب هذه الوصايا على عتبات الابواب وعلى عصائب تشدّ بها الجبهة وعلى غيرها علمنا بلا ريب ان الكتابة مطروقة عند المتكلم ومن يكلمهم وكان ذلك برهانًا آخر جليًا لصدق الكتاب

لا للتكذيب به من وجه ان من يتكلم كذلك يلزم ان يكون تربى في مصر وتعلم علومهم ومن يكلمهم يلزم ان يكونوا كذلك يعرفون الكتابة والقرآة وغيرها مما اعتاده المصريون كما كان موسى وبنو اسرائيل وعليه فتكون حجج الجاحدين حججاً عليهم

﴿ عد ١٩٨ ﴾

ابطاء موسى في الجبل وعبادة بني اسرائيل عجل الذهب

انبأنا الكتاب (خروج ف ٢٤) ان موسى بعد ان اذاع شريعة الرب على بني اسرائيل امره ان يصعد هو وهرون وناداب وابيهو ابناه وسبعون من شيوخ اسرائيل ليسجدوا للرب ويشكروه على الآئه عن بعد ويتقدم موسى وحده فكان كذلك وبعد ان صعد موسى الجبل غطاه الغمام واقام موسى في الجبل اربعين يوماً واربعين ليلة وحينئذٍ امره الرب بعمل الخباء وتابوت العهد وبيّن له كيف يلزم عملهما وكيف تكون خدمة الكهنة فيه وعيّن عاملين لصنعه وهما بصلائيل بن اورى بن حور من سبط يهوذا واهليآب بن احيساماك من سبط دان وسلم اليه لوحي الوصايا كما فصل ذلك في سفر الخروج من ف ٢٥ الى ف ٣٢ وسنأتي على ذكر ملخص ما ذكره الكتاب عن هذا الخباء وما حواه اما الشعب فرأوا ان موسى ابطأ في النزول من الجبل فاجتمعوا على هرون وقالوا له قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا فان موسى لا نعلم ماذا اصابه ويظهر انهم اكثروا من الالحاح على هرون فاراد ان يصرفهم عن عزمهم بما خيل له انهم يأبون صنعه فقال لهم انزعوا شنوف الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها فلم يتوقف الشعب عن العمل بقوله فاخذها منهم ودفعها الى صانع وصورها في قالب وصنعها عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر فتناسوا حالاً تعليم الله بوحدانية ذاته ونطقوا

بالشرك ولا جرم انهم ارادوا ان يتابعوا المصريين بعبادتهم للاله ابيس الذي كانوا يرونهم يسجدون له امام عجل او صورة عجل وكانوا يصورون احيانًا هذا الاله بهيئة انسان ورأسه رأس عجل . وقد اجهد العالم مونسو نفسه ليبرئ هرون من هذه الجريمة في كتاب افرده لذلك ومن حججه فيه ان العجل الذي تسبب بسببه كان شبيهًا بالكاروبيم الذي كان الرب جالسًا عليه عند تجليه لموسى في جبل سيناء وانه لم يأثم بسبك العجل بل بوضعه وسيلة لتقدمة الشعب عبادة وثنية على ان مونسو لم يصادف نصيرًا له في رأيه هذا وحاول غيره ان يبرئ ساحة هرون بانه انما قصد ان يجعل الشعب يسجد للاله الحقيقي امام صورة عجل كانه لم يكن الا صورة لله واستدلوا على ذلك بانه قال للشعب غدًا عيد للرب واستعمل كلمة يهوه الدالة على الله لا على الهة الامم وان الشعب تجاوز مقصده فسجد لعجل آكل عشب كما قال المرتل (مز ١٠٥ ع ١٩) « صنعوا عجلاً من حوريب وسجدوا للمسبوك وتبدلوا بمجدهم شكل ثور آكل عشب » على انه لا يمكن تبرئة هرون من الاثم وهو لم ينكر ذنبه وقد قال موسى في سفر التثنية (ف ٩ ع ٢) « واما هرون فغضب الرب عليه جدًا حتى همَّ ان يبيده فتضرعت لاجل هرون ايضًا في ذلك الوقت » وسنأتي على اخجال الجاحدين لتنديدهم بالكتاب لذكره سبك العجل عند ردنا تنديدهم به لما ذكره في عمل الخباء

فقال الرب لموسى في الجبل هلمَّ فانزل فقد فسد شعبك الذي اخرجته من ارض مصر ودعني يضطرم غضبي عليهم فافنيهم واجعلك انت امة عظيمة فخشع موسى للرب ضارعًا اليه ان يرجع عن شدة غضبه ويعود عن مساءة شعبه ونزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة في يده مكتوباً على جانبيهما من هنا وهناك بامر الله الوصايا العشر ولما دنا من المحلة رأى العجل والرقص

فاتقد غضبه فرمى باللوحين من يديه وكسّرهما في اسفل الجبل . ثم اخذ العجل الذي صنعوه فاحرقه بالنار وسحقه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء واسقى بني اسرائيل ووبّخ هرون على صنيعه . زعم بعض الربيين ان كل من شرب من ذلك الماء وكان مذنباً بالسجود للعجل ضُرب بقروح عرّفت موسى به فقتله بنو لاوى بامره وقال غيرهم من الربيين ان كل من شربوا من هذا الماء وكانوا اكثر عبادة للعجل تغير لون لحاهم الى لون الذهب واتصل ذلك ايضاً باولادهم على ان هذه اقاصيص لا يعتد بها والظاهر انه اسقاهم من الماء الذي ذري على وجهه رماد العجل ليروا بطلان ما عبدوا وانه لا يأتي بنفع ولا ضرّ ولو تناولوا رماده

ثم وقف موسى على باب المحلة وقال من هو للرب فليقبل اليّ فاجتمع اليه جميع بني لاوي فقال لهم كذا قال الرب اله اسرائيل ليتقلد كل واحد سيفه وليقتل كل واحد اخاه وصاحبه وقريبه فصنع بنو لاوي كما امر موسى فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف رجل كذا في النص العبراني والترجمات السبعينية والسريانية والسامرية وكذا قرأ كثير من الاباء اليونان واللاتينيين ولكن جاء في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية ثلاثة وعشرون الفاً ثم قال موسى للشعب في الغد قد خطئتم خطيئة عظيمة والان اصعد الى الرب لعلي اكفّر خطيئتكم ورجع موسى الى الرب وقال ياربِّ قد خطئ هولاء الشعب خطيئة عظيمة والان اغفر خطيئتهم والا فامحني من كتابك الذي كتبته فقال له الرب الذي خطئ اليّ اياه امحو من كتابي والان امضِ وقِد الشعب الى حيث قلت لك هوذا ملاكي يسير امامك (خر ف ٣٢) ثم قال له انحت لك لوحي حجر كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على اللوحين الاولين اللذين كسرتهما واصعد في الغداة الى جبل سيناء ولا يصعد احد

معك فنحت لوحي حجر كالاولين وبكّر الى جبل سيناء وفي يده لوحا الحجر فهبط الرب في الغمام واقام موسى هناك اربعين يوماً واربعين ليلة لم ياكل خبزاً ولم يشرب ماءً فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر واوصاه وصايا اخرى وعاد موسى ولوحا الشهادة في يده ولم يعلم ان اديم وجهه قد صار مشعاً من مخاطبة الرب له حتى خاف هرون وبنو اسرائيل من الدنو منه فارجعهم موسى وامرهم بجميع ما كلمه الرب به في طور سيناء ولما فرغ من مخاطبتهم جعل على وجهه برقعاً وكان يرفعه عند دخوله بين يدي الرب الى ان يخرج فاذا خاطب بني اسرائيل رد البرقع على وجهه

﴿ عد ١٩٩ ﴾

في خباء المحضر ورد ازعام من جحدوا صحة كلام الكتاب

لما كان عقل الانسان قاصراً عن ان يسن لنفسه شريعة يقوّم بها اعماله ويقيم بفروضه وعمت الوثنية وطغى الشرك بالله والشرّ استجذب الله شعبه من مصر الى البرية فنزل على موسى شريعته وجعل اسها التوحيد وامر بني اسرائيل العمل بها وبما ان الانسان مركب من نفس وجسد ويلزمه ان يعبد الله خالقه بهما وكان المحسوس اشد تأثيراً به من المعقول المجرد الهم الناس مذ بدء نشأتهم اقامة المعابد والمساجد بما امكن من العظمة والابهة اجلالاً له وعملاً لهم بالوسائل الخارجة ايضاً الى توقيره وعبادته ولذا امر موسى بعد سن شريعته ان يجعل لشعبه النافلة خباءً منتقلاً اي مظلة بدلاً من المعبد الراسخ وان يكون له من العظمة ما يشعر بانه بيت الله او خباؤه ويميزه عن اخيتهم ولذلك امر موسى (الخروج ف ٢٥) قائلاً مر بني اسرائيل ان يأخذوا لي تقدمة عند كل انسان ما تسخو به نفسه وهذه هي التقدمة ذهب وفضة ونحاس وسمنجوني وارجوان وصبغ قرمز وبز وشعر معزى وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية

وخشب سنط (وهو الاكاسيا) وهو كثير هناك وزيت للمنارة واطياب لدهن المسح وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة كريمة لترصيع الأفود والصدرة من ملابس الاحبار ولما ابلغ موسى ذلك الى الشعب اتى الرجال والنساء باسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب وكل من وجد عنده سمنجوني وارجوان وصبغ قرمز الى سائر ما ذكره الرب اتى به وكل امرأة حاذقة غزلت بيدها واتت بغزل والاشراف اتوا بحجارة الجزع والحجارة الكريمة تطوعاً للرب فصنع بصلائيل واهليآب وكل من اودع الرب قلوبهم فهما وحكمة الخباء بحسب كل ما امر الرب به (خروج ف ٣٥) وكان اهليآب « نجاراً ونساجاً حاذقاً ومطرزاً » (خروج ف ٣٨ ع ٢٣) وقد فصّل موسى كل ما كان في الخباء في سفر الخروج من الفصل الخامس والعشرين الى الفصل الثاني والثلثين ثم من الفصل السادس والثلثين الى الفصل الاربعين

ومجمل ما هنالك ان هذا الخباء كان مظلة كبرى طولها ثلاثون ذراعاً وعرضها عشر وعلوها كذلك وكان مقسوماً الى قسمين احدهما يسمى القدس وطوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر وكان فيه مائدة خبز التقدمة ومنارة الذهب ومذبح الذهب وثانيهما يسمى قدس الاقداس وطوله عشر اذرع وعرضه كذلك وكان فيه تابوت العهد وضمنه لوحا الوصايا وقسط المنّ وعصا هرون وكان يفصل بين القدسين ستار ثمين معلق على اربعة اعمدة من السنط مرصعة بصفائح من ذهب وكان حول الخباء سرادق طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وكل ذلك قائم على اعمدة من السنط والواح وكان سقف الخباء مغطى باربعة استار اولها من داخل كان مصنوعاً من الارجوان والثاني من شعر المعزى لمنع نفوذ المطر الى الداخل والثالث من جلود كباش والرابع من جلود سمنجونية اللون وكانت الجهة الشرقية من الخباء مفتوحة معلقاً عليها في

خمسة اعمدة ستر ثمين يحجب ما كان في داخله ومن شاء اكثر تفصيل لهيئة الخباء وما حواه وملابس الاحبار فيه فليطالع الفصول المشار اليها آنفاً

كذَّب الجاحدون بكلام الكتاب في الخباء وسخروا منه متهكمين وقالوا ما هو الا حكاية كتبت بعد بناء هيكل سليمان للشبه الكبير بين الهيكل والخباء ومن هولاء الكافران فولتر ورنان في المقالات التي كتبها في اخر حياته واخص ما تمحلوا به لاسناد اوهامهم قولهم من اين المعامل والادوات عند قوم رحل ليعملوا في البرية ما وصفه موسى في الخباء من المنائر والمذابح وصفائح الذهب والترصيع بالحجارة الكريمة والانسجة المصبغة ومن اين العملة الماهرون وهم لم يكن بينهم من يصلح احذيتهم لكنهم طغوا وجهلوا وجأت الاكتشافات الحديثة تخجلهم بكفرهم وتخزيهم بجهلهم والشبه بين الهيكل والخباء لا يقوم عليه نكير مذ كان سليمان صنع الهيكل على مثال الخباء واراد ان يكون بيت الله مبنياً راسخاً بعد ان كان مظلة منتقلة ولم يرد ذكر الخباء مرة واحدة في الخروج ليسمى حكاية بل كرر ذكره كانه في كل صفحة بعد الخروج اي في باقي اسفار موسى واسفار يشوع بن نون والقضاة والملوك الاول والثاني الى بناء الهيكل ولنأتِ الى شهادة الاثار فهي اعظم مفحم للجاحدين فقد اكتشفت معامل للمصريين في محل يسمى الان وادي المغارة في جانب جبل سيناء وعلى مقربة من محلة العبرانيين كان المصريون يعملون بها ما يستخرجونه من معادن الذهب والنحاس هناك وحققت اللجنة الانكليزية وجود هذه المعامل والمعادن هناك وتبينت اخربتها ومثل ذلك حققها ابحاث الكونت لابورد ولبسيوس ولوتان دي لافال ونجد ذكر اكتشاف المعادن منذ عهد الدولتين الخامسة والسادسة في مصر فان اماني عامل الملك اوزرتيسان الاول روى في اثرٍ له انه كان يحفر من ينقلون ذهب معادن كبتوس . وقد كشف عن صفيحة في كوبان كتب

عليها للسنة الثالثة من ملك رعمسيس مضطهد اليهود ان ساقي الاول احتفر بئراً ليشرب منها عملة المعادن ومن يسيرون في البرية اليها راكبين الحمير فعمق ١٢٠ ذراعاً فلم يجد ماء لكن رعمسيس احتفر سبع اذرع اخرى او ثماني فوجد الماء وفي متحف تورين بابير يحوى خريطة هذه المعادن الذهبية للاهتداء الى عروق الذهب فيها وقد وجدت اللجنة الانكليزية في وادي المغارة تمثالاً لفرعون الذي يسمى سنافرو من الدولة الرابعة ونقوشاً تمثل فرعون كاوبس الذي بنى اول اهرام هذه الدولة الرابعة فلم يكن اذاً مستحيلاً ولا عسراً على موسى ان يصنع عند جبل سيناء ما صنعه في الخباء او في تابوت العهد وملابس الكهنة فقد استخدم بصلائيل معامل وادي المغارة في صنع ما صنعه من ذهب او فضة او نحاس او اشغل العملة المصريين بعمله حسب ما شاء واذا كان بصلائيل عاملاً في المعادن واهليآب نجاراً نساجاً طرازاً واستخدم هذان غيرهما ممن اودع الرب قلوبهم حكمةً وفهماً كما جاء في الكتاب فاي مستحيل او اي غرابة في عمل الخباء لنكذب بآيات الكتاب

ثم ان بني اسرائيل لم يكونوا كلهم في مصر رعاة ماشية ولم يشغلهم كلهم المصريون في عمل اللبن بل اشغلوا بعضهم في معامل الصنائع ايضاً وكان بينهم كثير من اسرى مصر وشعبها وكان في مصر عملة ماهرون في الذهب والجواهر وترصيعها والحفر بها ولنا على ذلك شهادات تشذ عن العدّ بما وجد في المدافن القديمة وغيرها من الحلي والتماثيل والصور التي يعجب منها احذق صناع هذا العصر وقد ملئت بها متاحف اوربا ومتحف بولاق . وقد كشف عن خريطة لمعادن الذهب التي كانت في وادي حمامات بين النيل والبحر الاحمر وتلك الخريطة صنعت في ايام رعمسيس الثاني مضطهد اليهود وقد ترجمها واذاعها العالم ليابلان وامر خديوي مصر سنة ١٨٧٤ بالبحث هناك عن اثار المعادن

التي تشير اليها الخريطة فوجد هناك كثيرًا من الانية والادوات التي كانت تستعمل في تصفية الذهب والعمل فيه وبعض المادة الحاوية العروق الذهبية ايضًا واذا راعينا ان رعمسيس الثاني صانع هذه الخريطة هو الذي كان يسخر اليهود في الاعمال الشاقة لزمنا لزومًا بديهيًا ان نسلم انه سخر بعض اليهود في العمل بمعادن ومعامل وادي حمامات ايضًا ومن كان اهلاً منهم اشتغل بعمل الحلي وغيره من المصنوعات الذهبية ثم ان كل ما ورد ذكره في عمل الخباء من نسج او طراز او ترصيع جواهر او طلي بالذهب والتصفيح به او عمل الآنية منه او من الفضة فكل ذلك من صنائع المصريين التي لا تعد امثلتها في متاحف اوربا ويستبعد كثيرًا ان لا يكون بعض بني اسرائيل تعلم هذه الصنائع منهم مع اقامتهم بين اظهرهم اربعة قرون ونيفًا واذا لم يعسر على بني اسرائيل عمل ما كان في الخباء فبالاولى ان لا يعسر عليهم سبك عجل الذهب الذي عبدوه عند ابطاء موسى في الجبل ولم يغفل الجاحدون عن انتقاد كلام الكتاب فيه

وبعد ان تمَّ عمل الخبآء وادواته وما كان فيه امر الرب موسى ان يقيم هذا الخبآء في اليوم الاول من الشهر الاول للسنة الثانية من الخروج فكرس بالزيت المقدس المركب من زيت الزيتون والميعة وغيرهما ادوات الخبآء وآنيته ووضع التابوت والمذابح والمنائر فيه واستدعى هرون وبنيه والبسهم بحضرة الشعب اثواب التقديس ومسحهم بالدهن المشار اليه آنفًا وقدم ذبائح لله ويظهر ان الخباء اقيم على الجبل المسمى الان جبل المناجاة وهو اكمة مرتفعة قليلاً عن السهل وكائنة في مدخل الوادي المسمى الان وادي الدير في شرقي جبل موسى ومشرفة على سهل الراحة حيث حل بنو اسرائيل فموقعها وموقع هذا السهل قاضيان باقامة الخبآء في اعلاها اذ جاء في سفر الخروج (فصل ٣٣ عد ٧ و ٨) ان كلاً من بني اسرائيل كان يرى الخبآء وموسى عند دخوله اليه

الفصل السابع

(في ما بقي من مراحل بني اسرائيل الى صحراء مواب)

﴿ عد ٢٠٠ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من جبل سيناء الى قبور الشهوة

بعد ان اقام بنو اسرائيل تلقاء جبل سيناء نحوًا من سنة ونزل الرب عليهم سنته واقاموا الخباء ومسح اجبارهم وأتمّ نظامهم امر الرب موسى ان يعدهم فكان عديدهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا ست مئة الف وثلاثة الاف وخمس مئة وخمسين رجلاً عدا اللاويين (سفر العدد ف ١ ع ٤٥ وما يليه) ثم انكشف الغمام عن الخباء فحمله اللاويون وارتحل بنو اسرائيل حوله بحسب النظام المذكور في الفصل الثاني من سفر العدد وكان ارتحالهم في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية بعد الخروج يأمون برية فاران . وقد اقرت اللجنة الانكليزية بعجزها عن تعيين الطريق الذي سار به بنو اسرائيل حينئذٍ لكنها اوردت بعض افتراضات تقرب من الصحة وحيث ان اول محلة احتلها بنو اسرائيل بعد ارتحالهم من برية سيناء انما هي قبور الشهوة فرأى اعضاء هذه اللجنة ان الاظهر ان موقع قبور الشهوة هو في المحل المسمى اليوم رويس الاوبيرج وهو بعيد ٤٢ كيلومترًا عن جبل موسى في طريق خليج عقبه . وذهب بعض العلماء الى ان بني اسرائيل عند ارتحالهم من سفح جبل سيناء ساروا نحو الشمال لكن الاظهر انهم اتجهوا نحو المشرق الى جهة خليج عقبه وعليه فلا يصح ان يكون موقع قبور الشهوة في المحل المسمى الان وادي العين في

الشمال الشرقي من جبل موسى على بعد ٨٨ كيلومترًا منه كما ظنّ بعضهم ولا في السهل الواقع في الشمال-الغربي منه المعروف الان بالواطية ويرجح انه في رويس الاوبيرج كما رأى اعضاء اللجنة الانكليزية . وروى الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٥٥٣) ان عند العرب هنالك تقليدًا منبئًا بانه قد مرّ بهذا المحل منذ احقاب جمهور كبير من الحجاج ماضين الى حيصروت فلبثوا فيه وما يرى فيه من الاثار انما هي اثار عبورهم ثم تاهوا في التيه وانقطعت اخبارهم فيمكن انتاج شيء من هذا التقليد وان غير راهن لان قول العرب في رواية هذا التقليد « تاهوا » مشعرٌ بان المراد بجمهور الحجاج الماضين الى حيصروت بنو اسرائيل وعن هذه الكلمة اخذ اسم بادية التيه اي تيه بني اسرائيل وقولهم حجاج يريدون به جمهورًا كحجاج مكة ولكن يمكن اشتقاق الكلمة من حك العبرانية مثل חג (حكو) السريانية ومعناها العيد وقد استعمل هذا اللفظ (في الخروج ف ١٠ ع ٩) للدلالة على العيد الذي سأل موسى وهرون فرعون ان يأذن لبني اسرائيل ان يعملوه في البرية

واما الداعي لتسمية هذا المحل قبور الشهوة فهو ما جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٤ وما يليه) حيث قيل « واشتهى الاخلاط (اي من خرجوا مع بني اسرائيل من مصر ولم يكونوا منهم) الذين فيما بينهم شهوة فتابعهم بنو اسرائيل وبكوا هم ايضًا وقالوا من يعطينا لحمًا فقد ذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم والان فنفوسنا يابسة لا شيء امام عيوننا غير المنّ » فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم وقد اشتد غضب الرب جدًا ساء ذلك موسى . وقال للرب لِمَ ابتليت عبدك حتى وضعت اثقال جميع هولاء الشعب عليّ ألعلي انا ولدتهم حتى تقول لي احملهم في حجرك كما تحمل الحاضن الرضيع من اين لي لحم اعطيه لجميعهم فان

كنت فاعلاً بي كذا فاقتلني ان حظيت في عينيك ولا ارى بليتي . فقال له الرب اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل وخذهم الى خباء المحضر فيقفوا ثمة معك فانزل واتكلم معك وآخذ من الروح الذي عليك واحلّه عليهم فيحملون معك اثقال الشعب وقل للشعب تقدموا للغد فتاكلون لحماً لا يوماً ولا يومين ولا خمسة ايام ولا عشرة ايام ولا عشرين يوماً بل شهراً من الزمان الى ان يخرج من انوفكم ويصير لكم بَشماً فخرج موسى واخبر الشعب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل ووقفهم حوالي الخباء وحل روح الرب عليهم فتنبأوا الا انهم لم يستمروا انبياء وبقي منهم الداد وميداد في المحلة فتنبأا فيها . وعند انحيازهم الى المحلة ، هبت ريح من لدن الرب فساقت سلوى من البحر والقته على المحلة على مسيرة يوم من هنا ويوم من هناك حوالي المحلة على نحو ذراعين عن وجه الارض فاقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم يجمعون السلوى فجمع اقلهم عشرة احمار (١) فسطحوها لهم مساطح حوالى المحلة وبينما اللحم بعد بين اسنانهم قبل ان يمضغوه اذا اشتد غضب الرب فضربهم ضربة عظيمة جدًّا ، كأنه بلاهم بوبآء اثر اكلهم السلوى فمات منهم خلق كثير فقبروهم هناك ، فسمي ذلك الموضع قبور الشهوة لانهم دفنوا فيه القوم المشتهين ، وقد ذكرنا ما يتعلق بالسلوى عند انزالها المرة الاولى في برية سين فطالع عد ١٩١

(١) كذا في نسخة الاباء اليسوعيين في سفر العدد فصل ١١ عد ٣٢ ولكن في سفر الخروج فصل ١٦ عد ١٨ انهم كالوا المن بالعُمر وفي عد ٣٦ (وكان العمر عشر الالفية) فلعل مرتبي الحروف في المطبعة بدلوا العين بالحاء هنا

﴿ عد ٢٠١ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من قبور الشهوة الى حصيروت وغيرها حتى قادش وتذمر مريم وهرون على موسى بسبب امرأته

جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣٥) « ورحل الشعب من قبور الشهوة الى حصيروت فاقاموا هناك » وحصيروت تسمى الان عين حصيره او حصاره على مسيرة اربعة وعشرين كيلومترًا من رويس الاوبيرج نحو خليج عقبة وهناك اثار محلة من ينابيع ماء جارية ونخيل وكلمة حصيروت عبرانية تأويلها الحظيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه لتأوى اليه الماشية ومثل هذه الحظائر كان ولا شك كثيرًا في بلاد العرب ويظهر من سفر العدد (ف ١٢) انه هناك تكلمت مريم وهرون في موسى بسبب المرأة الحبشية التي تزوجها لانه كان قد اتخذ زوجة حبشية (والاولى ان تترجم كوشية) وهي صفورة امرأته فانها من المدينيين وهم على الارجح قبيلتان احداهما من ذرية كوش بن حام ومنها امرأة موسى هذه والثانية من ذرية مدين بن ابرهيم من قطورة كما مر في عد ١٩٥ وعلماء العرب يحسبون المدينيين سكان شرقي البحر الاحمر اجنبيين عنهم وليسوا من قبائل العرب السامية وهذا مؤيد للقول بانهم من ولد كوش بن حام واما الذي حمل مريم وهرون الى التقول على موسى بسبب امرأته فالظاهر من امره ان صفورة تسببت في هذا التذمر بتفاخرها بالنعم التي اعطيها زوجها موسى وكان العبرانيون يمقتون ذرية حام والمصريون والكوشيون منها وكان موسى نهاهم عن التزوج بالاجنبيات فرأوا انه كان عليه ان يردها على ابيها لا ان يستبقيها فانتصر الله لموسى وقال له اخرج انت وهرون ومريم الى الخباء فخرجوا وقال الرب لهرون ومريم اسمعا كلامي ان يكن فيكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا اتعرف له وفي حلم اخاطبه واما عبدي موسى فاخاطبه فمًا الى

فم فما بالكما لم تهابا ان تتكلما فيه واظهر الرب شدة غضبه عليهما ومضى ومال الغمام عن الخباء فاذا مريم برصاء كالثلج فشفع بها موسى لدى الرب فلم يقبل شفاعته الا ان تحجز سبعة ايام خارج المحلة فحجزت كذلك ولم يرتحل الشعب حتى ارجعت

ثم قال الكتاب (سفر العدد ف ١٣) « وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا ببرية فاران » فبرية فاران فسيحة الانحاء ولم يعين الكتاب في اي جهاتها حلوا ولكن يؤخذ من كلامه التالي في بعثه رجالاً يجسون ارض كنعان انهم حلوا في قادش لقول الكتاب بعد ذلك (عد ٢٧) ان هولاء الجواسيس عادوا الى موسى في برية فاران في قادش واذا كان الامر كذلك فلا يكون مفهوم كلام الكتاب ان الشعب ارتحل من حصيروت توًّا الى قادش فان ما جاء في الفصل ١٢ من سفر العدد انما هو كلام مجمل موجز ورد تفصيله في الفصل الثالث والثلاثين منه حيث ذكر ثماني عشرة مرحلة بين حصيروت وقادش ولما لم يكن في هذه المراحل ما يهم موسى ذكره اضرب عن تفصيلها وابقى ذكر جميع المراحل من خروجهم من مصر الى بلوغهم صحراء مواب فافرد له الفصل الثالث والثلاثين على ان تلك المراحل قلما كان فيها امر مهم وقد تتبعها كثير من العلماء والمكتشفون ولهم في تعيين مواقعها اقوال قل منها ما يمكن اخراجه من حيز الاحتمالات فنضرب عن تفصيلها مجانبةً لملل القراء واكثرها في بادية التيه المعروف بتيه بني اسرائيل . على ان المرحلة الاخيرة قبل قادش وهي عصيون جابر معروفة وموقعها معيّن وهي على خليج عقبة وظنّ بعضهم انها وايلة مدينة واحدة وليس ذلك بمقطوع به اذ جاء في سفر الايام الثاني (ف ٨ ع ١٧) ثم ذهب سليمان الى عصيون جابر والى ايلة على شاطي البحر في ارض ادوم » فالظاهر منه انهما مدينتان ولعل ايلة سميت

باسم ايلة من ولد عيسو الذي خلف اهليبامة في الولاية على بلاد ادوم كما في التكوين (ف ٣٦ ع ٤١) وقد انقضت مدة ارتحال بني اسرائيل من حصيروت الى قادش دون ان يكون فيها حدث مهم ولا اقل من ان الكتاب لا ينبئنا شيئًا من الاحداث المهمة الا ثورة قورح من بني لاوي وداثان وابيرام واون من بني رأوبين ومعهم مئتان وخمسون من روساء الجماعة وتذمرهم على موسى لاختصاص هرون وذريته بالكهنوت وقد صرّح الكتاب بما عاقب الله به روساء الثائرين اي بانشقاق الارض وابتلاعهم مع اولادهم ونسائهم وبخروج نارٍ احرقت محازبيهم المئتين والخمسين ولما شكا الشعب وقالوا ان العقاب شديد الصرامة انتشر فيهم وباءٌ اهلك منهم اربعة عشر الفًا وانكفأت الضربة بتوسل موسى وهرون وقد فصّل الكتاب ذلك في الفصل السادس عشر من سفر العدد ثم ذكر في الفصل السابع عشر ان الرب أمر موسى ان يأخذ عصًا من كلّ بيتٍ من روسائهم فاخذ اثنتي عشرة عصًا وكتب اسم كل واحدٍ على عصاه واسم هرون على عصا لاوي فوضع موسى العصي امام الرب في الخبآء فافرخت عصا هرون واخرجت براعيم وازهرت وانضجت نورًا فاخرج موسى جميع العصي الى بني اسرائيل ليتحققوا اختيار الرب هرون ونسله للكهنوت وامر الرب موسى ان يردّ عصا هرون الى امام الشهادة لتحفظ آيةً لذوي التمرد

وارتحل بنو اسرائيل من عصيون جابر الى قادش وهي واقعة على تخوم الادوميين وقال اعضاء اللجنة الانكليزية ان موقعها في عين قادس في جبل مغرة وتسمى قادش برنع وتوجد قادش اخرى في اعلى الجليل وقعت في نصيب سبط نفتاليم وقال بعضهم ان قادش التي حل بها بنو اسرائيل غير قادش برنع وانهما مدينتان ومهما يكن فقد اقام بنو اسرائيل في قادش مدة متطاولة كما يظهر من سفر تثنية الاشتراع (ف ١ ع ٤٦) حيث قال الله لهم « فاقمتم في

قادش ما اقتم من الايام الكثيرة ،

﴿ عد ٢٠٢ ﴾

فيما كان لبني اسرائيل في قادش اعني وفاة مريم اخت موسى واجراء الماء من الصخرة ثانية وارسال الجواسيس الى ارض الموعد

قد جاء في سفر العدد (ف ٢٠ ع ١) « اقام الشعب بقادش وماتت ثمَّ مريم ودفنت هناك » وهي اخت موهى وبنت عمران وكانت تكبر اخاها موسى بعشر او باثنتي عشرة سنة فهذا ما يقضي به ما جاء في الكتاب عن كلامها مع ابنة فرعون عند انتشال اخيها من النيل والاظهر انها استمرت بتولاً وان قال بعضهم انها كانت زوجة حور (راجع عد ١٩٤) ولم يذكر الكتاب سني عمرها ولا يتاكد في اية سنة بعد الخروج ماتت فان صحَّ قول كلمت انها ماتت في السنة الاربعين للخروج كان عمرها الى موتها مئة وثلاثين او مئة واثنتين وثلاثين سنة بناءً على ان موسى اخاها مات تلك السنة وعمره مئة وعشرون سنة (تثنية ف ٣٤ عد ٧) وعمرها قبل مولد اخيها عشرٌ او اثنتا عشرة سنة كما مرّ وقال يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) انها دُفنت باحتفاء وأُنفق على دفنها من مال الجماعة وان بني اسرائيل رثوها شهراً . وقال اوسابيوس ان سكان قادش كانوا الى زمانه يدلون على قبر مريم في ضواحي مدينتهم

وفي قادش ايضاً خاصم الشعب موسى وهرون لحاجتهم الى الماء فتجلى الرب لهما في باب الخباء وقال لموسى ان يجمع الجماعة ويأخذ عصاه ويضرب الصخرة فتجري المياه فعمل كما امر الرب وقال للجماعة اسمعوا ايها المتمردون أأخرج لكم من هذه الصخرة ماءً ورفع يده وضرب الصخرة مرتين بعصاه فخرج ماءٌ كثيرٌ فشرب منه الجماعة وبهائمهم وهناك قضى الرب على موسى وهرون بانهما لا يدخلان ارض الموعد ولم يصرّح في سفر العدد بالداعي لهذا القضاء

لان الرب قال لموسى وهرون بما انكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني على عيون بني اسرائيل لذلك لا تدخلان انتما هولاء الجماعة الارض التي اعطيتها لهم لكن المرتل اوضح ذلك في المزمور الـ ١٠٥ عد ٣٢ اذ قال بموجب النص العبراني « ثم اغضبوه على مياه الخصومة فلحق موسى سؤ من اجلهم لانهم غاظوا روحه فقرطت شفتاه » فكأن قوله أنخرج لكم من هـذه الصخرة ماء كان من باب الاستفهام الانكاري مع ان الرب كان قال له ولهرون ان يكلما الصخرة فتعطي مياهها (سفر العدد ف ٢٠)

ومن قادش ارسل موسى بامر الله اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً من روسائه يجسون ارض كنعان وقال دي لابورد (في تفسيره الجغرافي في سفري الخروج والعدد) انه بعثهم من رثمة اول مرحلة بعد حصيروت فعادوا اليه في قادش وامرهم موسى ان يطوفوا في البلاد ويروا سكانها أشديدون هم ام ضعفاء وقليلون ام كثيرون وما مساكنهم أخيام هي ام حصون فمضوا وجسوا الارض من برية فاران الى رحوب عند مدخل حماه وظن بعضهم ان رحوب يراد بها سهل البقاع وبعلبك مستمسكين بقول الكتاب انها عند مدخل حماه وبان اسمها رحوب اي رحب وفسيح ينطبق خير انطباق على تلك السهول ولكن رأى غيرهم سنداً الى ورود اسمها في سفر يشوع بن نون وفي سفر القضاة دالاً على مدينة في سبط اشير ان رحوب كانت في انحاء دان قريبة من منابع الاردن الا ان يوفق بين القولين ان مملكة رحوب كانت تخومها تمتد الى دان ومنابع الاردن . وقد اتم الجواسيس تطوافهم في اربعين يوماً واتوا حبرون وهي الخليل الان وقال الكتاب انها بنيت قبل صوعن مصر (وهي تانيس القديمة وصان الان) بسبع سنين وقطع الجواسيس من ثم زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بعتلة بين اثنين مع شيء من الرمان

والتين فسمي الموضع وادي العنقود وجأوا موسى في برية فاران في قادش واروا الجماعة ثمر الارض وقالوا ان الارض تدر بالحقيقة لبنًا وعسلاً وهذا ثمرها غير ان الشعب الساكنين فيها اقوياء والمدن حصينة عظيمة جدًا فهناك العمالقة مقيمون بارض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الاردن . وقد رأينا ثم من الجبابرة جبابرة بني عناق فصرنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في عيونهم . وخالفهم يشوع بن نون وكالب بن يوفنا قائلين نصعد ونرث الارض فاننا قادرون عليها ووقع الرعب في الجماعة ورفعوا اصواتهم في البكاء وتذمروا على موسى وهرون فمزق يشوع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما قائلين ان الارض التي مررنا فيها لنتجسسها جيدة جدًا فلا تخافوا سكانها والرب معنا فلا ترهبوهم فقالت الجماعة كلها ليرجما بالحجارة وظهر مجد الرب في الخباء لجميع بني اسرائيل مغضبًا عليهم فاخذ موسى يتوسل اليه كي لا يهلكهم وقضى الرب بان جميع الرجال الذين خرجوا من مصر وعمرهم عشرون سنة فصاعدًا لا يدخل منهم احد ارض الموعد الا يشوع بن نون وكالب بن يوفنا وقال الرب للجماعة ان اطفالكم الذين قلتم انهم يكونون غنيمة لاعدائكم في ارض الموعد فاياهم ادخل الارض التي رذلتموها واما جثثكم فتسقط في البرية اذ تكونون فيها بعدد الايام التي تجستم الارض فيها وهي اربعون يومًا كل يوم بسنة اي من يوم خروجهم من مصر الى دخولهم ارض الموعد فالرب رآهم غير اهل لمحاربة الكنعانيين وسائر سكان فلسطين فاطال مدة اقامتهم في البرية ثماني وثلاثين سنة وسوف نأتي على ذكر المواضع التي اقاموا فيها هذه المدة الطويلة واما الرجال الذين بعثهم موسى ليجسوا الارض ورجعوا وذمروا عليه كل الجماعة فضربهم الرب واماتهم وابقى يشوع بن نون وكالب بن يوفنا (العدد فصل ١٣ و ١٤)

﴿ عد ٢٠٣ ﴾

ارتحال بنو اسرائيل من قادش في جانب جبل ادوم الى جبل هور وموت هرون هناك

قد اضرب موسى عن ذكر ما كان في الثماني والثلاثين سنة التي اقاموا فيها بالبرية وعاد بعد ذكره آية الصخرة في قادش ينبئنا (سفر العدد ف ٢٠ عد ١٤) انه انفذ رسلاً من قادش الى ملك ادوم ولا يظن انهم اقاموا كل هذه المدة في قادش بل الاظهر انهم ارتحلوا عنها ثم عاودوا الاقامة فيها واما ملك ادوم هذا فهو من ذرية عيسو بن اسحق بن ابرهيم وسميت هذه البلاد باسمه ادوم او هو سمّي باسمها على احد القولين اللذين ذكرناهما قبلاً ومن كلام الكتاب الآتي يتضح ان ولاية هذه البلاد استمرت في ولد عيسو اذ قال موسى لملك ادوم ، قال اخوك اسرائيل قد علمت بجميع ما نالنا من المشقة وان اباءنا هبطوا مصر فاقمنا بها اياماً كثيرة فاساء المصريون الينا والى ابائنا فصرخنا الى الرب فسمع صوتنا وبعث ملاكاً واخرجنا من مصر وها نحن في مدينة قادش في طرف تخمك دعنا نمرّ في ارضك ونحن لا نميل الى حقل ولا كرم ولا نشرب ماء بئرٍ لكننا نسير في الطريق السلطاني لا نميل يمنةً ولا يسرةً الى ان نجوز تخمك ، فابى ملك ادوم الا التهديد لهم ان جازوا بارضه ومنعهم الرب من محاربة الادوميين فتحوّل اسرائيل عنهم واضطرّوا ان يدوروا نحو الجنوب الشرقي حول جبل سعير مسكن الادوميين ليعودوا من جهة الشمال فارتحلوا من قادش واقبلوا الى جبل هور وهو على تخم بلاد ادوم في الجنوب . وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) تقليداً يتبين منه ان هذا الجبل واقع على مقربة من مدينة حجر قصبة بلاد العرب الحجرية وانها كانت تسمى قديماً اركا وتسمى الان حجر فحلّ بنو اسرائيل لا على الجبل بل فى سفحه وجاء في

تثنية الاشتراع (فصل ١٠ عد ٦) ان هذه المنزلة تسمى موسير اذ قال ، وارتحل بنو اسرائيل من ابار بني يقعان الى موسير هناك مات هرون ودفن ، فيظهر ان اسم المحلة موسير واسم الجبل هور وهناك كلم الرب موسى قائلاً لينضم هرون الى قومه لانه لا يدخل الارض التي اعطيتها لبني اسرائيل لانكما عصيتما امري عند ماء المخصومة وامره ان يأخذ هرون واليعازر ابنه ويصعدهما جبل هور وينزع عن هرون ثيابه ويلبسها اليعازر ابنه فصنع موسى كما امره الرب ومات هرون هناك في راس الجبل وعاد موسى واليعازر الى الجماعة فبكى جميع آل اسرائيل هرون ثلاثين يوماً وكان عمره وقتئذٍ مئة وثلثا وعشرين سنة وقد دفنه موسى واليعازر في مغارة بحيث لا يعرف احد قبره لئلا يعبده بنو اسرائيل جرياً على ما آلفوا من عوائد المصريين ان يعبدوا مشاهيرهم اذا ماتوا او خشية ان ينتهك العرب هناك حرمة مدفنه ومع هذا ففي جبل هور مدفن يسمونه مدفن هرون وقد زاره كثير من الجوالة منهم العالم دي لابورد وقال ان العرب يجلّون الى اليوم مدفن النبي هرون في اعلى جبل هور ويسمى الجبل الان جبل النبي هرون وقد زاره ايضاً إربي ومنكل Yrbi et Mangles سنة ١٨١٨ وكتبا في هذا المدفن كثيراً وخلاصته ان جبل هور عسر المسلك جدًّا وان في قمته مغارة في صخر ومدفن هرون في داخلها وهو قبر صغير اشبه بمدافن الاسلام فيحتمل ان البناء الذي يرى اليوم احدث في عصر قريب وفي جوانبه الخارجة بعض الاعمدة وقطع من الحجر المحبب والرخام وانهما وجدا كتابة عبرانية ترجماها فلم يكن فحواها الا ان رجلاً يهودياً زار مع اسرته هذا المحل وان في زاوية المغارة في الشمال الغربي منحدراً بسلّم الى مغارة اخرى وكان ثم حاجز من حديد يمنع الدنو من المدفن فاتفق لهما ان هذا الحاجز كان ساقطاً فتيسر لهما ان يمسا المدفن الذي يقال انه مدفن هرون. ومن فوقه طنفسة

رثة وذكر ذلك فيكورو ايضاً في معجم الكتاب في كلمة هرون وقال ان كثيرًا من المسلمين ايضاً يحجون الى قبر هرون هناك تبركاً وان البناء الخارج فوق مغارة المدفن قد بُني بانقاض معبد مسيحي كان هناك في مبادي القرن الثالث عشر

﴿ عد ٢٠٤ ﴾

حربهم مع ملك عراد ومراحلهم من جبل هور الى صحراء موآب

قال الكتاب (سفر العدد ف ٢١) ١ وسمع الكنعاني ملك عراد المقيم في الجنوب ان بني اسرائيل قد جأوا على طريق اتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبيًا ٢ ويظهر من قوله ان بعض عشائر الكنعانيين كانت قد ظعنت الى عراد الواقعة في قرب العربية الحجرية وظن هذا الملك ان بني اسرائيل ينوون اخذ ملكه فقاجأهم بالقتال واستظهر عليهم وسبى بعضهم فخشعوا للرب فدفع الكنعانيين اليهم فابسلوهم هم ومدنهم واكسبهم هذا الظفر جرأة على اعدائهم وثقة بعون الرب لهم ٣ على انهم لم يعتموا ان عاودوا تشكيهم لانهم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول ارض ادوم فضجرت نفوسهم من طول الطريق فعادوا يتذمرون على الله وعلى موسى فارسل الرب عليهم حيات نارية فلدغتهم ومات منهم قوم كثير فاقبلوا الى موسى يقولون قد خطئنا بكلامنا على الرب وعليك فتضرع موسى الى الرب من اجلهم فقال له الرب اصنع لك حية وارفعها على سارية فكل لديغ ينظر اليها يحيا فصنع كذلك فكان اي انسان لدغته حية ونظر الى الحية النحاسية يحيا فقال الجاحدون لا غرو ان من نظر الى صورة حية آملاً ان يبرأ ارتكب معصية عبادة الاوثان فكيف عرضهم موسى لذلك وقد فاتهم ان مجرد النظر الى حية او غيرها ليس عبادة وقد افصح لهم موسى ان صورة الحية لا قوة لها بنفسها على ان تحيي

اللديغ بل الله هو المحيي بهذه الوسيلة فاية عبادة وثنية في صنع ما امر الله به على انه بعد ان تسكع بنو اسرائيل بعبادة المنحوتات في ايام ملوكهم واظهروا نوعاً من التكريم لهذه الحية خلافاً لامر الله سحقها حزقيا لان بني اسرائيل كانوا يقدمون لها البخور (ملوك ٤ ف ١٨ ع ٤) وقد انبأنا المخلص ان تلك الحية كانت رمزاً واشارة اليه اذ قال «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن البشر» (يوحنا ف ٣ ع ١٤) وقد ارتحل بنو اسرائيل من جبل هور الى صحراء مواب ثماني مراحل اخرى ذكر اكثرها في الفصل الحادي والعشرين من سفر العدد وكلها من الفصل الثالث والثلاثين منه وتملكوا في مدة ارتحالهم في هذه المراحل بعض بلادكهم في شرقي الاردن كما سترى في الفصل التالي

ان اللجنة الانكليزية تتبعت اثار بني اسرائيل وبحثت عن مراحلهم مذ عبروا البحر الاحمر الى ان بلغوا جبل موسى غير انها لم تفضل بتتبع اثارهم من جبل موسى الى شرقي الاردن فبقي ذلك لمكتشفين اخرين يتحفونا باكثر تحقيق وتدقيق في مواقع هذه المحال ولا يحسن العدول عن ترجمة ما اختتم به العالم هولاند احد اعضاء اللجنة الانكليزية مقالته في ابحاثها قال «ان طريق بني اسرائيل لم تتعين كل مراحلها بتوكيد مطلق على ان الاكتشافات التي عاثينا مشقاتها اكسبت هذه المسألة انواراً ساطعة وبياناً جلياً وازيد على ذلك انه ما من عضو من اعضاء اللجنة عاد الى انكلترا دون ان يكون متيقناً تيقناً لايشوبه ريب بصحة التاريخ المقدس وثبوته فالبرية نفسها وجبالها واوداؤها وصخورها العارية والمحترقة تبين صحة كلام الكتاب وتثبتها وتقدم لكل من عاينها بينة مفحمة لا يقام عليها نكير انها هي البرية الكبرى المرعبة التي قاد فيها موسى شعب الله بامره وارشاده»

قد مر ان بني اسرائيل اقاموا في البرية بعد ارسال الجواسيس الى ارض

الموعد ثماني وثلاثين سنة وذلك نص صريح في الفصل الرابع عشر من سفر العدد (عد ٣٣ و ٣٤) كما مر في عد ٢٠٢ واوضح منه قوله في سفر تثنية الاشتراع (ف٢ ع١٤) « وكانت جملة الايام مذ سرنا من قادش برنع الى ان عبرنا وادي زارد (في شرقي الاردن) ثماني وثلاثين سنة الى ان انقرض جميع رجال الحرب من المحلة كما اقسم الرب فيهم » فين اقام بنو اسرائيل في هذه السنين المتطاولة فهذه مسألة معضلة اعيى المفسرين حلها وذهبوا فيها مذاهب شتى فقال بعضهم ان المراحل التي جاء ذكرها في سفر العدد (ف ٣٣) قبل قادش كانت بعد ارتحالهم منها وقدم الكتاب ذكرها وقضى بنو اسرائيل الثماني والثلاثين سنة في هذه المراحل وقال غيرهم ان قادش اسم لمحلين حل بهما اسرائيل فيهما وقال آخرون انهم حلوا في قادش مرتين الاولى عند ارسال الجواسيس والثانية عند ارتحالهم الى هور حيث مات هرون لسنة الاربعين بعد الخروج . والذي اراه اكثر مطابقة للايات الكريمة وقد اثبته العالم لاون دي لابورد (في كتاب تفسيره الجغرافي لسفري الخروج والعدد) الذي تتبع مراحل بني اسرائيل مرحلة مرحلة وتابعه في رأيه العالم فولارد محشي معجم الكتاب لكلمت انما هو ان بني اسرائيل استمروا مدة الثماني والثلاثين سنة في برية قادش وفي وادي عربه الفسيح الارجاء مرتحلين من محل الى آخر في برية قادش نفسها التي يسميها العرب تيه بني اسرائيل على عادة الرحل طلبًا للانتجاع وكما نرى عشائر العرب في هذه الايام في السلط والجولان ويؤيد ذلك قول موسى (تثنية ف ١ ع ٢٦) « فاقمتم في قادش ما اقمتم من الايام الكثيرة » وقد وضع العالم دي لابورد جدولاً للمراحل التي ذكرت في اسفار الخروج والعدد والتثنية مثبتاً الآي الواردة في كل منها في جانب الاخرى فظهر من ذلك ان لا خلاف بينها الا من حيث الايجاز والتفصيل . وقال العلامة فرنسيس لانرمان (مجلد ٢ في

تاريخه الشرقي في تاريخ بني اسرائيل) « استمر بنو اسرائيل ثماني وثلاثين سنة على العيشة الارتحالية طائفين البرية التي يسميها العرب التيه او تيه بني اسرائيل ظاعنين من الشمال الى الجنوب حتى عصيون جابر على خليج عقبه وعائدين من هناك الى الشمال حتى قادش برنع

الفصل الثامن

(في امتلاك بني اسرائيل البلاد التي في شرقي الاردن)

﴿ عد ٢٠٥ ﴾

في نهي الرب بني اسرائيل عن محاربة الآدوميين والموآبيين والعمونيين وفي من سكن بلادهم قبلهم

اجتاز بنو اسرائيل عند ارتحالهم الى شرقي الاردن بلاد الادوميين وهم بنو عيسو والموابيين وهم بنو مواب بن لوط من بنته الكبرى والعمونيين وهم بنو عمون بن لوط من بنته الصغرى فنهاهم الرب عن محاربة اخوتهم هولاء . اما في الادوميين فقال لموسى (تثنية ف ٢ ع ٤) « انكم جائزون في تخم اخوتكم بني عيسو المقيمين بسعير فسيخافونكم فتحرزوا جدًا لا تناصبوهم فاني لست معطيكم من ارضهم شيئًا ولو موطئ قدم لان جبل سعير قد وهبته لعيسو ميراثًا » ولذا لزمهم ان يدوروا حول جبل سعير في طريق الصحرآء على ايلة وعصيون جابر الانف ذكرهما وان يعودوا في طريق برية مواب واما في الموابيين فقال له (هناك عد ٩) « لا تعادِ الموابيين ولا تناصبهم حربًا فاني لست معطيكم من ارضهم ميراثًا اذ لبني لوط وهبت عاد (اسم بلادهم القديم)

ميراثاً ، وقال له في العمونيين (عد ١٩) « اذا دانيت جهة بني عمون فلا تعادِهم ولا تناصبهم فاني لست معطيك من ارض بني عمون ميراثاً لاني لبني لوط وهبتها ميراثاً ، الا ان هولاء العشائر غمطوا نعمة الله واثاروا غضبه عليهم لانهم اسأوا الى بني اسرائيل وعاملوهم بالقسوة عند اجتيازهم الى ارض كنعان وبعده والموابيون خاصة ارادوا افساد بني اسرائيل بتهتك بناتهم وبالق ملكهم استأجر بلعام بن بعور ليلعن بني اسرائيل عند احتلالهم صحراء مواب ولذلك قال موسى فيهم بعد ذلك (تثنية ف ٢٣ ع ٣) « لا يدخل عمونيٌ ولا موابيٌ في جماعة الرب ولو في الجيل العاشر لا يدخل احد منهم في جماعة الرب الى الابد لانهم لم يتلقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ولانهم استأجروا بلعام بن بعور ... ليلعنكم ، ولذا كانت حروب عديدة بعد ذلك بين بني اسرائيل وهذه العشائر كما سترى

لم يكتفِ موسى بذكر نهي الرب عن محاربة هولاء بل اعلمنا ايضاً في (الفصل السالف ذكره) بمن سكن بلادهم قبلهم فقال (عد ١٢) « اما سعير (بلاد الادوميين) فاقام بها الحوريون (بنو سعير الحوري) قبل بني عيسو فطردوهم وابادوهم من بين ايديهم واقاموا مكانهم ، ويظهر ان الحوريين قبيلة قديمة جدًّا حتى عدد موسى (تك ف ٣٦) كثيراً من زعمائهم او حكامهم قبل ان يقرضهم الادوميون وبلادهم في جنوبي بلاد الموآبيين . وقال في بلاد الموابيين (عد ١٠) « وكان الايميون قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالعناقيين وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين والموابيون يسمونهم ايميين ، وقال في ارض العمونيين (عد ٢٠) « وهي ايضاً تحسب من ارض الجبابرة لان الجبابرة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزميين وهم شعب عظيم كثير طويل القامات كالعناقيين فاهلكهم الرب من بين ايديهم فطردوهم

واقاموا مكانهم ، وارض بني عمون في جنوبي السلط وارض بني مواب في جنوبي ارض بني عمون والاظهر ان الجبابرة الذي اقاموا في هذه البلاد كانوا ساميين اصلاً وقد مرّ لنا كلام في ذلك في عد ١٥٥

﴿ عد ٢٠٦ ﴾

تملك بني اسرائيل بلاد سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان

جاء في الكتاب (سفر العدد ف ٢٠ والتثنية ف ٢) ان موسى بعث رسلاً من برية قديموت احدى مراحل بني اسرائيل الى سيحون ملك الاموريين قائلاً له « دعني امرّ في طريق ارضك ... ولا اميل يمنة ولا يسرة بفضة تميرني طعاماً فآكل وبفضة تعطيني ماء فاشرب واعبر برجلي فقط ، فابى سيحون ان يجيزهم في ارضه وخرج عليهم بجميع قومه للحرب الى محل يسمى ياهص فاستظهر عليه بنو اسرائيل فقتلوه وبنيه وكثيراً من قومه وفتحوا جميع مدنه من عروعير (المسماة اليوم عراعر) الى جلعاد (السلط) لم تبقَ قرية امتنعت عليهم وفتحوا حشبون (المسماة الان حسبان) قصبة ملكه وبحسب آية سفر العدد (ف ٢١ ع ٢٤) « ورثوا ارضه من ارنون الى يبوق ، وارنون وادٍ ونهر يصب في بحر الميت ويسمى الان النهر الموجب او المعجب على رواية بعضهم وكان قديماً فاصلاً بين املاك الموابيين في جنوبيه وبين املاك الاموريين في شماليه كما يفصل الان ولاية البلقاء في شماله عن بلاد الكرك في جنوبه (فيكورو في معجم الكتاب) ويبوق وادٍ ونهر يصب في الاردن بين البحر الميت وبحيرة طبرية وهو المسمى الان نهر الزرقاء واودي الزرقاء على ما في كتاب اعلام الاماكن الواردة في الكتاب ومواقعها واسمائها الان (١) وقال يوسيفوس

(١) هذا الكتاب لجرج ارمسترنك وقد اعاد النظر فيه ويلسون والماجور كوندر الشهيرين ونشرته لجنة البحث في فلسطين

(ك ٤ من تاريخ اليهود ف ٥) ان مملكة الاموريين هذه كان يحدها جنوباً نهر ارنون (المعجب) وشمالاً نهر يبوق (نهر الزرقاء) وغرباً الاردن وفسر كلمة يبوق بمعنى تارك وفي السريانية هجها (شباق) بمعنى ترك وقد انبأنا الكتاب ان سيحون هذا «كان حارب ملك مواب قبلاً فاخذ من يده جميع ارضه الى ارنون» فالمراد ان سيحون كان عبر الاردن من عدوته الغربية الى عدوته الشرقية واخذ اعلاكا من بني مواب واقام هناك هذه المملكة الاموريةالتي ملكها بنو اسرائيل

قد اكتشف العالم دي سولسي في اخربة تل شيحان في تلك الانحاء تمثالاً لسيحون مطعوناً بحربة احد اعدائه مجندلاً على الارض فاخذ هذا التمثال الى افرنسة وهداه الى الدوك دي لوين الشهير وهو الان في متحف اللوفر ولعل اسم تل شيحان أخذ عن سيحون فتقارب اللفظين ظاهر

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٢١ عد ٣٣ تثنية فصل ٣ عد ١) ان بني اسرائيل صعدوا بعد استيلائهم على بلاد سيحون في طريق باشان فخرج عليهم عوج ملكها بجميع قومه للحرب في ادرعي وامرهم الرب ان لا يخافوه واسلمه وقومه الى ايديهم حتى لم يبقَ لهم شريد وفتحوا جميع مدنهم ولم تبقَ لهم قرية لم يأخذوها «ستين مدينة كل بقعة ارجوب مملكة عوج في باشان» وغنموا البهائم وما كان في المدن فكان ما اخذوه من الملكين سيحون وعوج كل الارض التي في عبر الاردن من وادي ارنون (وادي المعجب الان) الى جبل حرمون (جبل الشيخ الان) «وحرمون يسميه الصيدونيون سريون والاموريون يسمونه سنير ... وعوج هذا هو وحده بقي من الجبابرة وسريره سرير من حديد وهو لم يزل في ربة بني عمون طوله تسع اذرع وعرضه اربع اذرع بذراع الرجل» وقد كان عوج من ذرية الجبابرة المسمين رافائيم او رافائيين الذين كانوا في فلسطين قبل ان يغشاها الكنعانيون وكان قد الّب جماعة

من الاموريين وغيرهم من الكنعانيين فغزا مملكة باشان فاستظهر على العمونيين ولاتها قبله وازاحهم منها نحو المشرق فكانت تخوم مملكته جبل جلعاد (السلط) شرقاً والاردن غرباً ولبنان وجبل الشيخ شمالاً ونهر يبوق اي نهر الزرقاء جنوباً وقال كلمت في معجم الكتاب ان التسع الاذرع عبارة عن خمس عشرة قدماً واربعة قراريط ونصف والاربع الاذرع عبارة عن ست اقدام وعشرة قراريط وادرعي هي التي يسميها العرب اذرعات وتسمى الان ذرعات وموقعها في جهة اللجاة الغربية وربة بني عمون هي المسماة الان عمان (فيكورو في معجم الكتاب) في الجنوب الغربي من قلعة الزرقاء في ولاية البلقاء وسميت بعد ذلك فيلدلفيا (اعلام الاماكن الكتابية الانف ذكره)

﴿ عد ٢٠٧ ﴾

دعوة بالاق ملك الموآبيين لبلعام ليلعن بني اسرائيل

ارتحل بنو اسرائيل بعد انتصارهم على ملكي الاموريين وباشان فحلوا في صحراء مواب على عبر الاردن تجاه اريحا فخاف بالاق بن صفور ملك الموابيين وطأة بني اسرائيل بلاده واخذهم ملكه كما فعلوا بسيحون وعوج فحالف شيوخ المديانيين وهم من ولد مدين بن ابرهيم من زوجه قطورة واغراهم بمناصبة بني اسرائيل قائلاً « الان تلحس هذه الجماعة كل ما حوالينا كما يلحس الثور خضر الصحراء » فاستدعوا رجلاً اشتهر بالعرافة يسمى بلعام بن بعور من فاتور التي على النهر اي نهر الفرات اذ جاء في فصل ٢٣ عد ٤ من سفر التثنية « من فتور في ارام النهرين » ولم يكن القدماء يعرفون فتور مدينته فكشفت لنا الخطوط المسمارية عن موقعها وهي المسماة ربك الان على عدوة الفرات من جهة سورية كما ظهر من الخطوط المنقوشة على مسلة سلمناصر ومن صفيحة وجدها لايرد وهي التاسعة والثمانون من الآثار التي ذكرها هذا

العالم وكان بالاق يعتقد ان من لعنه بلعام خذله الله لانه نبي الرب فتردد بلعام في مطاوعة الوفد بان يحضر معهم ويلعن بني اسرائيل ولو قدموا له حلوان العرافة قائلاً ان الرب لم يؤذن له في المضي معهم ولا بلعن شعب اسرائيل لانه مبارك فبعث بالاق اليه روساء كثيرين اجلّ من اولئك واعدًا انه سيكرمه جدًّا ويصنع له كل ما يقوله فابى المسير اولاً قائلاً لو اعطاني بالاق ملؤ بيته فضة وذهبًا لم استطع ان اتجاوز امر الرب لكنه قال بالغداة ان الرب اذن له في المسير معهم فشد على اتانه وصحبهم فاعترضه ملك الرب في طريقه فجفلت الاتان في الصحرآء ثم زحمت الحائط فضغطت رجل بلعام فزاد في ضربها ثم ربضت الاتان لاعتراض ملك الرب لها في موضع ضيق فكرر ضربها بالعصا فانطقها الله بالتوبيخ له على ضربه اياها وكشف الرب عن بصره فرأى ملك الله واقفًا في الطريق وسيفه مسلول فخر ساجدًا على وجهه فنهاه الملك عن ان يقول غير ما يقوله له وسار بلعام الى ان التقاه بالاق ودخلا المدينة ولما كانت الغداة اخذ بالاق بلعام فصعد به الى مشارف محل يسمى بعل فنظر اقصى الشعب وامر بلعام بالاق ببناء سبعة مذابح وان يعد عليها سبعة عجول وسبعة اكباش فصنع وانفرد بلعام وعاد الى بالاق يبارك الشعب بدلاً من ان يلعنه ثم اخذه بالاق الى موضع ثانٍ وثالث وكان بلعام يعيد بركة الشعب وينبىء بانتصاره وتسلطه . فغضب عليه بالاق وقال انما دعوتك لتلعن اعدائي فاذا انت قد باركتهم ثلث مرات فانصرف الى موضعك لقد كنت عزمت ان اكرمك فحرمك الرب الكرامة وانصرف بلعام الى قومه (العدد فصل ٢٢ و ٢٣ و ٢٤) وقد قال لبالاق والمدينين قبل انصرافه انهم اذا احبوا ان ينتصروا على بني اسرائيل فليغروهم بعبادة غير الههم وبالفحشآء ففعلوا ما اشار عليهم به كما سترى

اما من هو بلعام أنبيٌّ صادق هو ام عراف كاذب ففي هذا اقوال قال اوريجانوس (خطبة ١٣ في سفر العدد) ان كل ما كان لبلعام من المعرفة والقوة انما كان بوسائل سحرية وكان اللعن دأبه فان ابليس دأبه اللعن وقال توادوريطوس (مبحث ٣٩ و ٤٢ في سفر العدد) ان بلعام لم يكن يستشير الرب في ما يقول بل كان الرب يلهمه ما يقول مجبرًا . وقال القديس كيرلس الاسكندري (في ك ٤ و ٦ في السجود بالروح) انه كان شريرًا ونبيًا كاذبًا لا ينطق بالحق الا مجبرًا وشبّهه القديس امبروسيوس (في رسالته ٥٠) بقيافا الذي نطق بالحق جاهلاً ما يقول على ان القديس ايرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين) يظهر انه تابع رأي العبرانيين بقوله ان بلعام كان ممن يؤمنون بالاله الحق وقد بنى له مذابح وكان نبيًا صادقًا وان سئي السيرة وان موسى صرح بانه استشار الرب وانه دعا الرب الهه اذ قال (عد فصل ٢٢ عد ١٨) « لم استطع ان اتجاوز امر الرب الهي فاعمل شيئًا صغيرًا او كبيرًا » وقال القديس اغوسطينوس (في ك ٢ في امور شتى) ان بلعام سيكون في يوم الدين ممن يقولون للديان « يارب أليس باسمك تنبأنا » ويظهر من قوله انه حسبه نبيًا صادقًا وان اثيمًا ومن عداد المرذولين وقال برجيا من المتأخرين (في معجم اللاهوت) « لا يمكن دون مخالفة نص الكتاب ان يُحسب بلعام نبيًا كاذبًا او كافرًا او وثنيًا وقد اشار القديس بطرس الرسول الى شيء من ذلك اذ قال (رسالته ٢ فصل ٢ عد ١٥) « وقد تركوا الطريق المستقيم واتبعوا طريق بلعام بن بعور الذي احب اجرة الظلم الا انه قد ناله التوبيخ على معصيته اذ ردع حماقة النبي حمار ابكم نطق له بصوت انسان »

ومثل هذا الخلاف في نطق اتان بلعام أكلام حقيقي هو ام مجرد مجاز يراد به ما قام في مخيلة بلعام فقال القديس اغوسطينوس (مبحث ٤٨ و ٥٠ في

التكوين) ان الاتان نطقت بكلام حقيقي وان آية الكتاب يلزم فهمها بمعناها الحرفي وتابعه على قوله كثير من المفسرين مثبتين ان تلك معجزة حقة كسائر معجزاته تعالى مع العبرانيين وايدوا ذلك بما ذكرناه آنفاً من قول بطرس الرسول في رسالته وقالوا لم يهب الله الاتان عقلاً ناطقاً بل انطقها بكلام توبيخ كما ينطق به انسان . على انه يظهر من كلام القديس غريغوريوس نيصص (في ترجمة موسى) ان الاتان لم تنطق بكلمات مفصلة بل تأول بلعام مجرد نهيقها بالمعنى الذي ذكر . وكان بلعام عرافاً متعودًا التطير باصوات الحيوانات والطيور وذكر موسى ذلك تهكماً بالعرافة كأن الاتان نطقت به . وقال ميمونيد ان هذه المحاورة بين بلعام واتانه الا اختلاق ومجاز نبأنا موسى به ما قام في مخيلة بلعام على سبيل التاريخ وهو تصوري فقط . وقال بعضهم في وجه كلام بلعام مع اتانه كانها ناطقة انه كان يعتقد التناسخ اي تقمص النفس من بدن الى بدن اخر انسانياً كان او غير انساني فحسب اتانه متقمصة بنفس انسان ما (ملخص عن معجم الكتاب لكلمت في كلمة بلعام)

﴿ عد ٢٠٨ ﴾

اغواء بنات مواب ومدين لبني اسرائيل والانتقام من المدينين

دعا الموآبيون والمدنيون بني اسرائيل الى اعياد بعل فغور معبودهم وارسلوا بناتهم عملاً بمشورة بلعام يغرين بني اسرائيل بالفحشاء والسجود لالهتهم فعلق في قلوب كثيرين من الشعب حب الموابيات والمدينيات وسجد بعضهم لبعل فغور فاشتد غضب الرب عليهم فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد من تعلق من قومه ببعل فغور والاوجه في تأول هذا اللفظ بعل الفجور اي سيده او الهه . وبين كان الشعب يبكي عند باب خباء المحضر فاذا زمري بن سالوا احد روساء سبط شمعون مرَّ امام موسى والشعب تصحبه كزبي بنت

صور احد روساء مدين وادخلها خبآءه فتبعهما فنحاس بن اليعازر بن هرون ورمحه بيده فطعنهما كليهما الرجل والمرأة في بطنها فكفت الضربة عن بني اسرائيل اذ ردّت غيرة فنحاس. سخط الرب عنهم وقال الرب لموسى انه معطٍ فنحاس عهد سلامة وانه يكون له ولنسله من بعده عهد كهنوت ابدي جزآء غيرته لالهه وتكفيره عن بني اسرائيل وكان عدد من قتلهم القضاة بحسب امر الرب لموسى او افناهم الوباء الذي عبَّر عنه الكتاب بالضربة اربعة وعشرين الفاً وامر الرب موسى ان يضايقوا المدينيين ويضربوهم لانهم ضايقوا بني اسرائيل بما تسببوا لهم به من الشر وضربة الرب لهم (سفر العدد ف ٢٥)

وانبأنا الكتاب (فصل ٣١ من سفر العدد) ان موسى جرَّد اثني عشر الف مقاتل من كل سبط الفاً فسيرهم ومعهم فنحاس بن اليعازر الكاهن يغزون الى مدين وكانت في يد فنحاس امتعة القدس (يرجح ان المراد بها تابوت العهد) وابواق الهتاف فقاتلوا المدينيين ونصرهم الرب عليهم فقتلوا منهم كثيرين وملوكهم اي ولاتهم الخمسة وسماهم الكتاب أوي ورقم وصور وحور ورابع وكان بلعام هناك فقتلوه بالسيف وسبوا نساء مدين واطفالهم وغنموا بهائمهم ومواشيهم واثاثهم واحرقوا مساكنهم وقصورهم وعادوا الى موسى في صحراء مواب ولم يفقد احد منهم فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال هل استبقيتم الاناث كلهنَّ ان هولاء هنَّ اللآتي حملنَ بني اسرائيل بموامرة بلعام على ان يتمردوا على الرب فحلَّت الضربة في جماعة اسرائيل فاقتلوا كل ذكر وكل امرأة واما اناث الاطفال اللآتي لم يبلغنَ سن الزواج فاستبقوهنَّ لكم ففعلوا بحسب امره ولو كان ذلك بغير امر الرب لعيب موسى بشدة القسوة . ولم يمتلك فنحاس ورجاله بلاد مدين لانها ارض عبرانيين من ذرية ابرهيم وموعدهم ارض الكنعانيين واجتزأ ان ينكل باهلها ويدمر بلادهم جزاء لما جنت ايديهم

وما عثت نساؤهم

وقد فصل موسى ما غنمه المحاربون من المدينين فكان من الغنم ست مئة الف وخمسة وسبعين الفاً ومن البقر اثنين وسبعين الفاً ومن الحمير واحداً وستين الفاً ومن البنات اللاتي لم يبلغن مبلغ النساء اثنين وثلاثين الفاً ويظهر من هذا ان المدينين كانوا اغنياء كثيراً بالماشية لا سيما الغنم وبالاثاث والحلي كما يتحصل مما سيأتي . وقد تذرع بهذا جاحدوا الوحي فكذبوا بصحته وعدوه من المبالغات البعيدة عن الصدق وهو لا منافاة فيه لحال بلاد عم خصبها وانفسحت ارجاؤها وتوفرت مراعيها فلو حسبنا في بلاد مدين كلها ست مئة وخمسة وسبعين مالك غنم وجعلنا لكل منهم الف رأس منها لوجدنا العدد الذي عينه الكتاب وهذا الحساب معقول لا سيما في بلاد انصرفت عناية اهلها الى تربية المواشي وكان بها مورد ثروتهم . وكذا قل في البقر فلو جعلنا في كل البلاد ستة وثلاثين الف ذراع لكان لهم الاثنان والسبعون الفاً من الفدن عدا البقر التي لا تحرث والامر ظاهر في عدد الحمير ايضاً فقد طاش اذاً هذا السهم للمنددين كسائر سهامهم

وقد قسم موسى الغنيمة من الناس والبهائم نصفين نصفاً للغزاة المحاربين وهم الاثنا عشر الفاً ونصفاً لجماعة اسرائيل واخذ من نصيب المحاربين رأساً واحداً من كل خمس مئة رأس من الناس والغنم والبقر والحمير وضيعة للرب دفعها الى اليعازر الكاهن فاصابه من الغنم ست مئة وخمسة وسبعون رأساً ومن البقر اثنين وسبعين رأساً ومن الحمير واحداً وستون رأساً ومن الناس اثنين وثلاثون نفساً واخذ من نصيب الجماعة واحداً من خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم وسائر البهائم ودفع ذلك الى اللاويين متولي حراسة مسكن الرب واذا راعيت نصف عدد البهائم والاناث المذكورة آنفاً وفرضت منه اثنين من المئة او واحداً من الخمسين للاويين علمت كم اصابهم

من هذه الغنائم. وانما امر الرب موسى ان يأخذ من نصيب المحاربين واحداً من كل خمس مئة ومن نصيب الجماعة واحداً من خمسين لان المحاربين كافحوا معرضين نفوسهم لخطر القتل واما سائر الجماعة فنالوا غنيمة باردة . واعتبر نوع هذه القسمة بعد ذلك سنة في اسرائيل . ثم تقدم روساء الالوف وروساء المئين الى موسى وقدموا قرباناً للرب ما وجدوه من ادوات الذهب من حجل وسوار وخاتم وقرط وقلادة تكفيراً عن نفوسهم فكان جملة ذهب التقدمة ستة عشر الفاً وسبع مئة وخمسين مثقالاً ولو كانت ذهباً مسكوكاً لعادلت احد عشر الفاً من الليرات الافرنسية ولا مبالغة في هذا القدر بالنظر الى بلاد غنية توفرت فيها الثروات ولو ضوعف اضعافاً . وادخل موسى واليعازر الكاهن الذهب الى خباء المحضر ذكراً لبني اسرائيل امام الرب

﴿ عدد ٢٠٩ ﴾

تمليك موسى سبطي رآوبين وجاد ونصف سبط منسا الارض التي في شرقي الاردن

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٣٢) انه كان لبني رآوبين وجاد مواشٍ كثيرة جداً ونظروا الارض التي ملكها بنو اسرائيل في عبر الارض الشرقي من سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان صالحة للماشية فتقدموا الى موسى واليعازر الكاهن وروساء الجماعة يسالون ان يعطوا هذه الارض ميراثاً لهم ولا يجوزون الاردن فقال لهم موسى أيخرج اخوتكم الى الحرب وتقعدوا انتم ههنا . ان هذا يفضي الى قلق الشعب ووهنٍ في قوته وذكّرهم بما صنع اباؤهم في البرية مما اسخط الرب عليهم فقالوا اننا نبني حظائر لمواشينا هنا وبيوتاً لاطفالنا ونحن نتجرد مسرعين امام بني اسرائيل حتى ندخلهم مكانهم ولا نرجع الى بيوتنا حتى يستحوذ كل من اخواننا على ميراثه ونحن لا نرث

معهم شيئاً من عبر الاردن الى هناك فحسن كلامهم في عيني موسى والجماعة فاعطى موسى بني جاد وبني رآوبين ونصف سبط منسا بن يوسف مملكة سيحون ملك الاموريين ومملكة عوج ملك باشان فبنى بنو جاد ديبون وهي ديبان الان في شمالي نهر المجب ونحو الجنوب من جبل عطروش وعطاروت ويرجح انها كانت عند الجبل المسمى الان عطروس الانف ذكره وعراعير المسماة الان عراعر في جنوبي ديبان وشمالي الكرك وعطروت شوفان ولا يعرف موقعها ويعزير ويرجح انها كانت في محل بيت زرعة الان وجعل اوسابيوس والقديس ايرونيموس موقعها على بعد عشرة اميال من عمان نحو الغرب وخمسة عشر ميلاً من حسبان نحو الجنوب . وبنوا ايضاً يجبيهة وتعرف الان بخربة الجبيهة بين السلط شمالاً وعمان جنوباً . ثم بيت نمره المعروفة الان بتل نمرين وبيت هاوان وتسمى اليوم تل رامه في جانب كفرين في شرقي اريحا وبنى بنو رآوبين حشبون وهي حسبان الان في الشمال الشرقي من جبل نبو والعالا او العالة وتسمى اليوم العال وهي في الشرق الشمالي من حسبان قرية منها ثم قريتائيم ويرجح انها المسماة الان القُرَيّة بين ديبان جنوباً وميدبا شمالاً ونبو ويظهر انه كان موقعها في سفح جبل نبو وبعل معون وتسمى اليوم تل معين او معين في الغرب الجنوبي من ميدبا وفي الجنوب من جبل نبو وسبمه او سبام ويحتمل ان موقعها كان في محل سوميا الان في غربي حسبان وشمالي جبل نبو (١)

ومضى بنو ماكير بن منسى بن يوسف ففتحوا جلعاد وهي السلط وطردوا الاموريين منها فاعطاهم موسى اياها فاقاموا فيها ومضى يائير من سبط منسى

(١) اخذنا اسماء هذه المدن القديمة عن الكتاب واسمأها الان عن كتاب اعلام الامكن الكتابية الاتف ذكره

ايضاً واستولى على مزارعها وسماها حووُت يائير اي ما احياه يائير ومضى نوبح وفتح قنات وتوابعها وسماها نوبح باسمه ولا يعرف موقعها الى اليوم ولكن في شرقي الاردن موضع يسمى وادي قانه فربما كانت هناك وعليه فكان مقام بني رآوبين في جنوبي تلك الارض ومقام بني جاد في شماليها ونصف سبط منسى في ارض باشان او باسان

وامر موسى ان يعطى اللاويون ثماني واربعين مدينة في انصبة اسباط اسرائيل في عبر الاردن وارض الكنعانيين مع محاجرها لماشيتهم وان تكون ست مدن منها مدن ملجأ يلجأ اليها من قتل نفساً غير متعمد وان تكون ثلث من مدن الملجأ هذه في عبر الاردن وثلث في ارض كنعان وقال (تثنية ف ١٩ ع ٩) اذا وسع الرب تخومكم فزيدوا ثلثاً على هذا الثلث . وعين مدن الملجأ الثلث في عبر الاردن ، وهي باصر في البرية في ارض السهل للرآوبينيين وراموت في جلعاد للجاديين وجولان في باشان للمنسيين ، (تثنية ف ٤ ع ٤٣) اما باصر فيرجح انها بصر الحريري من قرى اللجاة الجنوبية تبعد خمسة اميال عن اذرعات واما راموت جلعاد فموقعها في بلاد السلط وربما كانت في المحل المسمى الان ريمون واما جولان فكان موقعها في سهل الجولان بل سمي باسمها وقال اوسابيوس انها كانت في ايامه مدينة مهمة ولم يعين موقعها

وتقدمت بنات صلفحاد من عشائر منسى الى موسى واليعازر الكاهن ورؤساء الجماعة قائلات ان ابانا مات في البرية ولم يكن من جملة القوم الذين اجتمعوا على الرب مع قورح ولم يكن له بنون فلماذا يسقط اسم ابينا من بين عشيرته فاعطنا ميراثاً بين اعمامنا فرفع موسى امرهنَّ الى الرب فقال له انهنَّ نطقنَ بالصواب فانقل ميراث ابيهنَّ اليهنَّ واعلم الرب موسى حينئذٍ كيف يقسم الميراث في بني اسرائيل اذ قال ، اي رجل مات وليس له ابن فانقلوا

ميراثه الى ابنته فان لم تكن له بنت فاعطوا ميراثه لاخوته فان لم يكن له اخوة فاعطوه لاعمامه فان لم يكن له اعمام فاعطوه لادنى ذوي قرابته في عشيرته ، (عدد فصل ٢٧) ورد بنو منسى سوال بنات صلفحاد بانهنَّ سيصرنَ نساء لاحد رجال اسباط بني اسرائيل فيسقط ميراثهنَّ من ميراث بني منسى ويزاد على ميراث السبط الذي يتزوجنَ منه فامر موسى عن امر الرب ان بنات صلفحاد يتزوجنَ بمن يحسن لديهنَّ لكن يجب ان يكون من عشيرة ابيهنَّ حتى لا يتحول الميراث من سبطٍ الى اخر فتزوجنَ ببني اعمامهنَّ (عدد ف ٣٦)

﴿ عد ٢١٠ ﴾

﴿ احصآء موسى بني اسرائيل وتسليمه قيادتهم الى يشوع بن نون وموته ﴾

قد امر الرب موسى ان يحصي بني اسرائيل الاحصآء الثالث اذ كان الاول عند خروجهم من مصر والثاني في برية سيناء فكان عدد الرجال من ابن عشرين سنة فصاعدًا ست مئة الف ومئة وثلاثة وسبعين رجلاً ولم يكن باقياً ممن عُدّوا في برية سيناء الا كالب بن يوفنا ويشوع بن نون ذاك بحسب قول الرب انه يموتون في البرية الا هذين الرجلين ومع هذا لم ينقص عدد الشعب عما كان عليه لدن خروجه من مصر وقد احصي اللاويون وحدهم فكان عددهم من ابن شهر فصاعدًا ثلثة وعشرون الفاً (عدد فصل ٢٦)

قد انبأنا موسى (تثنية ف ٣ ع ٢٥) انه سأل الرب قائلاً ، دعني اجوز فأرى الارض الصالحة التي في عبر الاردن هذا الجبل الحسن ولبنان ، فقال له الرب ، حسبك لا تزد في الكلام معي في هذا الشان لكن اصعد الى قمة الفسجة وارفع طرفك غرباً وشمالاً وجنوباً وشرقاً وانظر بعينيك لانك لا تجوز هذا الاردن ومُر يشوع وشدده وشجعه فانه هو يعبر امام هولاء الشعب ويورثهم الارض التي تراها ، والفسجة قمة في جبل نبو تسمى الان

راس السياغة (على ما في كتاب اعلام الاماكن الانف الذكر) ومن وقف عليها رأى قسماً كبيراً من ارض فلسطين ومن وقف على شاطي البحر الميت غرباً غير بعيد عن مصب الاردن رأى حسناً جبل نبو وهذه القمة تجاهه نحو الشمال فمن هناك نظر موسى ارض الموعد. ثم سلم قيادة الشعب الى يشوع بن نون وامره ان يستشير دائماً رئيس الاحبار وان يقسم معه ارض الموعد في عبر الاردن على بني اسرائيل بالقرعة وخطب في بني اسرائيل خطباً عديدة ذكرهم بها باخص مواد السنّة مغيراً او مزيداً عليها اشياء اقتضاها الزمان وحض الشعب على اتقاء الرب والعمل بسنته ميناً لهم حسن الثواب ان عملوا بها وشرّ العقاب ان خالفوها ودفع كتب الشريعة الى الكهنة آمراً ان يتلوها على مسامع الشعب مرة في كل سبع سنين في عيد المظال ثم ترنم امام جماعة بني اسرائيل بالنشيد المثبت في الفصل ٣٢ من سفر التثنية مستهلاً بقوله « انصتي ايتها السماوات فاتكلم ولتستمع الارض لاقوال فيّ » وهذا النشيد يلزم كل عبراني مدى الدهر ان يستظهره حافظاً اياه بلا كتاب. ثم بارك بنو اسرائيل بركات نبوية ذكرت في الفصل ٣٣ من ذاك السفر. وصعد الى جبل نبو ومات على هذا الجبل وعمره مئة وعشرون سنة ولم يكل بصره ولم تذهب نضرته ودفنه الرب في الوادي في ارض مواب تجاه بيت فغور التي يرجح انها المسماة المريجة الان ولم يعرف احد قبره الى يومنا هذا كما جاء في الفصل الاخير من سفر التثنية الذي اضافه يشوع بن نون او غيره من الكتبة الملهمين الى هذا السفر. وقد اخفى الله قبر موسى لئلا يعبده بنو اسرائيل تشبهاً بالمصريين وقد كان بين بني اسرائيل قوم ممن كان عمرهم لدن الخروج اقل من عشرين سنة. وبكى بنو اسرائيل موسى ثلثين يوماً

عد ٢١١

في الاسفار التي كتبها موسى

قد كتب موسى الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم وهي اسفار التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع فذكر في التكوين خلق الله السماء والارض وما فيهما وابداع الانسان الاول والمرأة الاولى ثم انساب الاباء قبل الطوفان وبعده ومواطنهم وتفرق اعقابهم في الافاق بعد بلبلة السنتهم في بابل ودوّن اخبار نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف الى انحدار يعقوب بذريته الى مصر ووفاته ووفاة يوسف فيها . وذكر في سفر الخروج مولد موسى وتبني ابنة فرعون له وهربه الى مدين وارسال الرب له ليخرج شعبه من مصر وعمل الله المعجزات على يده فيها وخروج بني اسرائيل منها واجتيازهم في البحر الاحمر وحلولهم في طور سيناء وتنزيل الله الشريعة عليه وامره بعمل خباء المحضر ويلي هذا السفر سفر الاحبار وقد فصّل موسى به بامر الله ما يلزم الكهنة والاحبار عمله وطرائق تقدمة الذبائح والمحرقات وتكملة الوصايا الشرعية والطقسية ويليه سفر العدد وقد انطوى على تكملة تاريخ ارتحال بني اسرائيل من جبل سيناء الى صحراء مواب وتفصيل بعض مراحلهم التي كان موسى ذكرها قبلاً مجملة وعلى سنن اضافها الى السنن التي ذكرت في سفري الخروج والاحبار ويلي هذا السفر سفر تثنية الاشتراع وقد وضعه موسى بمنزلة مذكرة للاحداث التي جرت لهم وللسنن التي فرضها بامر الله مكررًا ذكر ما ورد في اسفار الخروج والاحبار والعدد وزائدًا او منقحاً بعض المواد لاقتضاء تقلب الحال زيادة او تنقيحاً . وقد ايدنا في ما مر من كلامنا الى الان صحة كثير من آي هذه الاسفار بالآثار القديمة والاكتشافات الحديثة المصرية والاشورية والبابلية والسورية كما رأيت وما برحت هذه الاكتشافات تزيد المنددين افحامًا

والجاحدين بكمًا والمؤمنين تمكناً وتشبثاً بعرى الدين الكاثوليكي المقدس

وقد رأينا ان نلخص هنا عن الموجز الكتابي للاب فيكورو (مجلد ١ عد ٢٣٩ وما يليه) اخص الحجج المثبتة ان موسى كتب اسفار التوراة الخمسة هذه وانه صادق بما كتب . ان مصادر هذه الحجج اربعة الكتاب المقدس نفسه والتوراة السامرية والاثار المصرية واللغة المكتوبة بها اسفار التوراة ففي الحجة الاولى نقول قد اجمع اليهود والنصارى على ان موسى كتب اسفار التوراة الخمسة وانه لم يكتب الا ما كان حقيقًا وصادقًا واس هذا الاجماع آيات بينات في اسفار التوراة نفسها وفي سائر الاسفار المنزلة فقد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١٤) ان الرب امر موسى ان يكتب في الكتاب تاريخ محاربة بني اسرائيل للعمالقة ، وقال الرب لموسى اكتب هذا ذكرًا في الكتاب ، بالتعريف كما في النص العبراني لا في كتاب بالتنكير وهذا دال صريح الدلالة على انه كان لموسى كتاب يدون به تاريخ ما يحدث لبني اسرائيل وجاء في هذا السفر (ف ٢٤ ع ٤) ، وكتب موسى جميع كلام الرب ، وقال بعد ذلك (ع ٧) ، واخذ كتاب العهد وتلا على مسامع الشعب ، وعليه فلم يكتب موسى السنّة وحدها بل الاحداث التاريخية ايضًا . وقد صرّح موسى بذلك اكثر تصريح بما كتبه في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣١ عد ٩ وما يليه) ، وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الكهنة بني لاوي ... وسائر شيوخ اسرائيل وامرهم موسى قائلاً في نهاية السبع السنين ... حينما يأتي جميع بنى اسرائيل ليمتثلوا لدى الرب ... تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع اسرائيل اجمع الشعب الرجال والنساء والاطفال والغريب الذي في مدنك لكي يسمعوا ويتعلموا ويتقوا الرب الهكم ويتحرّوا العمل بجميع كلام هذه التوراة ، ومن ذلك قوله بعيد هذا (عد ٢٤) ، ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة

في سفرٍ بتمامها امر موسى اللاويين ... ان خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه الى جانب تابوت عهد الرب الهكم فيكون ثم عليكم شاهداً » وقد مر ان الفصل الاخير من سفر التثنية المنبئ بموت موسى قد علقه يشوع بن نون او كاتب غيره بمنزلة ذيل على هذا السفر

ثم ان سائر اسفار الكتاب التي كتبت بعد التوراة تثبت صحتها وحقيقة نسبتها الى موسى فسفر يشوع بن نون مفعم بالايعاز الى اسفار التوراة حتى قال بعض المنددين انها وسفر يشوع من قلم كاتب واحد ونقتصر من ذلك على ذكر اقواله « تشدد وتشجع جداً لتحفظ جميع الشريعة التي امرك بها موسى عبدي ... لا يبرح سفر هذه التوراة من فيك بل تأمل فيه نهاراً وليلاً » (يشوع ف ١ ع ٧ و ٨) « كما امر موسى عبد الرب بني اسرائيل على ما هو مكتوب في سفر توراة موسى » (يشوع ف ٨ ع ٣١) « فتشددوا جداً لتحفظوا جميع المكتوب في توراة موسى وتعملوا به ولا تعدلوا عنه يمنة ولا يسرة (يشوع فصل ٢٣ عد ٦) وسفر القضاة مفعم ايضاً بالاشارات الى اسفار التوراة ونراها في سفري الملوك الاول والثاني قاعدة وسنّة لبني اسرائيل من ايام غالي الى ممات داود وقد كثر في جميع الاسفار الباقية اخبارية او نبوية او حكمية ذكر موسى وما عمله الله على يده من المعجزات وما نزله عليه من السنن كما ذكره موسى في اسفار التوراة وليست الفصول الاولى من سفر اخبار الايام الا خلاصة ما كتبه موسى في الانساب والمواليد وقلما تجد صفحة في الزبور لا تحوى اشارة الى ما كتبه موسى وقد تواتر ذكر المخلص ورسله آيات من اسفار التوراة في اسفار العهد الجديد ويضيق المقام عن استقراء جميع الايات المثبتة ما نحن مثبتون وعليه فاسفار الكتاب كلها تثبت ان موسى كتب اسفار التوراة الخمس وان صدقها مجمع عليه في اسفار العهدين القديم والجديد

الحجة الثانية من التوراة السامرية ان للسامريين توراة باللغة العبرانية ولكنها مكتوبة بالحروف القديمة على الهيئة الفونيقية وهي غير الترجمة السامرية او الارامية التي كانت ايديهم تتداولها قديمًا وغير الترجمة العربية التي في ايديهم الان وتلك التوراة السامرية القديمة تطابق جوهرًا توراتنا ولا تخالفها الا بامور عرضية او بتعيين بعض السنين وقد اطلع عليها الآباء القدماء واستشهدوا بها ونخص بالذكر منهم اوريجانوس (في سفر العدد فصل ١٣ عد ١) وايرونيموس (في مقدمة سفر الملوك الاول) الا انها تورّت عنا بظلمات الجهل الى بدء القرن الثاني عشر . وقد عثر بطرس دلاً فالّي على نسخة منها في دمشق سنة ١٦١٦ وهي التي طبعت في الجامعتين (بوليكلوت اي الكتاب المقدس بعدة لغات مجموعة معًا) الباريسية واللندنية سنة ١٦٤٥ وسنة ١٦٥٧ . ولا يعلم حق العلم متى تلقى السامريون التوراة لكن الارجح والظاهر من سفر الملوك الرابع (فصل ١٧ عد ٢٥ وما يليه) انهم تلقوها من الكاهن الاسرائيلي الذي بعثه اليهم ملك اشور عندما ارسل الرب عليهم اسودًا تقتل منهم في مبدأ اقامتهم في السامرة في مكان بني اسرائيل المسبين الى اشور ، واقام الكاهن بيت ايل واخذ يعلمهم كيف يتقون الرب ، ولم يستطع الجاحدون الى الان اقامة حجة ثابتة توجب التسليم لهم بتلقي السامريين التوراة في غير الوقت المشار اليه اعني بعيد خراب السامرة وجلاء بني اسرائيل الى بلاد اشور واقامة السامريين مكانهم وقد كان ذلك لسنة ٧٢١ ق م فاذًا وجود التوراة عند السامريين اعداء اليهود مطابقة لتوراتنا بينة قاطعة على عراقة اسفار موسى الخمسة في القدم ولا اقل من ان تثبت هذه البينة ان هذه الاسفار اقدم من العصر الذي تمحله لها كثير من الجاحدين والمنددين

الحجة الثالثة تؤخذ من الآثار المصرية قد رأيت عند الكلام في اخبار

يوسف واقامة بني اسرائيل في مصر وخروجهم منها الطباق الكائن بين كلام موسى في آيات عديدة وما جاء في الاثار المصرية مصداقاً لكلامه ودلّ ذلك صريح الدلالة على ان كاتب سفري التكوين والخروج كان له العلم التام باحوال مصر لا سيما احوالها على ما كانت عليه في ايام رعمسيس الثاني ومن سلفه فما جاء في الكتاب عن حالة البلاد ومدنها ولا سيما التي على تخومها وتألف جنودها انما هو دال حقيقة على عصر رعمسيس لا على عصر الفراعنة الذين كانوا في ايام سليمان وخلفائه فان كانت التوراة دُوّنت في آخر مدة ملوك يهوذا كما زعم الجاحدون فلِمَ كانت منبئة انباءً مدققاً بحال مصر القديمة ولم تنبئ بحالها على عهد اولئك الملوك ولِمَ كانت رواية التوراة اخبار حالة مصر مختلفة عن رواية الانبياء لها ولِمَ كانت الروايتان كلتاهما تطابقان حالة البلاد في العصرين كما شهدت آثارها صريح الشهادة وكيف مثلت لنا التوراة مصر بهيئة مملكة واحدة ولم تشر الى تقسم هذه المملكة الى امريات صغيرة كما صرّح بذلك اشعيا اذ قال (فصل ١٩ عد ٢) « واسلّح مصر على مصر فيقاتل الانسان اخاه والرجل صديقه مدينةٌ مدينةً ومملكةٌ مملكةً » ولماذا نرى الاعلام المذكورة في التوراة تطابق ما كشفت عنه الاثار المصرية على عهد رعمسيس ومن سلفه ولا نرى فيها مثالاً واحداً للاعلام السامية التي اعتادت وضعها الدول المصرية المعاصرة لسليمان فلماذا نجد في التوراة اسماء صوعن ورعمسيس وصوعر ولا نجد اسماء مجدل وتحفنيس وغيرها مما ذكره الانبياء . ثم ان لنا في علاقات مصر مع البلاد الاجنبية دليلاً آخر على ما نحن مثبتون مثلاً ان الحبشة تولت مصر قبل ايام حزقيا وفي مدة ملكه ولا نجد ذكراً لذلك في التوراة كما لم تذكر دولة الاشوريين الاولى التي نشأت في ايام انحطاط مملكة مصر ولو كتبت التوراة في عهد ملوك يهوذا كما وهم الجاحدون لرأينا فيها ذكر هذه الاحداث المهمة لا ذكر اخبار رعمسيس واسلافه

ان بعض اهل العلم بالآثار المصرية قد عارضوا اخبار التوراة بما كشفت عنه الآثار المصرية واضعين كلاً منها بجانب الاخر فتيقنوا ما بينهما من المطابقة ولا يمكن الجمع بينهما بهذه الدقة دون ان يكون كاتب التوراة مقيماً بمصر عند وقوع تلك الاحداث ولا يمكن التقليد ان يحفظها على سلامتها التامة مدة قرون عديدة

الحجة الرابعة تؤخذ من اللغة العبرانية المكتوبة بها التوراة قد رأى الماهرون باللغة العبرانية ان في اسفار موسى كثيراً من الكلمات واساليب التعبير الدالة على قدم هذه الاسفار ومخالفتها من حيث الفاظ اللغة ونحوها للاسفار التي كتبت بعدها باللغة العبرانية من ذلك استعمال هو ضمير المذكر الغائب بدلاً من هي ضمير المؤنثة الغائبة في مئة وخمس وتسعين آية من التوراة ولم يرد الضمير هي بصيغة التأنيث الا في احدى عشرة آية ويحتمل ان يكون النساخ المتأخرون اصلحوا ذلك في الاحدى عشرة آية وقد استعملت كلمة نعر العبرانية المذكرة ومعناها الشاب في احدى وعشرين آية بدلاً من نعرة المؤنثة بمعنى الشابة ولم ترد الكلمة بصيغة التأنيث الا في آية واحدة ويحتمل ان يكون ناسخ متأخر اصلح الكلمة في هذه الاية فعدم الفرق بين المذكر والمؤنث دليل قاطع على العراقة في القدم وعلى ان اللغة العبرانية لم تكن قد ضبطت في ايام كاتب تلك الاسفار بالاصول النحوية التي ضبطت بها بعد ذلك اذ لا تجد اثراً لمثل ذلك في الاسفار العبرانية التي كتبت بعد موسى . وقد لاحظ الماهرون في اللغة العبرانية ايضاً ان في اسفار التوراة اصولاً خاصة بها لا توجد في الاسفار المتأخرة منها انه اذا اجتمع موصوفان ربط الأول مع الثاني بحرف اليود (الياء) وهو اصطلاح قديم لا تجد له اثراً الا نادراً في اللغة العبرانية بعد موسى وكذا تجد في اسفار موسى فعل الامر منتهياً بحرف النون ولا مثيل

لذلك في الاسفار المتأخرة وللمصدر في اسفار موسى صيغة غير صيغته في غيرها وذكروا الفاظاً وعبارات كثيرة في اسفار موسى لا وجود لها في غيرها وقالوا ليس في اسفار موسى كلمات اجنبية الا الكلمات المصرية وقد اطال واجاد الاب فيكورو باثبات هذه الحقيقة في كتابه الاخر الموسوم بالاسفار المقدسة وانتقاد العقلين لها (مجلد ٣ من صفحة ٩ الى صفحة ٢١٣)

وقد نسب كثير من القدماء والحدثاء كتابة سفر ايوب الصديق الى موسى ومنهم القديس افرام السرياني اذ قال في مقدمة كلامه على هذا السفر ܗܘ ܐܝܘܒ ܕܡܫܐ ܐܬܪܓܡ ܠܗ اي ان موسى كتب كتاب ايوب ولكن قال غيرهم ان ايوب نفسه كتب سفره بالسريانية او العربية فترجمه موسى الى العبرانية وعزاه بعضهم الى اصدقاء ايوب او احدهم وغيرهم الى سليمان واصله شعر فصيح العبارة بليغ الاشارة ولكن ناظمه لم يقيد نفسه بوزن ولا قافية وهذا دالٌّ على قدمه والاظهر ان ايوب كان في زمان موسى واقام بارض عوص المنسوبة الى عوص بن ارام بن سام والارجح انها الاجاة وحوران

الفصل التاسع

(في يشوع بن نون واخبار بني اسرائيل في ايامه)

﴿ عد ٢١٢ ﴾

في يشوع بن نون والسفر المنسوب اليه ومجمل اعماله

ان يشوع بن نون هو من سبط افرائيم بن يوسف وكان خادماً امينا لموسى بل موازراً له وعهد اليه موسى بقيادة بني اسرائيل بعد وفاته . وروى

يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ١) انه كان له من العمر خمس وثمانون سنة حين تولى قيادة بني اسرائيل وعليه فكان عمره خمساً واربعين سنة عند خروجهم من مصر ولم يبقَ ممن خرجوا منها وعمرهم فوق العشرين سنة الا يشوع هذا وكالب بن يوفنا كما مر. ان كل ما سنورده في هذا الفصل من اخبار بني اسرائيل مسنده السفر المنسوب اليه وتلك النسبة وان لم تكن يقينية فتؤيدها ادلة راهنة عديدة منها ان تقليد اليهود المصرح به في كتاب التلمود يعزو هذا السفر الى يشوع وقد تابعهم على ذلك كثير من المحققين والمدققين . ومنها انه جاء في هذا السفر (فصل ٢٤ عد ٢٦) « وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله » اي كتب هذا السفر والحقه باسفار موسى . ويستغرب ان يكون يشوع غفل عن ان يدون الاحداث المهمة التي اجراها الله على يده وتقاعد عن اتمام فرض تستلزمه رسالته وتستثنى من ذلك الايات الاخيرة من هذا السفر المنبئة بموت يشوع واليعازر الحبر فانها من قلم كاتب آخر قديم . ان لنا بينات قاطعة على قدم سفر يشوع منها ان لا ذكر فيه لبيت لحم موطن داود بين مدن يهوذا وذاك دليل قاطع بان هذا السفر كتب قبل ايام داود والا لما اهمل الكاتب ذكرها . ومنها انه جاء فيه (فصل ١٥ عد ٦٣) « اما اليبوسيون سكان اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فاقام اليبوسيون مع بني اسرائيل في اورشليم الى اليوم » وعليه فكاتب هذا السفر كان قبل السنة الثامنة من ملك داود التي فيها تولى داود صهيون اي اورشليم (كما في ملوك ٢ فصل ٥ عد ٥٧) ومنها ان هذا السفر وصف صيدون بالكبيرة (فصل ١١ عد ٨) مع ان صيدون أخربها الفلسطينيون في زمان القضاة سنة ١٢٠٩ ق م واخذت صور سؤددها فاذاً كان الكاتب قبل ايام ملوك اسرائيل

قد اعدت عناية الله يشوع لامرين كبيرين افتتاح بلاد فلسطين وقسمتها على

اسباط بني اسرائيل فاتم اولهما بما قيض الله له من النصر والفوز في مواقع عديدة فتيسر له ثانيهما وكانت بلاد فلسطين يومئذٍ منقسمة الى ممالك عديدة لكن هذه الممالك لم تكن الا اعمالاً او اقطاعاً مستقلاً احدها عن الاخر ويلي كلاً منها حاكم يسمونه ملكاً يتأمّر على عشيرته وهذه العشائر هي التي سماها الكتاب الحثيين واليبوسيين والاموريين الخ وقد جأت الآثار المصرية مصداقاً لما ورد في الكتاب فقد كشف العالم مريات عن وجه مساكن في اخربة هيكل الكرنك على مقربة من تاب (طيبة) القديمة دوّن عليه توتمس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة اكثر من ست مئة اسم موضع استحوذ عليها وبين هذه الاسماء مئة وتسعة عشر علماً لعشائر ومواضع في فلسطين وهي منقسمة الى ست دوائر كأنها ست امارات ويمكن ان تقرأ اسماؤها كما يأتي يابوسي (اليبوسيون) اموري (الاموريون) كركاسي (الجرجسيون) حيوى (الحوويون) عرقي (العرقيون او الحثيون) سيني (السينيون او الفرزيون) وقد رقمت هذه الخطوط في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر قبل خروجهم منها

﴿ عد ٢١٣ ﴾

عبور يشوع الاردن ببني اسرائيل واختتانهم

قد انبأنا الكتاب (يشوع ف ١) ان الرب امر يشوع بن نون بعد وفاة موسى ان يتشدد ويتشجع وان يقوم فيعبر الاردن هو وجميع الشعب الى الارض التي الرب معطيها لبني اسرائيل من البرية ولبنان الى نهر الفرات جميع ارض الحثيين (طالع عد ٥٦) وافتتح يشوع اعمال قيادته بان ارسل من شطيم حيث كانت محلتهم جاسوسين لينظرا ارض عبر الاردن واريحا فدخلا بيت امرأة بغيّ اسمها راحاب وعرف ملك اريحا بقدومهما وارسل جنداً للقبض عليهما فاخفتهما راحاب وقالت انهما خرجا ولا تدري اين ذهبا وانبأت الرجلين بفرط

الخوف المستحوذ على قلوب الكنعانيين من مهاجمة بني اسرائيل لهم وسألتهما ان يرأف بنو اسرائيل بها وبأهلها متى تولوا اريحا فواعداها ودلتهما بحبل من الطاق لان بيتها كان في حائط السور ووافقاها على علامة ان تعقد من خيوط القرمز في الطاق التي دلتهما منه فينجو كل من كان في بيتها ابوها وامها واخوتها وجميع بيت ابيها وعادا الى يشوع فحدثاه بجميع ما وقع لهما

فبكر يشوع في الغداة ورحل من شطيم واقبل الى الاردن هو وجميع بني اسرائيل وباتوا هناك قبل ان يعبروا وكلّم يشوع الكهنة قائلاً احملوا تابوت عهد الرب واعبروا امام الشعب فحملوه وساروا امامهم ولما انغمست اقدام الكهنة حاملي التابوت في حاشية المياه والاردن طافح من جميع شطوطه كل ايام الحصاد وقف الماء المنحدر من فوق وقام ندًا واحدًا ممتدًا جدًا وانقطع الماء المنحدر الى بحر الغور (البحر الميت) تمامًا وعبر الشعب قبالة اريحا ووقف الكهنة على اليبس حتى فرغ الشعب كله من عبور الاردن ودعا يشوع بامر الرب اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً قائلاً ارفعوا من ههنا من وسط الاردن من موقف ارجل الكهنة اثنى عشر حجرًا واعبروا بها وضعوها في المبيت الذي تبيتون به الليلة فرفع كل من الاثني عشر حجرًا على كتفه ووضعوها في ميتهم لتكون تذكرة لهم ان مياه الاردن انفلقت امام تابوت عهد الرب عند عبورهم الاردن ونصب يشوع اثني عشر حجرًا في وسط الاردن في موقف ارجل الكهنة حاملي التابوت ، وهي هناك الى يومنا هذا ، ولما صعد الكهنة من وسط الاردن رجعت مياه الاردن الى موضعها وجرت كما كانت تجري قبلاً (يشوع فصل ١ الى ٥)

لا مرآ بان انفلاق مياه الاردن معجزة خارقة نظام الطبيعة كشق البحر الاحمر وغيره من الآيات التي ذكرها الكتاب ولا ينكر امكان صيرورة

المعجزات الا من ينكر ان الله على كل شيء قدير فيخرق نظام الطبيعة او يغيره كلما شاء لانه بادع كل كائن سواه وربه وسنن الطبيعة طوع يده . وقال اوسابيوس (في كتابه في المواضع العبرانية) ان الحجارة التي نصبت تذكرة لهذه الاية استمرت قرونًا في محلها وكان سكان تلك البلاد يدلون الغرباء عليها وجاء في اخبار رحلة السائح الافرنسي من بوردو الذي زار الاماكن المقدسة سنة ٣٣٣ للميلاد ، وبقي فوق ذلك الينبوع (وهو الذي حلّى الينبوع مآءه) اثر لبيت راحاب البغي الذي دخله الجاسوسان فاخفتهما ولما سقطت اسوار اريحا استمر هذا البيت سالمًا فهناك كانت اريحا التي دار بنو اسرائيل بتابوت العهد حول اسوارها فتهدمت ولا يظهر من اثارها الا محل تابوت العهد والاثنا عشر حجرًا التي رفعها بنو اسرائيل من الاردن ، وجاء ايضًا في كتاب رحلة انطونينوس الشهيد الذي كتب سنة ٥٧٠ او سنة ٦٠٠ ان بيت راحاب بقيت اثاره واقيم معبد للعذراء في محل الغرفة التي اخفت الجاسوسين فيها واما الحجارة التي رفعها بنو اسرائيل من الاردن فهي باقية ورآء المذبح في كنيسة كبيرة غير بعيدة عن المدينة

وجاء في الكتاب (يشوع ف ٥) ان الرب قال ليشوع اصنع لك سكاكين من صوان واختن بني اسرائيل لان من خرجوا من مصر كانوا مختونين فيها وماتوا واما جميع الشعب الذين ولدوا في البرية فلم يختتنوا لانهم كانوا رحلاً لا مقر لهم في البرية مدة اربعين سنة فاختتن جميع هولاء . واستعمال السكاكين من صوان مؤذن بقدم الختان وقد مر في كلامنا في ابرهيم ان الله امره ان يختن كل مولود من نسله وابنًا ثمة ان الختان كان عند المصريين قبل ابرهيم فهو منذ العصر الحجري اي مذ كانت الآلات القاطعة تصنع من حجر قبل ان اعتادوا صنعها من حديد وحوفظ على استعمال الآلات الحجرية رعاية وتذكرة

للاصل . وقال بعضهم ان استعمال الصوان اسلم من استعمال الحديد لعدم تهيج محل القطع . وقد وجد الاب ريشار سكاكين من صوان سنة ١٧٧٠ في محلة بني اسرائيل وسنأتي على تفصيل ذلك عند الكلام في مدفن يشوع . وقد صرح الكتاب بان محلتهم هناك دعيت الجلجال اذ جاء في سفر يشوع (فصل ٥ عد ٩) ، فقال الرب ليشوع اليوم كشفت عار المصريين عنكم فدعي ذلك الموضع الجلجال الى هذا اليوم ، ولذلك قال يوسيفوس ان معنى الجلجال الحرية لان بني اسرائيل تحرروا ثمة من عبودية مصر ومشاق البرية . وقال العالم كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١١٨) ان الجلجال كانت في المحل المسمى الان تل جلجول واستشهد يوسيفوس الذي قال ان الجلجال كانت على بعد خمسين غلوة في غربي الاردن (عبارة عن مسير ساعة ونصف) وعلى بعد عشر غلوات في شرقي اريحا (عبارة عن ١٨٥٠ مترًا) وحقق كاران بالمعاينة ان هذا الموقع هو المسمى الان تل جلجول . وتوجد مواضع اخرى تسمى الجلجال سيأتي ذكرها وهناك صنع بنو اسرائيل الفصح واكلوا من غلة الارض بعد الفصح فطيرًا وفريكًا فانقطع المن منذ اكلوا من غلة الارض

﴿ عد ٢١٤ ﴾

سقوط اسوار اريحا وابسال بني اسرائيل جميع ما كان فيها

كانت اريحا بمنزلة مفتاح لبلاد فلسطين وانبأنا الكتاب (يشوع فصل ٦) انها كانت مغلقة مقفلة من وجه بني اسرائيل لم يكن احد يخرج منها ولا احد يدخلها فامر الرب يشوع ان يطوف رجال الحرب حول المدينة كل يوم مرة وان يحمل سبعة كهنة سبعة ابواق الهتاف امام تابوت العهد وان يطوفوا في اليوم السابع سبع مرات حول المدينة وينفخ الكهنة في الابواق . ففعلوا كذلك وفي اليوم السابع طافوا حول المدينة سبع مرات وفي الاخيرة منها نفخ الكهنة

في الأبواق وهتف الشعب كله هتافاً شديداً فسقط السور المنيع مكانه فصعد الشعب الى المدينة كل واحد على وجهه واخذوا المدينة وابسلوا كل ما فيها بحد السيف من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير ولم يبقوا الا على راحاب البغي التي آوت الجاسوسين وابيها وامها واخوتها وجميع ما هو لها واقام هولاء بين بني اسرائيل وقتل يشوع ملك اريحا كما صرّح الكتاب في الفصول الاتية كما سترى

واحرق رجال الحرب المدينة وجميع ما فيها بالنار الا الذهب والفضة وانية النحاس والحديد فانهم جعلوها في خزانة بيت الرب . وقد اباحهم الله هذا القتل والتدمير ليشتد رعبهم على سكان الارض التي جعلها لهم ميراثاً فيتيسر لهم امتلاكها عنوة كما فعلوا وقد اشار الكتاب الى ذلك بقوله (يشوع فصل ٦ عد ٢٧) « وكان الرب مع يشوع وذاع خبره في كل الارض » فقر كثير من الكنعانيين من وجه بأسه . وروى بروكوب انه وجد في بلاد المغرب عمودان من حجر ابيض نقش عليهما باللغة الفونيقية ما معناه « انا نحن هم الذين فروا من سطو يشوع بن نون » رواه يوجولا في تاريخ اورشليم (مجلد ١ فصل ٢) وقال حاول بعضهم ان ينكر صحة رواية بروكوب لكنهم لم يقيموا على زعمهم حجةً الا مجرد الانكار لها

قد لعن يشوع اريحا قائلاً « ملعون لدى الرب الرجل الذي ينهض ويبني هذه المدينة اريحا ببكره يؤسسها وباصغر بنيه ينصب ابوابها » (يشوع فصل ٦ عد ٢٦) وقد صدقت نبوته في حيئيل الذي من بيت ايل اريحا فانه شاء تجديد بنائها في ايام احاب ملك اسرائيل فقجع بموت بكره المسمى ابيرام لدى تأسيسها وباصغر بنيه المدعو سجوب لدى اقامة ابوابها كما جاء نصاً في سفر الملوك الثالث (فصل ١٦ عد ٣٤) ثم تهدم هذا البناء . ويظهر ان بعض بني

اسرائيل جددوا بناء هذه المدينة بعد عودهم من الجلاء البابلي لا في محلها القديم بل على مقربة منه نحو الجنوب . وهذه المدينة الحديثة هي التي شرفتها اقدام المخلص مرات . ان كلمة اريحا تحتمل ان تأول بالقمر فان يرحا معناها السريانية تأويلها القمر والشهر فكأن سكانها الاولين من الكنعانيين كانوا يعبدون القمر وتحتمل ان تأول بالرائحة فان جناتها وورودها كانت شهيرة

﴿ عد ٢١٥ ﴾

﴿ محاربة بني اسرائيل اهل العي ﴾

ان مدينة العي التي يسميها يوسيفوس عينا وفي الترجمة العربية القديمة غاي كان موقعها في الغربي الشمالي من اريحا وجاء في كتاب اعلام الاماكن الكتابية المطبوع بنفقة اللجنة الانكليزية للبحث في فلسطين انها كانت في المحل المسمى الان تل عيان في الشرقي الجنوبي من بيت اين التي هي بيت ايل القديمة او في الجنوب الشرقي منها على مقربة من دير ديوان . وقال العالم كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٥٩) ان موقع العي في محل خربة الكديرة الان وان روبينسون على ما يُظن هو اول من اهتدى الى ذلك وانها في الجنوب الشرقي من بيت اين (بيت ايل) وانه متابع لروبينسون على رأيه . فالى هذه المدينة ارسل يشوع من اريحا قوماً يجسونها فعادوا وقالوا ليشوع لا تكلف كل الشعب الى هنالك فان اهلها قلائل بل يصعد نحو الفي رجل او ثلاثة الاف فصعد نحو ثلاثة الاف رجل فهزمهم رجال العي وقتلوا منهم نحو ستة وثلاثين رجلاً فانذعر الشعب ومزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه على الارض قدام تابوت الرب هو وشيوخ اسرائيل يستعطفون الله على شعبه فقال الرب ليشوع قد اجرم اسرائيل باخفائه ما حظر عليه اخذه من غنائم اريحا ورمى القرعة بين الاسباط وعشائر كل سبط وبيوته ورجاله فاخذ عاكان بن كرمي من

سبط يهوذا فاستنطقه يشوع فقال « رأيت في الغنيمة رداء بابليًا حسنًا ومئتي مثقال فضة وسبيكة من ذهب وزنها خمسون مثقالاً فاشتهيتها واخذتها وها هي مدفونة في الارض في وسط خبائي والفضة تحتها » فارسل يشوع فاخذ ذلك من وسط الخباء وطرحه امام تابوت الرب واخذ عاكان والفضة والرداء والسبيكة وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخبآءه واتوا بهم وادي عكور وهو الان وادي كات (كتاب اعلام الاماكن الكتابية) فرجموه بالحجارة واحرقوهم بالنار ورضي الرب عنهم لاقتصاصهم من الجرم الذي اسخطه بمخالفة امره وقد شاء الرب ذلك ليكون عبرة وتذكرة لهم (يشوع ف ٧) ثم سير يشوع ليلاً ثلاثين الف رجل جبابرة بأس ليكمنوا من وراء المدينة وبكر غدوة وصعد هو وشيوخ اسرائيل امام الشعب الى العي فخرج ملكها برجاله لقتالهم فاظهر يشوع وعسكره الانهزام امامهم فتتبع اهل العي بني اسرائيل حتى ابعدوا عن المدينة فسدّد يشوع حربته والعلم عليها فوثب الكامنون على المدينة فدخلوها والقوا النار فيها وخرجوا وراء اهلها فصار القوم في وسط اسرائيل هولاء من هنا واولئك من هنالك فضربوهم حتى لم يبقَ منهم باقٍ ولا شريد وقبضوا على ملك العي حيًا وقادوه الى يشوع ورجعوا الى المدينة فقتلوا من بقي فيها فكان جملة من قتلوا من رجل وامرأة اثنى عشر الفًا وغنم بنو اسرائيل سلب المدينة بحسب امر الرب وعلّق يشوع ملك العي على خشبة ثم القوا جثته عند مدخل باب المدينة وجعلوا عليه جثوة كبيرة من الحجارة (يشوع فصل ٨) فكان ما عمله يشوع حيلة حربية كثرت امثالها بين المحاربين وارشدهم الله اليها نقمةً من سكان العي الاموريين وتيسيرًا لامتلاك شعبه ارض موعدهم وهو مالك الارقاب الذي يميت ويحيي ويجزي كلاً بما جنت يداه

﴿ عد ٢١٦ ﴾

مسالة بني اسرائيل لسكان جبعون

اما جبعون فهي المسماة الان الجيب او الجب وقال يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٧ فصل ١١) انها بعيدة عن اورشليم نحو خمسين غلوة (الغلوة ثلث مئة الى اربع مئة ذراع) شمالاً وقال كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٣٨٦) ليس من يقيم نكيرًا على ان جبعون هي المسماة الان الجيب وانها بعيدة عن اورشليم نحو الشمال عشرة كيلومترات اي مسافة نحو ساعتين وان بهآء الدين سماها في ترجمة الملك صلاح الدين في ايام الصليبيين الجيب كما تسمى الان وكذا جاء في كتاب اعلام الاماكن. وقال كلمت في معجم الكتاب انها بعيدة عن الجلجال مسافة ثماني ساعات او تسع غربًا. فسكان هذه المدينة سمعوا بما فعله يشوع باريحا وبالعي فاحتالوا بان اخذوا لحميرهم حقائب رثة وزقاق خمر عتيقة مشققة مرقعةً وجعلوا نعالاً مرقعةً في ارجلهم وثيابًا باليـة عليهم وجميع خبز زادهم يابسٌ عفنٌ ومضوا الى يشوع في محلة الجلجال وقالوا انا قادمون من ارض بعيدة على اسم الرب الهكم لاننا سمعنا بخبره وبجميع ما صنع في مصر وبسيحون ملك حشبون وعوج ملك باشان فارسلنا شيوخنا وسكان ارضنا لنقطع لهم عهدًا منكم وهذا خبزنا تزودناه سخنًا من بيوتنا وها هو الان يابس وعفن وهذه زقاق الخمر ملأناها جديدة وها هي مشققة وهذه ثيابنا ونعالنا قد تعتقت ولم تلتمس جماعة اسرائيل مشورة الرب فسالموهم وقطعوا لهم عهدًا وحلفوا لهم انهم يستبقونهم. ولكن سمعوا بعد ثلاثة ايام انهم جيران لهم وساكنون بينهم فاتوا مدنهم وهي جبعون المحكى عنها وكفيرة وهي خربة قفـيرة اليوم على بعد ثمانية اميال في الشمال الغربي من اورشليم على ما في كتاب اعلام الاماكن وعلى ما روى كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحـة ٢٨٤) ثم بئروت وهي

البيري الان في شمالي اورشليم وشرقي رام الله كما في كتاب اعلام الاماكن وكما روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٩) وقال انها على بعد نحو ثلث ساعات من اورشليم في الطريق المؤدية منها الى نابلس والناصرة وان التقليد الراجح الصحة يتبين منه ان هذا هو المحل الذي انتبهت فيه العذراء والقديس يوسف الى تخلف يسوع عنهما ثم قرية يعاريم (اي محل الاشواك) والاظهر انها المسماة الان قرية العنب وقرية ابي غوش على بعد تسعة او عشرة اميال من اورشليم في الطريق المؤدي الى يافا (كما في كتاب اعلام الاماكن وفي كتاب كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٦٢)

لم يضرب بنو اسرائيل اهل جبعون حرمة للعهد الذي قطعوه لهم ومبرة ليمينهم بالله وجعلهم يشوع والروساء محتطبي حطب ومستقي ماء لكل الجماعة ولمذبح الرب فادعنوا لذلك ورعوا الزمام لبني اسرائيل في ما عُينوا له (يشوع فصل ١٠) على ان شاول اهلك جمًا غفيرًا منهم لحسبانه انه يلزمه استئصال بقايا الكنعانيين والجبعونيون من الحووين فانتقم الله لدمهم بمجاعة في ايام داود دامت ثلث سنين وكفّر داود عنها بتسليمه الى الجبعونيين سبعة من ولد شاول فقتلوهم وقد صرّح الكتاب بذلك في الفصل الحادي والعشرين من سفر الملوك الثاني . ولم يأتِ الكتاب بعد ذلك بذكرهم بمنزلة فصيلة مستقلة

﴿ عد ٢١٧ ﴾

تألب ملوك الجنوب على يشوع وبني اسرائيل

قال الكتاب (يشوع فصل ١٠) ولما سمع ادونيصادق ملك اورشليم بما فعله يشوع باهل اريحا وملكها واهل العي وملكها وان اهل جبعون سالموا بني اسرائيل واقاموا فيما بينهم فخاف خوفًا شديدًا لان جبعون مدينة عظيمة مثل احد المدن الملكية وهي اكبر من العي وجميع رجالها جبابرة فارسل ادونيصادق

الى هوهام ملك حبرون وهي الخليل والى فرآم ملك يرموت وهي المعروفة الان بخربة يرموك على مسافة نحو ثلث ساعات شمالاً من بيت جبرين ويافيع ملك لاكيش ، وهي المعروفة الان بخربة ام الاكيس في الغرب الجنوبي من بيت جبرين وفي غربي عجلون الاتي ذكرها ، ثم ، دبير ملك عجلون ، وتعرف الى الان بهذا الاسم وهي في الغربي الصريح من بيت جبرين على مسافة اربع ساعات وتبعد ستة عشر ميلاً عن غزة شمالاً (اعلام الاماكن وكاران في مجلد ٢ في اليهودية) وارسل ملك اورشليم يقول لهولاء الملوك الاربعة هلموا اليَّ وناصروني فنضرب جبعون لانها سالمت يشوع وبني اسرائيل فاجتمعوا ونزلوا على جبعون وحاربوها فاستنجد اهلها بيشوع فزحف عليهم بغتةً سائرًا الليل كله من الجلجال فهزم الرب ملوك الاموريين ورجالهم وضربهم ضربة عظيمة في جبعون وتعقبهم يشوع في طريق عقبة بيت حورون (وهى المعروفة اليوم ببيت اور في الغرب الشمالي من الجب (جبعون) وهي محلتان عليا وسفلى واستمر بنو اسرائيل يطاردونهم الى عزيقة لم يتعين الى الان موقعها فهى بين بيت جبرين واورشليم قريبة من خربة الشويكة (١) والى مقيدة وقال اوسابيوس ان هذه المدينة بعيدة ثمانية اميال عن بيت جبرين وفي كتاب اعلام الاماكن

---

(١) ففي كتاب اعلام الاماكن الكتابية ومواقعها ان عزيقة كانت في تل زكريا او في دير العاشق فزكريا هي بين بيت جبرين وبيت الجمال ودير العاشق في وادي سارق وقال كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٣٣) ان عزيقة لابد ان تكون قريبة من سوكو لانهما ذكرتا معاً في ايات عديدة ومنها في سفر الملوك الاول (فصل ٧ عد ١) حيث قيل ان الفلسطين « نزلوا بين سوكو وعزيقة حيث صرع داود جليات الجبار ولا مرآء ان سوكو هي خربة الشويكة البعيدة سبعة اميال ونصف عن بيت جبرين الى جهة اورشليم وعزيقة اقرب منها اليها وقد ذكر اوسابيوس والقديس ايرونيموس انها بين بيت جبرين واورشليم وذكر الاب فيكورو (في معجم الكتاب) كل هذه الاقوال وقال ان كلة عاشق يمكن ان تكون مكسر عزيقة وان كانت بعيدة عن الشويكة

الكتابية انه يحتمل ان كان موقعها في محل قرية المغار الان وقال فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ١٨٦) ويحتمل ان يكون موقعها عند سفح جبل بيت اور قريباً من السهل وبين كان ملوك الاموريين منهزمين من وجه اسرائيل في مهبط بيت حورون (بيت اور) رماهم الرب ببرد كالحجارة فقتل منهم كثيرون وهرب الملوك الخمسة واختبأوا في مغارة بمقيدة فقال لهم يشوع دحرجوا حجارة كباراً على فم المغارة ووكلوا عليها قوماً يحفظونها وانتم هلموا على اعقاب اعدائكم واهلكوا ساقتهم ففعلوا كذلك حتى افنوهم ودخل من بقي منهم المدن المحصنة ورجعوا الى يشوع في مقيدة وفتحوا فم المغارة واخرجوا الملوك الخمسة منها وضربهم يشوع وقتلهم وعلقهم على خمس خشبات الى المساء ثم انزلوهم عن الخشب وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها وجعلوا على فم المغارة حجاراً كباراً وفتح يشوع في ذلك اليوم مقيدة وضربها بحد السيف وابسل ملكها وكل الانفس التي فيها

﴿ عد ٢١٨ ﴾

في ايقاف يشوع الشمس والقمر عن مسيرهما

جاء في الكتاب انه لما كان بنو اسرائيل يطاردون ملوك الاموريين كلَّم يشوع الرب، فقال على مشهد اسرائيل يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايالون فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم ... فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعل للمغيب مدة يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب لصوت انسان، (يشوع فصل ١٠ عد ١٢ وما يليه) قال الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٢٥ وما يليه) ان هنا اربعة مباحث في اي وقت من النهار اوقف يشوع الشمس وكم كانت مدة وقوفها وباية وسيلة صنع الله هذه الاية وكيف يرد ما ورد عليها من الاعتراض وقال

في المبحث الاول ان وقت وقوف الشمس كان عند مغيبها فلا محل لالتماس الاية الا عند مداهمة الليل وكفه بني اسرائيل عن تتبع اعدائهم وقوله في كبد السماء يرادف قوله في السماء ولا يمكن تحقيق مدة وقوف الشمس لان الاية في النص العبراني « ولم تمل (الشمس) للمغيب مدة نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم » فهذا النص قيد المدة بنحو يوم كامل ولم يطلقه وليس فيه الكلمات « قبله ولا بعده » فكان ذلك مانعاً من تحقيق المدة ومؤذناً فقط بان الوقت كان طويلاً على ان ميمونيد اليهودي وبعض البروتسطنت وقليلاً من العلماء الكاثوليكيين ايضاً وهموا ان كلام يشوع مجازي وشعري ليس المراد منه الا تمني يشوع طول ذلك النهار ووقوف الشمس لاستئصال بني اسرائيل اعداءهم لا ان النهار طال او الشمس وقفت حقيقة واستمسك اصحاب هذا الراي بقول الكتاب « وذلك مكتوب في سفر المستقيم » قائلين ليس هذا السفر الا نفثات شعرية على ان زعمهم هذا مردود بصراحة آي الكتاب واجماع التقليد على مخالفته

واما باية وسيلة اطال النهار فلا يخلو ان يكون اما بان الله اوقف الكرة الارضية عن دورانها اليومي اما بانه جعل انوار الشمس تضيء بني اسرائيل كلما لزم من الوقت للحاقهم اعداءهم دون ايقاف الارض عن حركتها فيرد على الاول ان وقوف الارض بغتةً عن حركتها ينشأ عنه طبعاً دمار عام في الكائنات الارضية كهدم الابنية ودك الجبال وتشوش كبير في الاجرام السموية وخروج الارض عن نقطة دورانها بتشوش حركة القمر وقد فات المعترضين ان الله الذي هو قادر على ايقاف حركة الارض هو قادر ايضاً على تدارك ما ينتج عنه من الغوائل الطبيعية وان حركة الارض السنوية حول الشمس وحركة القمر حول الارض لا علاقة لهما بدوران الارض اليومي على محورها واما

على التفسير الثاني وهو وقوف الشمس ظاهراً دون ايقاف حركة الارض فلا يعسر على الله وهو على كل شيء قدير ان يتصرف باشعة نور الشمس كما يشآء بانبعاثها او انكسارها لتنير ارض فلسطين فبعد مغيب الشمس نرى انوارها في الافق مدة الشَفَق وقبل بزوغها الى الافق نرى انوارها فيه مدة الفلق فهل يعسر على الله ان يطيل مدة الشفق ساعات عديدة في صقع مخصوص وحينئذٍ يصدق القول ان الشمس واقفة وان النهار طال ولا يتأتى من ذلك دمار في الكائنات الارضية ولا تشوش في الاجرام السموية

فيقول الجاحدون لا اثر في تواريخ القبائل القديمة لوقوف الشمس او لطول نهار اكثر من عادته ولو صدق كلام يشوع لظهر هذا الوقوف في البسيطة كلها فلا يعتد بقولهم اذ لا تاريخ لذلك العصر وليس ما يثبت ان طول النهار عم غير فلسطين فيقولون ايضاً ان حركة الارض او الشمس مخالف لسنن الطبيعة ولكن الا يستطيع باري الطبيعة الذي فرض لها هذه السنن ان يغيرها او يصرف قوتها الى ما شآء وقد تكلم كاتب السفر المقدس في وقوف الشمس بحسب مفهوم القوم في ذلك العصر ولم يكن عليه وهو في معمعة الحرب ان يراعي علم الفلك ويخاطب قومه بما لا يعلمون . فهذا ملخص ما جاء به الاب فيكورو في كتابه المارّ ذكره وقد اطال واجاد بكلامه على هذه الاية في كتابه الاخر الموسوم بالاسفار المقدسة وانتقاد العقليين لها (مجلد ٤ من صفحة ٤٥٩ الى صفحة ٤٨٥) حيث افصح بان نبذ مجمع الفحص المقدس مقالات كليلاي التي اثبت بها دوران الارض حول الشمس لم يكن من العقائد الدينية ولم يثبته احد من الاحبار الاعظمين بمنزلة سنَّة في الكنيسة وان القول بان الارض تدور حول الشمس لم يكن حديثاً بل قال به البيتاغوريون لنحو خمسة قرون قبل التاريخ المسيحي وايده نيقولاوس دي كوسا في ايطاليا ولم تنبذه الكنيسة بل

رقّت القائل به الى مقام الكردينالية ثم اثبته نيقولاوس كوبرنيكوس في القرن الخامس عشر قبل كليلاي وقد فرط من مجمع الفحص نبذ مقالات هذا العالم فالكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر كل ما جرى في احدى المجامع الرومانية معصوماً من الضلال بل هذه العصمة لرأسها المنظور متى بت امراً بمنزلة معلم للكنيسة كلها وامر جميع المؤمنين بتنزيله منزلة عقيدة دينية ولم يأمر احد من الاحبار الاعظمين بشيء من ذلك في شأن مذهب كليلاي

﴿ عد ٢١٩ ﴾

افتتاح يشوع مدناً اخرى في جنوبي فلسطين

قال الكتاب (يشوع ف ١٠ عد ٢٩) « ثم اجتاز يشوع وجميع اسرائيل معه من مقيدة الى لبنه وحاربها فاسلمها الرب ايضاً الى ايدي اسرائيل هي وملكها ... وقتلوا كل نفس فيها لم يبقوا فيها باقياً وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك اريحا ، وموقع لبنه غير معين الى الآن ففي اعلام الاماكن الكتابية ان موضعها غير معروف وقد ذكر اسمها بين مقيدة ولاكيش وفي معجم الكتاب لكلمت ان اوسابيوس والقديس ايرونيموس قالا انها كانت في عمل بيت جبرين . واجتاز يشوع من لبنه الى لاكيش (خربة ام الاكيس طالع عد ٢١٧) فافتتحوها في اليوم الثاني وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة وصعد هورام ملك جازر لنصرة لاكيش فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبقَ منهم باقياً . اما جازر ففي اعلام الاماكن الكتابية انها تسمى اليوم تل جازر وهي بعيدة اربعة اميال نحو الغرب من عمواص المسماة قديماً نيكوبوليس واجتازوا من لاكيش الى عجلون تسمى الآن ايضاً بهذا الاسم (طالع عد ٢١٧) وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم وضربوا اهلها بحد السيف وصعدوا من عجلون الى حبرون (الخليل) وحاربوها وافتتحوها وضربوها بحد السيف هي وملكها ومدنها وكل نفس فيها وعادوا

الى دبير (وسماها الكتاب في محل اخر قرية سفر اي قرية الاسفار او الكتب ورجح كاران انها كانت في المحل المسمى الآن خربة سراسير وخربة دويربان في ناحية الخليل وذكر قول العالم وان دي فلد انها كانت في محل خربة الدلبة التي تبعد مسافة ساعتين عن الخليل نحو الجنوب الغربي وضعّف هذا القول) وحاربوها واخذوها هي وملكها وسائر مدنها وضربوهم بحد السيف وضرب يشوع جميع ارض الجبل اي جبل اليهودية والجنوب والسهل والسفوح وقتل ملوكها واستحوذ على جنوب فلسطين كله ولم يبقَ من اهله الا من تحصنوا في الحصون ولم يفتتح اورشليم حينئذٍ وان قتل ملكها

﴿ عد ٢٢٠ ﴾

اعتصاب ملوك شمال فلسطين على بني اسرائيل وتشتيت يشوع شملهم

اخذ الرعب من ملوك الكنعانيين الشماليين كل مأخذ وراعهم ان يسطو يشوع عليهم كما سطا على ملوك الجنوب فعمدوا الى مهاجمة بني اسرائيل قبل دنوهم اليهم واعتصبوا يدًا واحدة وكان مقدام هذه العصبة يابين ملك حاصور فقد جاء في سفر يشوع (فصل ١١ عد ١) ولما سمع يابين ملك حاصور ما فعله يشوع بملوك الجنوب ارسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون وملك اكشاف ليناصروه في محاربة بني اسرائيل اما حاصور مدينة رئيس العصبة فالذي في اعلام الاماكن الكتابية انه يرجح انها كانت في جبل حصيره في الجليل قريبة من قادس والذي اعتمده كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٦٤) مستندًا الى ايات عديدة ذكرت فيها حاصور والى اقوال ليوسيفوس ان هذه المدينة كانت على بحيرة الحولة عند طرفها الشمالي الغربي في المحل المسمى الآن تل الحرّاوي وجعلها روبينسون في خربة الخريبة ودي سولسي في خربة الخان

وكل هذه الاماكن قريبة من بحيرة الحولة . واما مادون فيرجح انها كانت في محل خربة مادين في غربي بحيرة طبرية . وشمرون سمونيه هي الان قرية صغيرة تبعد خمسة اميال عن الناصرة غرباً واكشاف كفر ياسيف الان هي قرية تبعد ستة اميال عن عكاء في الشمال الشرقي منها (عن اعلام الاماكن في اسماء هذه المدن الثلث) ورجح كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٢٦٩) ان موقع اكشاف كان في قرية كشاف على بعد كيلومترين من الطيبة في قضاء نابلس

لم يقتصر يابين على دعوة الملوك الانف ذكرهم لمظاهرته لان الكتاب قال (عد ٢) انه ارسل ايضاً الى الملوك الذين الى الشمال في الجبل وفي الغور جنوبي كنّروت وفي السهل وفي بقاع غور غرباً والى الكنعانيين شرقاً وغرباً والاموريين والحثيين واليبوسيين في الجبل والحويين تحت حرمون في ارض المصفاة ، المتبادر الى الفهم من قوله الى الشمال في الجبل ان المراد الملوك الذين كانوا في لبنان او في اطرافه من جهة مرج عيون وبلاد الشقيف فهي في الشمال من مملكة يابان واما كنّروت فقال فيها كاران (مجلد ١ في الجليل صفحة ٢١٠) انها كانت في المحل المسمى الان ابوشوشة في جانب بحيرة جناشر التي هي بحيرة طبرية وان اسم كنّروت في اللاتينية Cenereth جنرات او كنرات على الاصطلاح القديم ليس هو الا اسم كنروت في العبرانية وبهذا الاسم سميت بحيرة جاناشر نسبة الى المدينة القديمة التي كانت في جانب البحيرة وقال القديس ايرونيموس ان هيرودس ملك اليهودية جدّد هذه المدينة فدعاها طبرية باسم طيباريوس قيصر وقالوا انه اول من سماها به وجاء في التلمود الاورشليمي ان كنّروت المذكورة في سفر يشوع بن نون هي جاناسر وان اسمها مركب من جنا جنة وسار بمعنى ملك فتأويله جنة الملك او الجنة الملكية لخصب ارضيها

وقد مر في اعلام الحثيين ان سار بمعنى ملك. واما بقاع غور غربًا فيتبادر الى الفهم ان المراد به الجولان فهو في غربي بحيرة طبرية وشماليها. والمراد في الجبل بعد قوله اليابوسيين جبل اليهودية وحرمون جبل الشيخ واما ارض المصفاة فالذي في كتاب الاعلام الكتابية انه يظهر انها البقاع ويؤيده انه جاء بعد ذلك (عد ٨) ان بني اسرائيل ضربوا هولاء الملوك، وتعقبوهم الى صيدون (صيدا) الكبيرة وبقعة المصفاة شرقًا، فخرج هولاء الملوك في خلق كثير وبخيل ومراكب عديدة جدًّا ونزلوا جميعًا على مياه ميروم لمحاربة بني اسرائيل وامر الرب يشوع ان لا يرهبهم فخرج يشوع عليهم بجميع رجال الحرب وانقضوا عليهم بغتة عند مياه ميروم والمراد بها بحيرة الحولة على ما في الاعلام الكتابية وفي كتاب كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٤٥٠) ولكن جاء في معجم الكتاب لكلمت ان مياه ميروم هي في ناحية الكرمل قريبة من مجدُّو (اللجون الان) واسند قوله الى ان الملك يابين وحلفاءه لا يدعون يشوع يتوغل في بلادهم الى بحيرة الحولة فالاوجه ان يقطعوا عليه الطريق عند مضيق مجدو كما فعل ملوك سورية مرارًا بملوك مصر عند غزوهم بلادهم ومهما يكن من امر المكان فقد اسلم الرب يابين وحلفاءه وجيوشهم الى ايدي بني اسرائيل فضربوهم وتعقبوهم غربًا الى صيدا والى مياه سرفوت (وهي صرفند على ما في كتاب الاعلام وقيل انها بحيرة طبرية) وشرقًا الى بقعة المصفاة وهي البقاع كما مر حتى لم يبقَ منها باقٍ وعرقب يشوع خيلهم واحرق مراكبهم بالنار وانتتح حاصور مدينة رئيس العصبة واحرقها وقتل ملكها يابين واستولى على كل تلك المدن وابسل ملوكها بحد السيف وغنم بنو اسرائيل غنائم تلك المدن وقتلوا اهلها وانبسط حكم يشوع من الجبل الاملس الممتد جهة سعير وهو في بلاد الآدوميين الى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون وبعل جاد

هي بانياس القريبة من منبع الاردن على ما في كتاب الاعلام الكتابية

﴿ عد ٢٢١ ﴾

محاربة يشوع بني عناق وتدويخه بلادهم

عاد يشوع ظافراً غانماً من شمالي فلسطين الى جنوبيها فحارب بني عناق وقرضهم (يشوع فصل ١١ عد ٢١) وبنو عناق هم ولد عناق بن اربع وبه سميت الخليل في اقدم الاعصر قرية اربع ثم دعيت حبرون في ايام ابرهيم الخليل والان الخليل وجاء في سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٣) وفي سفر يشوع (فصل ١٥ عد ١٤) انه كان لعناق ثلثة بنين وهم شيشاي واحيمان وتلماي فكانوا اباء عشائر دُعيت بني عناق وكانوا جبابرة حتى قال بنو اسرائيل انهم كانوا في اعينهم كالجراد وكانت مواطنهم الخليل وغزة واشدود وغيرها في جنوبي فلسطين وقد قرضهم يشوع من حبرون (الخليل) ودبير (خربة سراسير طالع عد ٢١٩) وعناب هي المسماة الان ايضاً بهذا الاسم تبعد عن دبير ميلين ونصف غرباً على ما في كتاب اعلام الاماكن الكتابية وفي كتاب كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٦٥) وقد سماها خربة عناب الكبيرة. وطردهم يشوع ايضاً من سائر جبل يهوذا ولم يبقَ عناقي في ارض بني اسرائيل الا في غزة الباقية على اسمها وفي جت وهي الان تل الصافي بعيدة خمسة اميال عن بيت جبرين في الطريق المؤدية منها الى اللد على ما في اعلام الاماكن الكتابية او هي ذكرين في الطريق المذكورة واقرب من تل الصافي الى بيت جبرين على ما في كتاب كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٩) ثم في اشدود اسدود الان في ناحية المجدل من متصرفية القدس في شمالي عسقلان . وقد مر في (عد ٢١٩) ان يشوع حارب سكان حبرون ودبير وقتل ملكيهما كما في سفر يشوع (فصل ١٠ عد ٣٦ و ٣٨) ثم ذكر (فصل ١١) ما جاء هنا

فكأنه افتتح حبرون ودبير قبل محاربة يابين كما في الفصل العاشر ثم ذكر قرضه العناقيين منهما ومن باقي مدنهم في الفصل الحادي عشر او ذكر فتحهما استطرادًا مع باقي المدن التي افتتحها مع ان هذا الفتح لم يكن الا بعد انتصاره على يابين وحلفائه في الشمال . وكذا ولي بنو اسرائيل ارض فلسطين في مدة ست سنين او سبع واستفحل امرهم فيها ولكن بقي الكنعانيون في المدن البحرية وفي بعض المدن المحصنة وفي غزة وجت (ذكرين) واشدود وعسقلون وعقرون (عاقر الان) وهي المدن الخمس التي فرَّ اليها بنو عناق وتحصنوا فيها وقد حل فيها بعدًا الفلسطينيون فكانت مراكز اقطابهم واستمر كثير من الكنعانيين في املاك سبط افرائيم وفي الارض التي اعطيها نصف سبط منسا في عبر الاردن وفر كثير منهم الى المدن البحرية وتشتتوا جاليات في الافاق كما مر في مقالة الفونيقيين . وقد عدَّ يشوع (فصل ١٢) الملوك الذين قتلهم بنو اسرائيل فكانوا واحدًا وثلاثين ملكًا منهم سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان قتلهما موسى وباقيهم وهم تسعة وعشرون ملكًا قتلهم يشوع بن نون وقد مر في عد ٢١٢ ذكر ما كانت عليه حالة هولاء الملوك وان الآثار المصرية اثبتت تقسم فلسطين في تلك الاعصر الى ممالك صغيرة كهذه

عد ٢٢٢

في قسمة ارض فلسطين على بني اسرائيل

قد امر الرب يشوع ان يقسم ما ملكوه من البلاد على بني اسرائيل وان بقي قسم كبير من ارض موعدهم بيد اعدائهم في فلسطين وغيرها وكان موسى قسم في ايامه ما ملكوه في عبر الاردن على بني رآوبين وبني جاد ونصف سبط منسى وكان رجال هولاء تجندوا مع اخوانهم في حروبهم السالف ذكرها بل كانوا في مقدمة جيوشهم كما تعهدوا امام الرب وموسى حين رغبوا اليه

ان يعطيهم ارض عبر الاردن ميراثاً كما مر فاطلقهم يشوع بعد حروبه فعادوا الى ارضهم واهلهم اما نصيب سبط رأوبين فكان في شرقي البحر الميت وكان من مدنهم عروعير (عراعير الان) وميدبا (وتعرف اليوم ايضاً بهذا الاسم) وحشبون (حسبان الان) الى غيرها من المدن والسهول وكانت هذه البلاد مملكة سيحون ملك الاموريين وكانت قبله بلاد الموابيين وهي الان في ولاية البلقاء . وكان نصيب بني جاد في شمالي نصيب رأوبين ومن مدنه جلعاد وهي السلط ويعزير وهي بيت زرعه الان وربة او وبة عمون وهي عمان الان ودعيت في زمان اليونانيين فيلادلفيا ويمتد هذا النصيب على عدوة الاردن الذي هو تخم له الى طرف بحر كنارت وهو بحيرة طبرية وكانت هذه البلاد بلاد العمونيين وكان قد استحوذ سيحون على بعضها وعوج على بعضها الاخر . واما نصيب نصف سبط منسى فكان في شمالي نصيب جاد وهو جميع السهول الواقعة على عدوة الاردن الشرقية بين بحيرة طبرية جنوباً وبحيرة الحولة شمالاً حيث الجولان الان وكان من مدنهم ادرعي اذرعات الان وعشتاروت والراجح انها تل عشترة في الجولان وهذه البلاد كانت مملكة عوج ملك باشان فهذه البلاد هي التي قسمها موسى على سبطي رأوبين وجاد ونصف سبط منسى وكلها في عبر الاردن شرقاً

وبعد ان استراح يشوع من حروبه اجتمع هو واليعازر رئيس الاحبار وروساء الاسباط وقسموا الارض التي ملكوها في غربي الاردن بالقرعة وبعد ان افرزوا انصبة سبطي يهوذا وافرائيم ونصف سبط منسى وبقي سبعة الاسباط متقاعدين عن امتلاك ارضهم فامرهم يشوع ان ياخذوا من كل سبط ثلاثة رجال يسيرون في الارض ويخططونها ويقسمونها سبعة اقسام وان يعودوا اليه فيلقي القرعة امام الرب فيمتلك كل منهم ما اصابه فقعلوا فكان نصيب كل من

الاسباط بعد هذه القرعة كما يأتي . فكانت تخوم سبط يهودا شرقاً البحر الميت وغرباً نصيب شمعون وجنوباً البرية وتخوم مصر وشمالاً نصيب سبط بنيامين في اورشليم وما جاورها ونصيب سبط دان فكان في هذا السهم ناحية الخليل وما في جوارها . واصاب سبط شمعون ما يتاخمه غرباً البحر المتوسط وشرقاً نصيب بني يهوذا وجنوباً تخوم مصر وشمالاً نصيب بني يهوذا وما كان باقياً في يد بني عناق غزة وما جاورها ومن مدنه بئر سبع وتل الشريعة . واصاب سبط بنيامين اورشليم وما جاورها شرقاً الى نهر الاردن وغرباً الى قرية يعريم (ابي غوش الان) وتخوم سبط دان وجنوباً نصيب سبط يهوذا وشمالاً نصيب سبط افرائيم ومن مدنه اورشليم واريحا وجبعة . واصاب سبط دان ما تخومه غرباً البحر المتوسط وشرقاً املاك سبط بنيامين وشمالاً نصيب بني افرائيم وجنوباً نصيب بني يهوذا فكان نصيا بنيامين ودان متحاذيين شرقياً وغربياً الاول في الجبل وفيه اورشليم الى الاردن والثاني في غربيه وفيه يافا واللد وصرعة . واصاب سبط افرائيم ما يحده شرقاً نهر الاردن من تخم بنيامين الى تخم منسى وغرباً البحر المتوسط على تخم دان وجنوباً املاك دان وبنيامين وشمالاً املاك نصف سبط منسى وفي هذا النصيب نابلس الان وسبسطة وهي السامرة وكفر سابا الى غيرها . واصاب نصف سبط منسى ما يتاخمه شرقاً نهر الاردن بين تخمي افرائيم ويساكر وغرباً البحر المتوسط الى جبل الكرمل وجنوباً املاك بني افرائيم وشمالاً نصيا زابلون ويساكر ومن مدنه قيسارية فلسطين وعتلت ودورا وهي الطنطورة الان . واصاب سبط يساكر ما يحده شرقاً نهر الاردن بين تخمي منسى وزابلون وغرباً املاك زابلون ومنسى وشمالاً نصيب منسى وجنوباً نصيب منسى وجنوباً نصيب زابلون وكان في هذا النصيب جانب كبير من مرج بن عامر وناحية جنين وجلبون وهي جلبوع القديمة ونورس ونين وهي

نائين القديمة . واصاب سبط زابلون ما يحده شرقاً نهر الاردن وبحيرة طبرية وغرباً البحر المتوسط في جهة حيفا وشمالاً نصيب سبط نفتالي واشير وجنوباً املاك سبطي يساكر ومنسى . ومن مدن هذا السهم طبرية والناصرة وما بينهما وفي جوارهما من المدن . واصاب سبط اشير ما يحده غرباً البحر المتوسط في جهة صيدا وصور وعكا وشرقاً سهم سبط نفتالي وشمالاً بلاد الشقيف واقليم الشومر وجنوباً سهم زابلون وكان في سهم اشير الجانب الاكبر من بلاد بشاره الان وبعض الشومر والشقيف وبعض سنجق عكا . واصاب سبط نفتالي ما يحاذي سبط اشير شرقاً فكان لاشير البلاد الساحلية ولنفتالي البلاد الجبلية فكانت حدود نصيبه سهم اشير غرباً ونهر الاردن من بحيرة طبرية الى بحيرة الحولة شرقاً وناحية مرج عيون وبعض الشقيف شمالاً وسهم زابلون جنوباً ومن مدنه صفد وقدس وهي قادس القديمة والجش والجرمق وناحية الشاغور وسوف نعلق في آخر هذا الجلد خريطة سورية وفي جانبها خريطة هذه الاسهم ان شاء الله ولم يعطَ بنو لاوي سهماً معيناً بل اعطوا ثمانياً واربعين مدينة او قرية مشتتة في انصبة اسباط اسرائيل ليقيموا بخدمة الرب بينهم ومنها ست مدن للملجأ حتى يهرب اليها كل قاتل نفساً سهواً بغير عمد وكانت هذه المدن الست ثلث في عبر الاردن وهي باصر (بصر الحريري) في سبط رآوبين وراموت جلعاد (السلط) في سبط جاد . وجولان في باشان في سبط منسى (طالع عد ٢٠٩) وثلث في غربي الاردن وهي قادش في الجليل في نصيب نفتالي في غربي بحيرة الحولة على ما في اعلام الاماكن كما مر آنفاً ثم شكيم في جبل افرائيم وهي نابلس الان ثم حبرون في جبل يهوذا وهي الخليل وقد تقدم كالب بن يوفنا الى يشوع راغباً في ان يعطي جبل حبرون كما وعده موسى بعد عوده من تجسس ارض الموعد فأعطيه فطرد بني عناق من هنالك وصعد الى دبير

(سراسير) ووعد من يأخذها ان يعطيه ابنته عكسة زوجةً فافتتحها ابن اخيه فانجز وعده له (يشوع فصل ١٥) على ان ما اعطيه كالب انما هو صحراء حبرون وقراها واما المدينة فاعطيها بنو هرون كما هو مصرّح في سفر يشوع (فصل ٢١ عد ١٢) ووقع تخم بني دان الذي كان في جهة يافا ضيقاً عليهم فصعدوا وحاربوا لاشم وضربوا اهلها بحد السيف وسكن بعضهم فيها وسموها لاشم دان باسم دان ابيهم وتسمى لايش ودان وموقعها في محل تل القاضي حيث ينابيع الاردن تبعد ميلين غرباً عن بانياس (كتاب اعلام الاماكن الكتابية وكاران مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٣٨)

وبعد الفراغ من قسمة الارض اعطى بنو اسرائيل يشوع بامر الرب المدينة التي طلبها وهي ثمنة سارح في جبل افرائيم فبنى المدينة واقام فيها بين بني افرائيم لانه من سبطهم (يشوع فصل ١٩) وثمنة سارح هي المحل المعروف الان بخربة تبنة في جبال افرائيم تبعد نحو ساعتين ونصف نحو الشمال الغربي من جفنة وسنجيء على ذكر هذا المحل عند الكلام في مدفن يشوع

﴿ عد ٢٢٣ ﴾

في نصب خباء المحضر في شيلو

جاء في سفر يشوع (فصل ١٨ عد ١) « والتأمت كل جماعة بني اسرائيل في شيلو ونصبوا هناك خباء المحضر واخضعت الارض بين ايديهم » وشيلو هذه تسمى الان خربة سيلون وقال اوسابيوس انها بعيدة اثني عشر ميلاً عن نابلس جنوباً وقال القديس ايرونيموس انها تبعد عنها عشرة اميال فقط ورجح كاران قول اوسابيوس . وهي في شمال بيت ايل (بيت اين) وفي شرقي الطريق المؤدي من بيت اين الى نابلس (كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٤) وقال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة

١٨٩) ان روبينسون الجوالة الامركي هو اول من اهتدى الى موقعها سنة ١٨٣٨ وان تعيين موقعها في سيلون لا مرية فيه . فهناك اقيم خبآء المحضر ووضع فيه تابوت العهد واستمر ثمة الى ان اخذه الفلسطينيون في زمان عالي الكاهن كما سترى . وقال علماء اليهود ان تابوت العهد بقي في شيلو ٣٦٩ سنة فكان هناك المركز الديني لبني اسرائيل كما كانت اورشليم بعدًا ولما بنى بنو رآوبين وجاد ونصف سبط منسى مذبحًا للرب في عبر الاردن قلق منهم بنو اسرائيل وهمّوا بقتالهم ثم اكتفوا بان يرسلوا اليهم فنحاس بن اليعازر الكاهن ومعه عشرة روساء لينذروهم بالانكفاف عن هذه المعصية فاذعنوا واعتذروا بانهم لم يقدموا على ذلك الا ليكون لهم مذبح للرب كاخوانهم في غربي الاردن (يشوع ف ٢٢) وفي سيلون الان اطلال على اكمة يستدل منها انه كان هناك خبآء المحضر حتى حملت رؤية هذه الاطلال اللجنة الانكليزية التي تفحصت عن اثار فلسطين سنة ١٨٧٨ على القطع بانه هناك كان بيت الرب حقبة طويلة اذ بنوا اسافله بالحجارة وظللوا اعاليه بالخبآء (كوندر في كتابه في اعمال هذه اللجنة مجلد ١ صفحة ٨٣) وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور انفًا) بعد ان روى ما مر ان كل من زار هذه الاماكن كما زارها هو سنة ١٨٨٨ قطع ولا ريب بانه هناك كان خبآء المحضر لا سيما ان عند سفح هذه الاكمة سهلاً فسيحاً بيضاوي الشكل يتيسر للشعب كله ان يرى منه خبآء الرب

﴿ عد ٢٢٤ ﴾

وفاة يشوع بن نون ومدفنه

قد شاخ يشوع وطعن في السن فاستدعى اليه جميع بني اسرائيل وشيوخهم وروساءهم وقضاتهم وعرفاءهم وذكّرهم بما صنع الرب الى ابائهم واليهم وحرصهم ليحفظوا كل ما كتب في توراة موسى ولا يعدلوا عنه يمنة ولا يسرة ويتنكبوا

الاختلاط مع الامم ويعتزلوا مصاهرتهم وقال ان عملتم بذلك هزَّم الواحد منكم الفاً وان اختلطتم ببقية هولاء الامم كانوا لكم وهقاً ومعثرة وسوطاً على جنوبكم وشوكاً في عيونكم فاجاب الشعب وقالوا حاشَ لنا ان نترك الرب ونعبد الهة غريبة واذعنوا لما اوصاهم به فقطع يشوع عهدًا للشعب في ذلك اليوم وكتب هذا الكلام في سفر توراة الله واخذ حجرًا كبيرًا واقامه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب وقال هذا الحجر يكون شاهدًا عليكم لئلا تجحدوا الهكم وصرف الشعب كل واحد الى ملكه . ومات يشوع بعد ذلك وهو ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في ارض ميراثه في ثمنة سارح التي في جبل افرائيم الى شمال جبل جاعش (يشوع فصل ٢٣ و ٢٤) ولا اشكال في ان الايات الاخيرة من سفر يشوع المنبئة بموته ودفنه هي لكاتب قديم غيره . وان صدق قول يوسيفوس الذي رويناه في عد ٢١٢ ان يشوع كان عمره يوم ولي قيادة اسرائيل خمسًا وثمانين سنة وقد مات وعمره مئة وعشر سنين فتكون مدة قيادته خمسًا وعشرين سنة وعلى هذا اكثر العلماء . وان ظهر من جداول كامت المعلقة في فاتحة معجم الكتاب ان مدة قيادته لم تكن الا السبع السنين التي افتتح فيها فلسطين

قد مرَّ انفًا ان ثمنة سارح كان موقعها في المحل المسمى الان تبنة او تبنى في جنوبي نابلس وقد كشف فيها العالم كاران عن مدفن يشوع بن نون في ٣١ آب سنة ١٨٦٣ ثم شخص الى هذا المحل ثانية سنة ١٨٧٠ فازداد تيقنًا بذلك وتابعه على رأيه العالم دي سولسي الذي تعهد هذا المحل بعد اشهر من زيارة كاران له سنة ١٨٦٣ ثم الاب ريشار الذي جال في فلسطين في شهري ايار وحزيران سنة ١٨٧٠ والذي حمل هولاء جميعًا على القطع بان قبر يشوع بن نون هنالك انما هو الحجج الاتية . اولاً ان الكتاب صرّح بان يشوع دفن في

ثمنة سارح كما رونا عن سفر يشوع (فصل ٢٤ عد ٣٠) وجاء في سفر القضاة (فصل ٢ عد ٩) انه دفن « في ثمنة حارس في جبل افرائيم الى شمال جبل جاعش » وقد حققت التقليدات القديمة وظروف المحل وقرائن الحال ان ثمنة القديمة كانت في محل تبنة الآن ويؤيد ذلك تقارب الحروف في اسمي ثمنة وتبنة وابدال الميم بالباء مستفاض في اعلام كثيرة وقلب الحروف كما في سارح وحارس ليس بنادر ايضاً . ثانياً ان كاران كشف ثمة عن مقبرة فيها ثمانية مدافن يمتاز احدها عن باقيها بزيادة اتقانه وباقامة رواق امامه وكل ما فيه دالٌّ على قدمه وفي الرواق ثقوب معدة لوضع المصابيح فيها وقت حفلة او زيارة حتى يقضي كل ناظر دون تلوم ان هناك مدفن رجل كريم كبير في قومه وان المدافن التي في جانبه انما هي مدافن بعض اسرته وقد انبأنا الكتاب انه هناك اقام يشوع ومات ودفن فاذًا هذا المدفن مدفنه ويؤيده ان في جنوبه جبلاً قضى العلماء المشار اليهم انه الجبل الذي سماه الكتاب جاعش وقال ان يشوع دفن الى شماله . ثالثًا ان الاب ريشار المار ذكره وجد في محلة الجلجال كثيرًا من السكاكين الصوانية التي ختن بها يشوع بني اسرائيل هناك (طالع عد ٢١٤) ثم مضى الى مدفن تبنة بعد ان اعلمه كاران امره فبحث ووجد كثيرًا من هذه السكاكين الصوانية في المدفن وفي ما جاوره وفي النسخة السبعينية كلام خلا عنه النص العبراني والترجمة اللاتينية العامية وهو (بعد قوله فبنى المدينة واقام فيها) « واخذ سكاكين الحجر التي ختن بها بنو اسرائيل الذين كانوا ولدوا في مدة عبورهم البرية ووضعها في ثمنة سارح » وزادت عند كلامها في دفنه « ووضعوا هناك في القبر حيث دفنوه سكاكين الحجر التي ختن بها بني اسرائيل في الجلجال عند ما اقتادهم من مصر واتموا بذلك وصية الرب وهذه السكاكين باقية هناك الى اليوم » وقد كتب الاب ريشار من بيروت في ٢٠

حزيران سنة ١٨٧٠ رسالة الى احد اصدقائه اذاعتها المجلة العلمية المسماة les Mondes (العوالم) افصح فيها بانه وجد بعض هذه السكاكين في الجلجال ثم في مدفن يشوع وجواره وحقق ان هناك قبر يشوع بلا مرية . ثم شخص الاب ريشار في ٥ آب سنة ١٨٧٢ الى اديمبورك فخطب في مجلس المجمع العلمي الذي كان حينئذٍ ملتئماً في هذه المدينة وارى المجتمعين السكاكين الصوانية التي لقيها في الجلجال وفي مدفن يشوع وغيره مثبتاً ان ذلك دليل صرّاح على ان ذلك المدفن انما هو مدفن يشوع بن نون وقال تزيد ذلك بياناً شهادة الترجمة السبعينية بان سكاكين الحجر التي صُنعت في الجلجال وضع قسم منها في مدفن يشوع وقد وجدناه الان وها هو . ثم اتى الاب ريشار في اخر الشهر المذكور الى باريس وعرض هذه السكاكين على منظر جمعية العلوم فيها فكان لذلك احسن وقع في اذهان علمائها . وقد اختتم العالم كاران كلامه في هذا المدفن بقوله (مجلد ٢ في السامرة صفحة ١٠٤) « لا ارى بعد وجدان هذه السكاكين العديدة سبيلاً الى الامتراء في ان هناك حقاً قبر يشوع بن نون وقد تابع الاب فيكورو العالم كاران على رأيه ذاكراً اجل كلامه (مجلد ٣ في الكتاب والاكتشافات الحديثة صفحة ١٩١) والرسم المعلق هنا يريك هيئة هذا المدفن الان

216 (5)

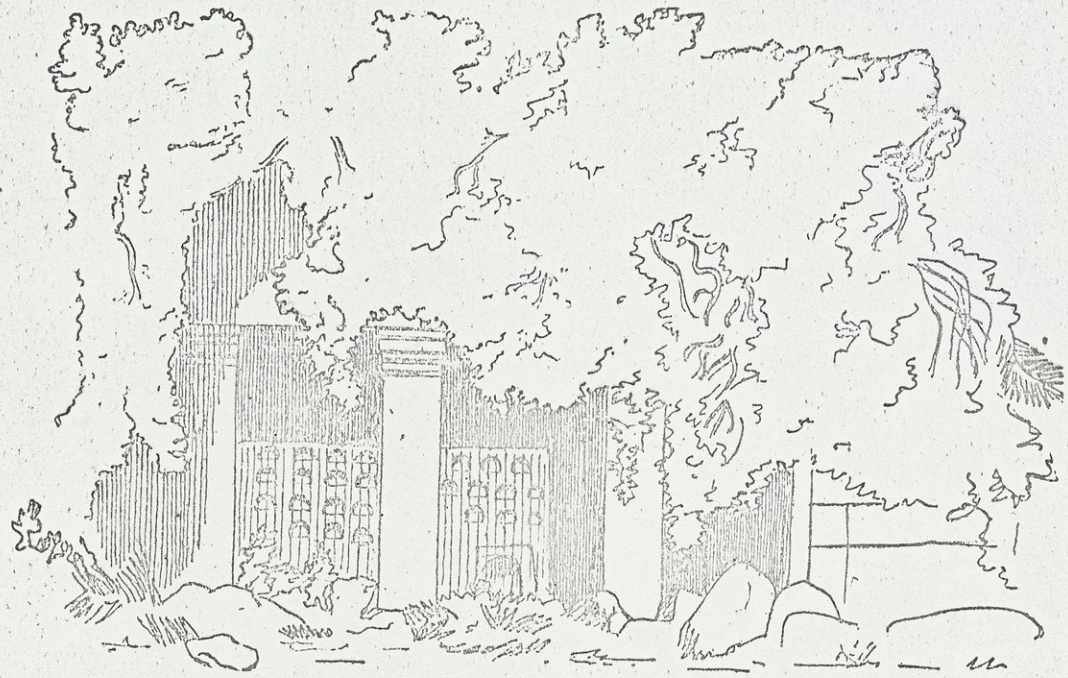

صورة مدفن يشوع بن نون في تبنة صفحة ٢١٦

الفصل العاشر

(في قضاة بني اسرائيل بعد يشوع)

عد ٢٢٥

في سفر القضاة

لما كان كلامنا في هذا الفصل على ما تضمنه سفر القضاة تحتم علينا ان نبين متى دُوّن هذا السفر ومن كتبه وخلاصة ما حواه . ان الظاهر من اختتامه بموت شمشون انه لم يكتب قبل انتصار صموئيل على اعداء شعب الله كما في سفر الملوك الاول (ف ٧) ثم قد ورد في سفر القضاة مرات هذا القول « ولم يكن في تلك الايام ملك لاسرائيل » وهذا مشعر بان هذا السفر كتب بعد ارتقاء شاول الى منصة الملك في اسرائيل وقد صُرّح فيه (ف ١ ع ٢١) ان اليابوسيين كانوا مقيمين في اورشليم مع بني بنيامين الى هذا اليوم وهذا دال على ان هذا السفر كتب قبل عهد داود اذ جاء في سفر الملوك الثاني (ف ٥ عد ٦ و ٧) ان داود هو الذي طرد اليبوسيين من اورشليم واقام سدّة ملكه فيها فالحاصل من كل ذلك ان هذا السفر كتب بعد موت شمشون وقبل ارتقاء داود منصة الملك وقد عزاه علماء التلمود الى صموئيل وهذا لا يبعد عن الصواب وينطبق خير انطباق على ما ذكرناه انفاً وان لم يمكن القطع به مطلقاً ولم يرتب احد من العلماء القدماء في قدم سفر القضاة ولم يأبَ العقليون انفسهم التسليم بانه عريق في القدم بل اثبتوا انه اول اسفار العهد القديم ونزّلوه منزلة سفر التكوين عندنا وان نددوا ببعض ما حواه كما سترى في كلامنا الاتي

واما ما حواه هذا السفر فمقدمة ابان فيها الكاتب حالة بني اسرائيل بعد

وفاة يشوع بن نون واهتمام بعضهم بمحاربة من بقي بينهم من الكنعانيين تكملة لامتلاكهم ارض موعدهم وتقاعد بعضهم عن طرد اعدائهم وضربهم الجزية على من دان لهم منهم ثم تقلبهم في امر دينهم فاذا استراحوا بطروا ولووا عن الرب الههم الى الهة الامم وعبدوها واذا ضايقهم اعداؤهم تابوا الى الله فاقام لهم مخلصاً سموه قاضياً او حاكماً فيهم ولم يكن لهم مركز لانضمام كلمتهم بل كانوا كعشائر البدو في ايامنا وهذه المقدمة ينطوي عليها الفصلان الاول والثاني ثم اخذ الكاتب من الفصل الثالث الى الفصل السابع عشر يروي لنا اخبار هولاء القضاة وما كان من اعمالهم فذكر منهم اثني عشر او ثلثة عشر قاضياً اذا حسبنا بينهم ايملك الذي سينجلي لك ما كان من امره وهم عثنيئيل واهود وشمجر ودابورة مع باراق وجدعون وايملك وتولع ويائر ويفتاح وابصان وايلون وعبدون وشمشون وقص كاتب السفر اخبار بعضهم واجتزأ بذكر اسماء بعضهم ومدة ولايتهم . ثم علّق على سفره في الفصلين السابع عشر والثامن عشر ذيلاً ذكر فيه خبر ميخا الذي صنع صنماً مسبوكاً وسجد له واقام له كاهناً ثم اخذه منه بنو دان عند استيلائهم على لايش (دان وهي الان تل القاضي) ونصبوه هناك وعبدوه وروى في الفصول الثلاثة الاخيرة خبر الرجل اللاوي الذي مر في جبع بنيامين مع امرأته فاماتها اهل هذه المدينة باعمالهم الفاحشة ومحاربة بني اسرائيل لبني بنيامين واهلاك السواد الاعظم منهم فهذه خلاصة هذا السفر وسترى تفصيلها

﴿ عد ٢٢٦ ﴾

في مدة قضاة بني اسرائيل

ان في تعيين مدة هولاء القضاة عقبات ومشاكل يعتاص الاهتداء الى وجه حلها لانه اذا حُسبت السنون التي ذكرها الكتاب لكل منهم ومدة

مضايقتهم منذ تعبدهم لكوشان رشعتائيم ملك ارام النهرين الى وفاة شمشون كان مجموع هذه السنين اربع مئة وعشر سنين واذا أُضيف اليها مدة ولاية عالي وهي اربعون سنة على ما في سفر الملوك الاول (فصل ٤ عد ١٨) وأُهمل حسبان مدة صموئيل كان مجموع سني هولاء القضاة اربع مئة وخمسين سنة على اننا نرى في سفر الملوك الثالث (فصل ٦ عد ١) ان سليمان شرع ببناء الهيكل في السنة الاربع مئة والثمانين لخروج بني اسرائيل من مصر ويلزم ان يضاف الى سني القضاة مدة ملك شاول وهي اربعون سنة ومدة ملك داود وهي اربعون سنة ايضاً ومدة اربع سنين من ملك سليمان فيكون مجموع السنين من ولاية القضاة الى بناء الهيكل خمس مئة واربع وثلاثين سنة ويلزم ان يضاف الى هذا العدد مدة اقامة بني اسرائيل في البرية وهي اربعون سنة ومدة ولاية يشوع وهي خمس وعشرون سنة كما مرّ فيكون المجموع خمس مئة وتسع وتسعين سنة وهذا مخالف لما في سفر الملوك ولذلك توفرت الاقوال وتضاربت واصحّها ان هولاء القضاة كان احياناً اثنان او ثلاثة منهم في وقت واحد وقد جاء في سفر القضاة نفسه (فصل ١١ عد ٢٦) التصريح بانه انقضى على بني اسرائيل منذ بلوغهم شرقي الاردن الى زمان يفتاح ثلاث مئة سنة وعليه وضع الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٤٩) لتوفيق هذا الخلاف الجدول الاتي

سنة	
٤٠	مدة اقامة بني اسرائيل في البرية
٣٠٠	من ولاية يشوع الى يفتاح
٦	يفتاح
٧	ابصان
١٠	ايلون

سنـــة

٨ عبدون

٢٥ من عبدون الى ارتقاء شاول عرش الملك

٤٠ شاول

٤٠ داود

٤ سليمان

٤٨٠ المجموع

والذي اراه بحامد فكرتي على سبيل استخراج العدد غير المعلوم من المعلوم ان نراعي عدد السنين المنصوص عليه ولا يحتمل اللبس لنستخرج منه مدة سني القضاة الحاصل الاشكال فيها من قبيل ان كان بعضهم مع غيره في وقت واحد او كان احدهم في شرقي الاردن والاخر في غربيه فاليك الجدول الاتي

سنـــة

٤٨٠ المدة من الخروج الى بناء الهيكل (ملوك ٣ ف ٦ ع ١)

٤٠ مدة اقامة بني اسرائيل في البرية كما في آيات عديدة

٢٥ » قيادة يشوع (يوسيفوس ك ٥ من تاريخ اليهود فصل ١)

٤٠ » ملك شاول (اعمال الرسل فصل ١٣ عد ٢١)

٤٠ » ملك داود (ملوك ٢ فصل ٥ عد ٤)

٤ من مدة ملك سليمان (ملوك ٣ فصل ٦ عد ١)

٣٣١ فتكون مدة القضاة

٤٨٠

ويرجح ان ابصان وايلون وعبدون كانوا يلون شرقي الاردن في مدة ولاية

عالي وصموئيل وسطو شمشون في غربيه طالع جدولاً اخر سنثبته عد ٣٨١. قال فرنسيس لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢٠٨) ما ملخصه لا يطمعن احد بانه يستطيع ان يعين بالدقة تاريخ الاحداث وسني كلٍّ من القضاة التي جاء ذكرها في سفر القضاة فمن جدّ من العلماء في هذا التعيين اضاع تعبه ووقته وحالت مشاكل دون مرامه ففي اسفار الملوك اعداد تخالف اعداد السنين في تعيين مدة القضاة ويوسيفوس المؤرخ اليهودي والراوي الامين لتقليد امته لم يثبت على قول في تعيين مدة القضاة بل قال فيه ثلاثة اقوال يخالف احدها الاخر على ان تقدم علم التاريخ بما ظهر من الاثار المصرية يبيحنا ان نعلل النفس بأمل ان يتهيأ لنا في وقت قريب تعيين زمان مؤكد للخروج بمعارضة تواريخ مصر بما جاء في الكتاب ويضطر كل عالم الان ان يقر بانه يلزم ان يطرح من عداد السنين التي انقضت بين خروج بني اسرائيل من مصر واقامة ملك فيهم اكثر مما جاء في كل التقاويم التي اذيعت حتى الان

﴿ عد ٢٢٧ ﴾

في محاربة بني يهوذا وشمعون وبني يوسف بعض الكنعانيين

جاء في سفر القضاة (ف ١) ان بني اسرائيل سألوا الرب بعد وفاة يشوع قائلين من منا يصعد في مقدمتنا لمحاربة الكنعانيين فقال الرب يهوذا يصعد لاني الى يده قد اسلمت الارض لان الله اراد ان يكون ملوك اسرائيل من هذا السبط وان يكون منه المخلص واتفق بنو يهوذا وبنو شمعون على مقاتلة الكنعانيين الذين في ارض نصيبهم وقصدوا اولاً بازق التي روى لانرمان انه لا يمكن تعيين موقعها ولكن يلزم ان يكون بين اورشليم والاردن على انه جاء في كتاب اعلام الاماكن الكتابية انه يحتمل ان يكون في موضع خربة بزقة على بعد ستة اميال في الجنوب الشرقي من اللد وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود

ك ٥ ف ٢) ان الكنعانيين أملوا الانتصار على بني اسرائيل بعد وفاة يشوع فجمعوا عسكرًا غفيرًا في جانب مدينة بازق وامَّروا عليه ملكها المسمى ادوناي بازق اي سيد بازق او واليها لان تأويل ادوناي بالعبرانية السيد او المتسلط فاستظهر عليهم بنو اسرائيل وقتلوا منهم عشرة الاف رجل وشتتوا شمل الباقين وادركوا ادوناي بازق وقطعوا اباهيم يديه ورجليه وعلى رواية يوسيفوس انهم قطعوا يديه ورجليه فكان ما جرى عليه نقمةً من الله فقد اعترف انه صنع كذلك مع سبعين ملكًا كانوا يلتقطون الخبز تحت مائدته فعاقبه الله كما جنى واتوا به الى معسكرهم الحال قريبًا من اورشليم فمات هناك

وحارب بنو يهوذا اورشليم وافتتحوها ولكن روى يوسيفوس انهم افتتحوا المدينة السفلى وقتلوا اهلها واحرقوها بالنار وكانت المدينة العليا محصنةً فلم يفتتحوها لكن النص صريح بانهم افتتحوا اورشليم فيطلق على كلها ولذلك قال بعضهم انهم افتتحوها فلم يتمكنوا من حفظها بل عاد اليبوسيون اليها او لم يطردوهم منها فلبثوا فيها مع بني بنيامين كما جاء في عد ٢١ من الفصل الاول نفسه من سفر القضاة ومهما يكن فقد استمر اليبوسيون في اورشليم الى ان افتتحها داود

وحارب بنو يهوذا حبرون ايضًا (الخليل) فاستولوا عليها وضربوا بني عناق فيها وسلموها الى كالب ابن يوفنا كما وعده موسى وكما طلب هو من يشوع وقد مرَّ (في عد ٢٢٢) ان كالب بن يوفنا هو الذي افتتح حبرون ودبير ولا بد ان كان مع آله بني يهوذا فذكر سفر القضاة هنا لهذا الفتح اعادة لما جاء ذكره في سفر يشوع كما يتبين من ان قرائن الخبر في السفرين واحدة . ثم انطلق بنو يهوذا مع بني شمعون الى صفات فاخذوها وضربوا اهلها بالسيف وسموها حرمة اي المحرمة ولا يمكن القطع بموقع صفات فكتاب اعلام

الاماكن لم يعين موقعها بل اورد فيه عدة احتمالات وكاران لم يذكرها بالخصوص بل ذكر شيئاً عند كلامه في مريشه في وادي صفاته الذي رأى بعضهم ان صفات كانت على جانبه فقال ما ملخصه ان مريشة هي خربة مراش الان وقد جاء ذكرها مع وادي صفاته في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١٤ عد ٩) حيث قيل « فخرج عليهم اي على بني يهوذا زارح الكوشي ... فخرج آسا عليه وتصافا للحرب في وادي صفاته مريشة » وقال ان مريشة خربة مراش تبعد ميلين عن بيت جبرين نحو الجنوب وان روبينسيون جنح الى جعل موقع صفاته في محل تل الصافي الان التي تبعد مسافة نحو ثلث ساعات عن خربة مراش فان صح ان صفات كانت على جانب وادي صفاته فيكون موقعها في ناحية بيت جبرين ثم افتتح بنو يهوذا غزة وتخومها واشقلون (عسقلان) وتخومها وعقرون (عاقر) وتخومها وسائر مدن الجبل واما مدن الساحل فلم يفتتحوها اذ كان لاهلها مركبات من حديد تحول دون الدنو منها

ثم صعد بنو يوسف اي سبط افرائيم ونصف سبط منسى او سبط افرائيم وحده على ما روى يوسيفوس فحاصروا بيت ايل (بيت اين الان) الى ان دلهم رجل خارج منها على مدخل اليها فافتتحوها وضربوا اهلها بالسيف واستبقوا الرجل وعشيرته وكان اسمها قبلاً لوز فانطلق ذلك الرجل الى ارض الحثيين وبنى مدينة وسماها لوز (طالع ما ذكرناه في عد ٥٦ في اسم هذه المدينة وموقعها) واما باقي الاسباط فلم تهزهم الحمية او لم تساعدهم القوة على طرد الكنعانيين كما اوصاهم موسى ويشوع فاستمروا في المدن الساحلية كعكاء وصيداء وغيرها وفي بعض المدن الجبلية وحيث تقوى بنو اسرائيل ضربوا عليهم جزية وحيث ضعفوا سالموهم وتركوهم يسكنون بين اظهرهم وحققت لنا الآثار المصرية بقاء الكنعانيين في السواحل اذ ذكرت هذه الآثار غزوة

رعميس الثالث ومرور جنوده في هذه السواحل ولم تأتِ بكلمة في بني اسرائيل ولا جاءت في سفر القضاة كلمة في مرور عساكر مصريين في بلاد بني اسرائيل او مضايقتها لهم

﴿ عد ٢٢٨ ﴾

تسلط كوشان رشعتائيم ملك ارام على بني اسرائيل وتخليص عتنيئيل لهم

لم يكتفِ بنو اسرائيل بمسالمة بعض الكنعانيين بل اتخذوا بناتهم زوجات لهم واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم البعليم (اي الابعال) والعشتاروت فاشتد غضب الرب عليهم ولما كان الكنعانيون لم تعاودهم القوة للتسلط على بني اسرائيل باعهم الرب الى يد كوشان رشعتائيم ملك ارام النهرين فتعبدوا له ثماني سنين وسمى يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٥ فصل ٣) هذا الملك « كوزرتا ملك الاشوريين » وقال رولينسون انه يحتمل ان يكون اشوريش عليم حفيد اشور ديان وابو تجلت فلاصر الاول الذي قال فيه « انه الملك القدير وغازي البلاد الاجنبية » وتابعه سايس (في كتابه معارضة تاريخ اشور وبابل) ولكن ندد فيكورو بقولهما اذ لم يكن لهما فيه حجة تؤيده فان لم يكن كوشان معلوماً بشخصه فمعلوم انه كان من بلاد ما بين النهرين لتصريح الكتاب بانه ملك ارام النهرين ولا عبرة لزعم كراتس انه ملك ادوم وقد تصحفت ادوم بارام للمقاربة في العبرانية بين صورتي الحرفين المقابلين الدال والراء كما هما في لغتنا ايضاً فكوشان غشى فلسطين بعساكره واخضع بني اسرائيل لسلطته وكانوا يدفعون اليه جزيتهم كل سنة يحملونها الى مقره فيظهر انهم تقاعدوا عن حملها اليه او لاح له ما يدل على عصيانهم فزحف اليهم بجنوده ينوي التنكيل بهم فصرخ بنو اسرائيل الى الرب فاقام لهم مخلصاً وهو عتنيئيل

بن قناز اخي كالب الاصغر وكان مزوجًا بعكسه ابنة عمه كالب وعده بها يوم حصار قرية سفر فكان هو اول من افتتحها كما مر عد ٢٢٢ فعتنيئيل حضَّ اخوانه بني اسرائيل على التوبة الى الله مذكرًا لهم بآياته يوم كانوا يتقونه واياه وحده يعبدون فاذعنوا لكلامه وامَّروه عليهم فجمع عسكرًا من بني اسرائيل وخرج لمحاربة كوشان فاسلمه الرب الى يده واستظهر على جنوده وشتت شملهم ولم ينبئنا الكتاب اين كانت تلك الحرب ولم يطرفنا بشيء من التفصيل ولكن ظهر من كلامه ان الضربة كانت قاضية لذكره ان بني اسرائيل استراحوا بعدها اربعين سنة وان سلطة كوشان كانت عمت بلاد فلسطين حتى جنوبها لان عتنيئيل الذي شتت جنوده كان من سبط يهوذا ساكنًا في قرية سفر اي دبير (وهي سراسير الان) على مقربة من الخليل (قضاة ف ٣)

﴿ عد ٢٢٩ ﴾

تعبد بنو اسرائيل لعجلون ملك مواب وتنجية اهود لهم

مات عتنيئيل فعاد بنو اسرائيل الى شرهم فلم يجاب الرب عليهم هذه المرة ملكًا من قاصي البلاد ويجعله آلة لنقمته بل اثار عليهم عجلون ملك الموابيين من ذريتهم اي من ذرية مواب بن لوط من بنته الكبرى وكان الرب حظر على الاسرائيليين في ايام موسى ان يحاربوا الموابيين حرمةً للوط وكانت مساكنهم في الجنوب الشرقي من فلسطين وراء البحر الميت ولما كانوا ضعفاء لا يملكون من الارض الاَّ يسيرًا استنجدوا بالعمونيين ابناء خالتهم واخوانهم لانهم ابناء لوط من بنته الصغرى وكانت مساكنهم في الشمال الشرقي من ارض الموابيين ولجأوا الى العمالقة وكانوا رحلاً في البرية الواقعة في شرقي تخوم الموابيين وامر هولاء على جيشهم عجلون ملك الموابيين فانتصروا على بني اسرائيل الذين في شرقي الاردن وعبروا هذا النهر ولم يقتصروا

على اجبار بني اسرائيل ليدفعوا لهم الجزية كما فعل كوشان ملك ارام النهرين بل ارادوا انتزاع املاكهم ايضاً لضيق ارض مواب فاخذ عجلون مدينة النخل المراد بها على الارجح اريحا واقام فيها ثماني عشرة سنة مستعبداً بني اسرائيل والظاهر ان هذا الاعتباد لم يكن عاماً ولكن لا اقل من ان يكون شاملاً من اقام من بني اسرائيل في شرقي الاردن وسبط بنيامين الذي اريحا في نصيبه وسبط يهوذا لقربه من العدو

وصرخ بنو اسرائيل الى الرب فاقام لهم مخلصاً اهود بن جيرا من سبط بنيامين وكان رجلاً اعسر يعمل بيده العسرى بدلاً من اليسرى والاظهر انه كان يعمل بكلتا يديه كما كان كثيرٌ من سبطه (قضاة ف ٢٠ عد ١٦) فارسل بنو اسرائيل على يده هدية او جزيتهم الى ملك عجلون وعمل لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع اشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى ليسر له انتضاوه بيده العسرى وليخفي اشتماله عليه فقدم الهدية وشيع حامليها وذهب الى المنحوتات المقامة في الجلجال في جانب اريحا ليظهر انه يستشيرها بامرٍ وعاد يقول للملك لي اليك كلامُ سرٍ ايها الملك فقال صه فخرج من عند الملك جميع الواقفين لديه ولم يخطر على بال ان رجلاً منفرداً اعزل لا سلاح له يفتك بالملك فلما خلا به في غرفة صيفية له في اعلى داره قال اهود لي كلام اليك من عند الله فنهض عن سريره تهيباً وكان غرض اهود من كلامه ان لا تخطئه الضربة اذا كان على سريره فمدَّ يسراه واخذ السيف عن فخذه اليمنى ووجأه في بطنه فناص القائم ايضاً ورآء النصل واطبق الشحم عليهما لانه كان سميناً ولم ينزع اهود السيف وخرج واغلق ابواب الغرفة واقفلها وافلت ودخل عبيد الملك فاذا ابواب الغرفة مقفلة فظنوه يقضي حاجة في مخدع المصيف ولما استبطأوه اخذوا مفاتيح وفتحوا فاذا مولاهم صريعٌ على الارض

ميتاً واما اهود فبلغ الى سعيره (لم يتعين موقعها ويظهر انه في جبل افرائيم على ما قال فيكورو وعلى ما في كتاب اعلام الاماكن ونفخ في البوق في جبل افرائيم فنزل بنو اسرائيل من الجبل على اثره واستولوا على مخاوض الاردن وضربوا من كان عند الملك ومن فرّ وقع بيدهم في معابر النهر فقتلوا من الموابيين حينئذٍ نحو عشرة الاف رجل كل شجاع وكل ذي بأس فذلّ الموابيون لهم واستراحت الارض ثمانين سنة (قضاة ف ٣)

وليس المراد باستراحة الارض ان الراحة عمّت جميع ارض بني اسرائيل فقد انبأنا الكتاب بأثر ما مرّ دون فاصل ان شمجر بن عنات يصحبه قومٌ من حارثي الارض ضربوا الفلسطينيين الذين كانوا يعتدون عليهم في الجنوب فقتلوا منهم ست مئة رجل ولم يكن لهم سلاح الاّ منساس البقر فعدّ شمجر من مخلصي بني اسرائيل وهو الثالث من القضاة وسوف نأتيك ببيان اصل الفلسطينيين

ان استعمال حيلة كالتي عمد اليها اهود في قتل عجلون كان مستباحاً مستفاضاً عند جميع القدماء ولا سيما الشرقيين وكانوا يحسبونه نوعاً من الحرب وربما فضلوه عليها لاقلاله عدد القتلى والمصابين وقد ترنم اليونان بتقريظ هرموديوس وارستوجيتون لانهما اتيا مثل ما اتاه اهود وقرظ الرومانيون موشيوس سكافولا (اي الاعسر ايضاً) لانه فعل مثل ذلك ببرسينا الذي حاصر رومة. وما احسن ما قاله هردر في تاريخ شعراء العبرانيين (صفحة ٤٣٦) «ليس اخص من التنديد بسفر القضاة وبما رواه عن بعضهم فمن دأب هولاء المنددين ان يتناسوا الزمن الذي كتب هذا السفر فيه فالقبايل القديمة كانت تستبيح استعمال اخبث الحيل في حروبها ولم تزل هذه العادة عند بعض الشعوب الذين لم يبلغوا ذروة التمدن فانهم على ما لهم من البسالة والسطوة

يؤثرون الحيلة على القوة وكانت الضرورة تقضي بهذا الدهاء على شعب يضطهده جيرانه وهو قلق في داخله ولم تبقَ الحمية الطائفية الا في بعض افراده ولم يكن له رئيس ولا حاكم يهتم بالمصالح العامة وهل لفردٍ ولو عظمت شجاعته ان يدعى مقاومة عسكرٍ برمته ولم تكن في تلك الايام الاختراعات التي جعلت الحرب صناعة وعلماً او ليست هذه الاختراعات نفسها اكبر حيلة ودهاء وهل من حيلة او شجاعة أخسّ مما يقذفه احد المدافع ، هذا والكتاب لم يثنِ في محل على ما عمله اهود بل اقتصر على ذكره فقط

﴿ عد ٢٣٠ ﴾

في دابورة وباراق وتخليصهما بني اسرائيل من يد ملك حاصور

مضى على الكنعانيين نحو من خمسين سنة بعد تذليل بني اسرائيل لهم فعاودتهم القوة لينهضوا من سقطتهم خاصة في شمالي فلسطين حيث استمر جمٌّ غفير منهم يتيسر لهم لدى الحاجة ان يستنجدوا بالفونيقيين وسكان جبل لبنان الذي لم يدخله بنو اسرائيل فسوّلت انفسهم لهم ان يأخذوا بثارهم وعاد بنو اسرائيل يتمرغون بشرهم فباعهم الرب الى يد يابين ملك حاصور التي على جانب بحيرة الحولة (في المحل المسمى الان تل الهراوى او في جبل حضيرة) وهو خليفة يابين الاخر الذي حارب يشوع بن نون مؤلباً عليه ملوك الشمال وكان له رئيس جيش يسمى سيسرا مقيماً بحروشت الامم وهي مدينةٌ اخرى على بحيرة الحولة (في المحل المسمى الان الحرائية اعلام الاماكن) وربما كان سيسرا ملكاً او قيلاً محالفاً ليابين لان دابورا قالت في نشيدها ، وفد الملوك وقاتلوا ، (قضاة ف ٥ عد ١٩) وعليه فكان من ضايقوا بني اسرائيل ملوكاً لا ملكاً واحداً ويابين رئيس عصبتهم وضايقوا بني اسرائيل الذين في شمال فلسطين عشرين سنة واثقلوهم بجزيات فاحشة ولم يجسر بنو اسرائيل ان

يخلعوا نيره وكانت مركباتهم المصفحة بالحديد تروع بني اسرائيل وكانت قوات الممالك في تلك الايام تقاس بعدد مركباتها وقد ابقت لنا الآثار المصرية على ذكر هذه المركبات في سورية فالشاعر بنتاور المصري روى انه كان للحثيين عند محاربتهم رعمسيس الثاني الفان وخمس مئة مركبة للحرب وفي آثار رعمسيس الثالث انه كان للكنعانيين عند استظهاره عليهم في موقعة مجدّو (اللجون) تسع مئة واربع وتسعون مركبة . ولم يكن لبني اسرائيل مركباتٌ لاقامتهم في الجبال وكان في معسكر سيسرا تسع مئة مركبة لاقامتهم في السهول فضاق بنو اسرائيل ذرعاً ولم يجدوا لهم ملجاً ولا مناصاً الا بان يصرخوا الى الله كما كانوا عند ضيقتهم يفعلون فرأف الرب بهم واقام لهم هذه المرة مخلصة وهي امرأة كانت تسكن في جبل افرائيم وتسمى دابورة وتأويل اسمها بالعبرانية نحلة (كما قال يوسيفوس ك ٥ ف ٦ في تاريخ اليهود) وكانت نبية ولها من شهرة الحكمة ما جعلها حكماً يلجاء اليها المتنازعون من كل فجٍ لفصل دعاويهم فاخذتها الغيرة على انقاذ شعبها فارسلت ودعت باراق (وتأويله البرق كما قال يوسيفوس في المحل المذكور) بن ابينوعم من قادش نفتالي وهي المعروفة الان بقدش من اعمال صفد وقالت له من قبل الرب ان يجيش في جبل طابور عشرة الاف رجل من بني نفتالي وزابلون فلم يشاء ان ينطلق الاَّ ان تصحبه دابورة فانطلقت معه الى قادش وعلم سيسرا ان باراق ورجاله صعدوا الى جبل طابور فجمع مركباته ورجاله ومضى لقتالهم ولما كانت المركبات لا تسير في الجبل فخيم بعسكره في مرج بن عامر على نهر قيشون المعروف الان بالنهر المقطع وقالت دابورة لباراق قم فان الرب اليوم يدفع سيسرا الى يديك فنزل من جبل طابور ووراءه عشرة الاف رجل والقى الرب رعباً على سيسرا وجنوده فانهزموا من وجه بني اسرائيل فتتبعوا اثارهم الى حروشت الامم المار ذكرها

وصنعوا بهم مقتلةً وروى يوسيفوس (في الفصل الآنف ذكره) انه لما اقبل بنو اسرائيل على الكنعانيين انزل الرب مطرًا مدرارًا وبردًا وريحاً عاصفة بوجه الكنعانيين حتى لم يقووا على استعمال سلاحهم وكانت العاصفة من جهة اظهر بني اسرائيل والى ذلك اشارةٌ في تسبحة دابورة حيث قالت «من السما نشب القتال الكواكب من حبكها حاربت سيسرا نهر قيشون جرفهم» (قضاة ف ٥ عد ٢٠) اما سيسرا فنزل من مركبته وفرَّ راجلاً وكان حابر القيني احد اقرباء امرأة موسى الذين كانوا اختلطوا ببني اسرائيل ساكناً هناك في خيمة وكان بينه وبين يابين مسالمة فخرجت ياعيل امرأة حابر لاستقبال سيسرا وقالت له مِلِ ياسيدي لا تخف فدخل خيمتها وسألها ان تسقيه فناولته عوض الماء لبناً فساعد على نعاسه فاسترخى ونام وغطته بالقطيفة فاخذت ياعيل وتد الخيمة من حديد بشمالها والمِيتدة بيمناها وضربت الوتد في صدغه حتى غرز في الارض واذا بباراق جاد في اثره فقالت له ياعيل تعالَ أُرِكَ الرجل الذي انت طالبه فدخل فاذا بسيسرا ساقطٌ ميتاً والوتد في صدغه فتقوى بنو اسرائيل على يابين واذلوا قومه وسبحت دابورة تسبحتها الشهيرة المثبتة في الفصل الخامس من سفر القضاة وهي شعرٌ بل قال فيها هردر انها احسن اشعار العبرانيين الحماسية واستراحت الارض اربعين سنة ويراد بها ارض الشمال والصريح في الكتاب ان رجال باراق الذين اصلوا نار الحرب كانوا من سبطي نفتالي وزابلون فقط ويتلخص من تسبحة دابورة انه نجدهم بعضٌ من اسباط بنيامين ويساكر وافرائيم واستمر الباقون في الجنوب وعبر الاردن وسبط دان واشير (على قرب هذا السبط الاخير من ساحة الحرب) لاتهزهم الحمية على انجاد اخواتهم بل اثروا عليه الراحة في املاكهم آمنين وكانت هذه الانقسامات علةً لتواتر المصائب عليهم فان الله يجعل احياناً نقايص الناس انفسهم نقمة منهم

عاب بعض المنددين ياعيل بخيانتها سيسرا وعابوا الكتاب بمدحه ما صنعت وقد فاتهم ان قتل سيسرا كان عادلاً لاشهاره الحرب على بني اسرائيل وياعيل تحسب من عديدهم وكانت شرائع الحرب حينئذٍ تبيح قتل العدو وان فارًّا وكان على سيسرا ان يتحاشى دخول خيمة سكانها من اعدائه واما قولها له ان لايخاف فمحمول على انها اخذتها الشفقة عليه اولاً فاوته ثم تروت فرأت انه عدو لشعبها وانها مندوبة لقتله حبًّا بشعبها ووطنها ففعلت ولم يثنِ الكتاب عليها لعملها عملاً صالحًا بل اثنى على شجاعتها وحبها وطنها وسنن الحرب في تلك الايام ومعاملة الكنعانيين بني اسرائيل في مثل هذه الاحداث قد صوغت لهذه المرأة عمل ما نراه اليوم خيانة وكان ذلك قبل سنة المخلص الكملى التي ارشدت الى الرفق بالاعداء ايضاً (فيكورو الموجز الكتابي عد ٤٥٤)

﴿ عد ٢٣١ ﴾

في جدعون وتخليص بني اسرائيل من المديانيين

مرَّ ان الارض التي استراحت اربعين سنة بعد اذلال يابين يراد بها ارض من حاربوا مع باراق اي سكان نصيب نفتالي وزابلون ومن جاورهم اذ انباءنا الكتاب (قضاة ف ٦) ان اثام غير هولاء من بني اسرائيل اسخطت الرب فدفعهم الى ايدي بني مدين سبع سنين وبنو مدين هولاء من ذرية ابرهيم من قطورة امرأته ويؤيده انهم كانوا يتكلمون بلغة العبرانيين كما يظهر من ان جدعون فهم كلام الرجل الذي كان يقص حلمه على صاحبه (قضاة ف ٧ عد ١٣) وهم الذين ضربهم بنو اسرائيل في ايام موسى لمعاونة بناتهم الموابيين على اغواء بني اسرائيل وكانت مساكنهم في شرقي البحر الميت وراء مساكن بني اسرائيل في عبر الاردن والاظهر انهم غير المديانيين الذين كانوا يسكنون في شرقي بحر الاحمر ومنهم بترو حمو موسى فهولاء من ذرية كوش (طالع عد ١٩٥ وعد ٢٠١)

اخوته واقام في ارض طوب التي لم يعين موقعها الى الان ويرجح انها كانت في شرقي الاردن وقال الاب مرتينوس اليسوعي في ما اذاعه البشير من كتابه تاريخ لبنان ان مملكة طوب كان موقعها في انحاء حرمون (جبل الشيخ) ولعلَّها كانت في منحدره الشرقي في الجهة المسماة الان بالبلاس فجمع يفتاح اليه في هذه الارض قوماً بطالين كانوا يخرجون معه لشن الغارة ولسلب المارَّة فانطلق شيوخ جلعاد اليه وكلفوه ان يأتي فيكون لهم قائدًا فعزَّز نفسه اولاً وقال انكم ابغضتموني وطردتموني فكيف اتيتموني الان في شدتكم ويظهر انه كان خبيراً بضروب السياسة فلم يرضَ ان يأتي معهم الا ان يعاهدوه امام الرب بانه اذا انقضت الحرب استمر رئيساً عليهم فعاهدوه فاتى معهم وارسل رسلاً الى ملك بني عمون يسأله لِمَ حمل عليهم ويرغب اليه ان ينكف عن حربهم فاجابه ملك العمونيين ان بني اسرائيل اخذوا ارضهم عند خروجهم من مصر فليردوها عليهم فارسل له يفتاح رسلاً آخرين يبيّن له ان بني اسرائيل في ايام موسى تحاشوا بامر الله محاربة الموابيين والعمونيين لانهم من نسل لوط وانه قد مضى عليهم وهم مقيمون في هذه الارض ثلاث مئة سنة فلماذا لم يسترجعوا ارضهم في تلك المدة فلم يسمع ملك عمون كلامه وزحف بجيشه الى بني اسرائيل. ونذر يفتاح نذرًا للرب وقال ان دفعت بني عمون الى يدي فكل خارجٍ يخرج من باب بيتي للقائي حين ايابي سالماً ... يكون للرب اصعده محرقة . وهاجم يفتاح بني عمون فسلمهم الرب الى يده فضربهم من عروعير (عراعير الان) الى حد منيت عشرين مدينة والى آبل الكروم ضربة عظيمة جدًّا فذلَّ بنو عمون امام بني اسرائيل قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٣) ان الجوَّالة الانكليزي تريسترم طاف بلاد مواب سنة ١٨٧٢ واهتدى الى موقع إبل الكروم وهي بعيدة عشرين دقيقة عن ديبان المعروفة

فتيقن ارسال الرب له

وقال الرب لجدعون ان يقوض مذبح البعل الذي لابيه ومنه يستلمح ان اباه كان يعبد البعل وان يقطع الغابة التي حوله وان يبتنِ مذبحًا للرب هناك ويقدم عليه ثورًا كان لابيه فاخذ عشرة رجال وفعل كما امره الرب ليلاً خوفًا من بيت ابيه واهل مدينته لكنه لم يختفِ وطلب اهل المدينة من ابيه ان يخرجه ليقتل فقال ابوه ان كان البعل الهًا فلينتقم لنفسه ممن هدم مذبحه وهذا يمنع من القطع بان اباه كان يعبد البعل ودعا ابنه يدبعل اي ينتقم منه البعل واما جدعون فنفخ في البوق فتبعه بعض قومه وارسل رسلاً الى بني منسى فاتبعوه والى بني اشير وزابولون ونفتالي فصعدوا لملتقاهم فاجتمع اليه اثنان وثلاثون الفًا واعتصب جميع المديانيين والعمالقة وبنو المشرق فعبروا الاردن ونزلوا وادي يزرعيل حيث زرعين الان من ناحية جنين (اعلام الاماكن) وتقدموا في السهل الذي هو مرج بن عامر الى محلٍ غير بعيد عن المحل الذي كسر سيسرا فيه فبكّر جدعون ونزل بقومه على عين هرود المسماة الان عين جلود في الشمال الغربي من جبل جلبوع الى الجنوب من محلة المديانيين وقال الرب لجدعون ان ينادي على مسامع الشعب ان من كان خائفًا فليرجع فعاد منهم اثنان وعشرون الفًا وبقي معه عشرة الاف فقال له الرب ان الشعب كثير ايضًا فيفتخر اسرائيل بانه خلص نفسه فأنزلهم الى الماء وكل من ولغ في الماء بلسانه من راحته الى فمه فأفقه ناحيةً ومن جثوا على ركبهم ليشربوا فناحيةً اخرى فكان عدد من ولغ الماء من راحته الى فمه ثلاث مئة رجل فقط فابقى جدعون هولاء معه وصرف الباقين الى اماكنهم وقال له الرب ان كنت تخاف فادنُ من محلة العدى ليلاً مع فورة غلامك واسمع ما يقولون ولما جاء جدعون اذا برجل مديني يقص حلمًا على صاحبه قائلاً كأني برغيف خبز يتقلب في عسكر

مدين فانقلب حتى صار الى الخيمة وصدمها فسقطت فاجاب صاحبه وقال انما هذا سيف جدعون بن يوآش جبار اسرائيل الذي دفع الله الى يده مدين وكل المحلة فعاد جدعون موقناً بالظفر وقسم الثلاث مئة رجل ثلاث فرق وجعل ابواقاً في ايديهم وجراراً فارغة في ضمنها مشاعل وقال لقومه اصنعوا ما ترونني صانعاً واحتاط محلة المدينيين من ثلاث جهات ونفخوا في الابواق وهتفوا السيف للرب ولجدعون وكسروا الجرار فظهرت المشاعل فضجّ جيش مدين وجعل كل منهم سيفه في صاحبه فقتل بعضهم بعضاً وفرّ الباقون الى بيت الشطة الى صريده حتى انتهوا الى عدوة آبل محولة التي عند طبات اما بيت الشطة فهي المحل المسمى الان شطة في شرقي عين جالود نحو الاردن وهو اسمها القديم نفسه لان بيت معناها البيت او المحل او القرية وصريده وفي بعض النسخ العبرانية صريرة لم يتعين موقعها ولكن لا بد ان يكون بين شطة وابل محولة شرقاً (اعلام الاماكن وكاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٠٢) واما ابل محولة فالذي قاله كاران (في المجلد المذكور صفحة ٢٧٧) انها كانت في محل خربة الحمام المالح بعيدة اربعة عشر ميلاً عن بيسان نحو الجنوب والذي في اعلام الاماكن انها كانت في المحل المسمى الان العين الحلوة بعيدة عشرة اميال عن بيسان جنوباً والمحلان قريبان من الاردن واحدهما من الاخر وطبات لا يعلم موقعها معيناً ولكن لا بد ان كانت في جانب ابل محولة والاردن كما قيل في اعلام الاماكن واجتمع رجال اسرائيل من بني نفتالي واشير وجميع سبط منسى وتعقبوا اثر المدينيين وارسل جدعون رسلاً الى جميع جبل افرائيم ليقطعوا عليهم معابر النهر ففعلوا وقبضوا على قائدين من قواد مدين وهما عوديب (اي الغراب) وذيب (اي الذئب) فقتلوهما واتوا برأسيهما الى جدعون في عبر الاردن

فلام رجال افرائيم جدعون لانه لم يدعهم للقتال فتخلص من لومهم بقوله ليس ان خصاصة افرائيم افضل من قطاف ابيعزر فالخصاصة ما يبقى في الكرم بعد قطافه والقطاف جمع قطف اي العناقيد المقطوفة وابيعزر اسم عشيرته فكانه يقول انهم فعلوا اكثر مما فعل لانه هزم عوريب وذيبًا واما هما فقتلوهما ويظهر منه ان جدعون لم يكن كميًا شجاعاً فقط بل كان متغلباً في السياسة ايضاً . ثم عبر جدعون الاردن برجاله الثلث مئة مطاردًا زاباح وصلمناع ملكي مديان وقال لاهل سكوت (في كتاب اعلام الاماكن ان الظاهر انها كانت في محل تل درعالا في شرقي الاردن) ولاهل فنوئيل (مدينة في شرقي سكوت لم يتعين موقعها) من سبط جاد اعطوا القوم الذين في عقبي ارغفة خبز لانهم قد اعيوا فقالوا له العل اكف زاباح وصلمناع في يدك حتى نعطي عسكرك خبزًا فلم يعطوهم خشية ان يعود المديانيون فينتقموا منهم فهددهم جدعون بما اجراه بعده عليهم كما سترى وظل مطاردًا ملكي مديان الى قرقر قال اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان موقع هذه المدينة في شمالي مدينة حجر في بلاد العرب وفي اعلام الاماكن ان اسمها الان غير معين ويحتمل ان يكون المراد بها عمل او مدينة فهناك ادرك جدعون الملكين ومعهما خمسة عشر الف رجل وكان من تجندلوا في ساحة القتال مئة وعشرين الف رجل . ولما اقبل جدعون على الملكين وعسكرهما تسارعوا الى الفرار فجدَّ رجال جدعون في اثر الملكين فادركوهما وقبضوا عليهما ورجعوا بهما من عند عقبة الشمس كذا في الترجمتين السبعينية والسريانية وفي نسخة الاباء اليسوعيين ولكن في اللاتينية المعروفة بالعامية « ورجع قبل مطلع الشمس » ولعله الاصح اذ لم يوجد ثمة محل يسمى عقبة الشمس

وعاد جدعون الى سكوت فقبض على شيوخها وقال لهم هوذا الملكان

اللذان عيرتموني بهما واخذ اشواكاً من البرية ونوارج وعاقبهم بوضعهم على الاشواك تحت النوارج وهدم برج فنوئيل وقتل رجالها وقال لزباح وصلمناع كيف كان الرجال الذين قتلتماهم بطابور فقالا كانوا مثلك وهيئتهم كهيئة ابناء الملوك فقال انما هم اخوتي وابناء امي ولو ابقيتما عليهم لما كنت اقتلكما وقال ليتر بكره قم فاقتلهما فلم يخترط سيفه خوفاً لانه كان صبياً فقام جدعون وقتلهما واخذ اهلّة النضة التي كانت في اعناق جمالهما . ومنه يظهر قدم عادة العرب في تزيين اعناق جمالهم باهلّة وغيرها من الحلي الى اليوم وقد كانت ضربة جدعون المدينيين مذللة لهم اعواماً طوالاً اذ قال الكتاب « ذل مدين امام بني اسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤسهم » (قضاة ف ٨ ع ٢٨)

وبعد هذا الظفر قال رجال اسرائيل لجدعون تسلط علينا انت وابنك وابن ابنك فقال لهم جدعون لا انا اتسلط عليكم ولا ابني بل الرب يتسلط عليكم ولكن اقترح عليهم ان يعطيه كل واحد منهم خرصاً من غنيمته فقالوا لك ذلك وبسطوا رداء فالقى عليه كل امرئ منهم خرصان غنيمته فكان وزن خرصان الذهب التي طلبها الفاً وسبع مئة مثقال ذهب ما خلا الاهلة والنطفات اي القروط والثياب الارجوانية التي كانت على ملوك مدين وما خلا القلائد التي كانت في اعناق جمالهم . قد اتفق الكتاب والآثار المصرية والاشورية والسورية في الدلالة على ان تحلي الرجال والنساء والدواب ايضاً بالحلى كان من اقدم الدهر عامًّا في المشرق فصاغ جدعون ذلك الذهب افودًا وهو احد الملابس الكهنوتية كالبطراشيل في ايامنا وجعله في مدينة عفرة (فرعاتا) وكانت الناس تتقاطر من كل فج لتراه وتتبارك به حتى نشأ عن ذلك نوع من العبادة الوثنية لهذا الافود والى هذا اشار الكتاب بقوله ان هذا الافود صار وهقًا لجدعون وبيته على انه في الترجمتين القديمتين السريانية والعربية وفي كتب بعض المفسرين كلمة تمثال

مكان الافود والنص العبراني غير صريح والالف والسبع مئة مثقال ذهب تعادل اربعة وعشرين الف غرام ومئة واربعين غراماً اي نحو ثمانية الاف درهم اذا حسب كل مثقال ٢٠ ر ١٤ غراماً كما كانوا يحسبون بعد السبي البابلي وعمل الافود لا يستلزم هذا القدر الكبير من الذهب . ومات جدعون وله سبعون ولداً لانه اتخذ نساءً كثيرات ودفن في مدفن يواش ابيه في عفرة واستراحت الارض بعد انتصاره اربعين سنة (قضاة ف ٦ و ٧ و ٨)

﴿ عد ٢٣٢ ﴾

﴿ في ابيملك وتولع ويائير ﴾

كان لجدعون سرية في شكيم (نابلوس) ولد له منها ابنٌ سماه ابيملك فانطلق بعد وفاة ابيه فكلّم اخواله وعشيرتهم قائلاً ايّ الامرين خيرٌ لكم أ أن يتسلط عليكم اخوتي سبعون رجلاً ام ان يتسلط عليكم رجلٌ واحد واذكروا اني عظمكم ولحمكم فمالت قلوب اهل شكيم اليه وقالوا انه اخونا واعطوه سبعين مثقال من الفضة عبارة عن نحوٍ من الف غرام من بيت بعل بريت الذي كانوا يعبدونه وكانت عادة اهل شكيم ككثيرٍ غيرهم من القدماء ان يضعوا كنوزهم وما كان ثميناً عندهم في هياكلهم لاعتبارهم الهياكل محلاً حريزاً مباركاً وقد وجد في كثير من الهياكل خزائن يستودعونها ما كان ثميناً . فاخذ ابيملك الفضة واستأجر بها رجالاً بطالين اشقياء تبعوه فجاء بيت ابيه في عفره وقتل اخوته ولم ينجُ منهم الا يوآتام اصغرهم فاجتمع اهل شكيم وبيت ملّو وهي مدينة مصاقبة لشكيم وقال كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٤٦٤) انها تسمى الان خربة الدوارة ومضوا فاقاموا ابيملك ملكاً عليهم فانطلق يواتام اخوه ووقف على قمة جبل جرزيم (وهو جبل الطور حيث يجتمع السامريون في اعيادهم كل سنة في جانب نابلس) ورفع صوته وقال اسمعوا لي يا اهل

فالمدينيون الذين من ولد ابرهيم كانوا يأتون كل سنة مع العمالقة سكان الشمال في جزيرة العرب ومع بني المشرق المراد بهم العرب الرحل سكان انحاء حوران وينكلون ببني اسرائيل ويفسدون غلة الارض الى مدخل غزه ولا يبقون ميرةً ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً ويأتون بماشيتهم وخيامهم في مثل كثرة الجراد حتى اضطر بنو اسرائيل ان يختفوا او يخفوا مالهم في المغاور والكهوف والحصون مدة السنين السبع

فصرخوا الى الرب فارسل اليهم نبياً يذكرهم بانقاذه اياهم من المصريين وسائر ظالميهم وظهر ملاك لجدعون بن يوآش الابيعزري في عفرة وهو يدوس الحنطة في المعصرة مكان ان يدرسها بالنورج وفي الاندر هرباً من المدنيين فاعلمه ان الرب مرسله ليخلص اسرائيل فاعتذر بان عشيرته اضعف عشيرة وبانه اصغر اخوته وسأل علامة يعلم بها انه يكلمه بذلك من قبل الرب فحقق الملاك له هذا بانه مد طرف العصا التي بيده ومس اللحم والفطير اللذين كان اعدهما له فصعدت نار من الصخرة التهمت اللحم والفطير وغاب الملاك عن عينيه وابتنى جدعون مذبحاً للرب دعاه سلام الرب قال الكتاب « وهو الى هذا اليوم لا يزال في عفرة » وجاء في كتاب اعلام الاماكن انه يحتمل ان عفرة هذه كان موقعها في القرية المسماة الان فرعاتا تبعد ستة اميال عن نابلس غرباً . واراد جدعون تحقيق رسالته من قبل الرب فضرع اليه قائلاً هآنذا واضع جزاز صوف في البيدر فاذا سقط الندى على الجزاز وحده وعلى سائر الارض جفاف علمت انك مخلص اسرائيل على يدي فكان كذلك وعصر الجزاز في الغد فخرج منه من الماء ملوء سطل ثم قال اجرب هذه المرة ايضاً بالجزاز ليكن على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى وصنع كذلك فكان في تلك الليلة على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى

الله منه جزاءً على ما صنع باخرته (قضاة ف ٩)

وقام بعد ايملك لخلاص اسرائيل تولع بن فواة من سبط يساكر وكان مقيماً بشامير (لم يعين موقعها كما في كتاب اعلام الاماكن) في جبل افرائيم فتولى قضآء اسرائيل ثلثاً وعشرين سنة ومات ودفن في قريته شامير وقام بعده يائير الجلعادي فتولى القضآء على اسرائيل اثنتين وعشرين سنة وكان له ثلاثون ابناً يركبون ثلاثين جحشاً وكان لهم ثلاثون مدينة تسمى مزارع يائير وهي في ارض جلعاد (السلط) ولم يطرقنا الكتاب بشيء غير ذلك من اخبارها ويظهر ان ولاية يائير كانت في جلعاد وعبر الاردن الشرقي فقط

﴿ عد ٢٣٣ ﴾

في يفتاح

وعاد بنو اسرائيل فعبدوا الهة الاراميين والصيدونيين وغيرهم فاشتد غضب الرب عليهم واسلمهم الى ايدي الفلسطينيين وبني عمون فضايقوهم ثماني عشرة سنة وبعد ان اذلَّ بنو عمون الاسرائيليين الذين في عبر الاردن اتوا ينكلون ببني يهوذا وبنيامين وافرائيم في غربي الاردن فصرخوا الى الرب فذكَّرهم بتخليصه لهم مرات عديدة وبعودهم الى عبادة الالهة الغريبة ولذلك صرف وجهه عنهم قائلاً اذهبوا فاستغيثوا بالالهة التي اخترتموها فازالوا الالهة الغريبة من بينهم وخشعوا له فرق قلبه لمشقة اسرائيل واجتمع بنو عمون ونزلوا بجلعاد (السلط) واجتمع بنو اسرائيل ونزلوا بالمصفاة المعروفة الان بسوف في شمالي نهر اليبوق وهو نهر الزرقاء (كتاب اعلام الاماكن) وقالوا اي رجلٍ ابتدأ الحرب مع بني عمون فهو يكون رئيساً على سكان جلعاد كلهم وكان رجلٌ من جلعاد اسمه جلعاد كبلده وله ابنٌ من امرأةٍ بغيٍّ اسمه يفتاح وله بنون آخرون من زوجته الشرعية طردوا يفتاح لئلا يقاسمهم الميراث فهرب من وجه

شكيم سمع الله لكم ذهبت الشجر مرة ليمسحن عليهن ملكاً فقلن لشجرة الزيتون كوني علينا ملكة فقالت أأدع زيتي الذي لاجله تكرمني الالهة والناس واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للتينة كوني انتِ ملكة علينا فقالت أأدع حلاوتي وثمرتي الطيبة واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للجفنة كوني انتِ علينا ملكة فقالت أأدع مسطاري الذي يسر الله والناس واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للعوسجة تعالي انتِ فكوني علينا ملكة فقالت ان كنتن حقاً تمسحنني ملكة عليكن فتعالين استظللن بظلي والا فلتخرج نار من العوسجة وتحرق ارز لبنان . والان ان كنتم فعلتم بالحق والاستقامة فلكم ايملك عليكم وكافأتم جدعون على تخليصكم من اهل مدين بذبحكم سبعين رجلاً من بنيه فافرحوا بايملك وليفرح هو بكم والا فلتخرج منه نار وتاكل اهل شكيم وبيت ملّو ولتخرج نار منهم وتاكل ايملك وهرب يوتام واختفى من وجه اخيه وملك ايملك على اسرائيل ثلاث سنين ثم ثار عليه اهل شكيم فحاربهم ونكّل بهم اولاً وتيسر له ان يدخل المدينة بعد ان خرج منها وقتل الشعب الذي كان فيها وهدم المدينة وزرع في ارضها ملحاً فانهم كانوا اذا ارادوا ان يجعلوا الارض عاقراً لا تنبت القوا فيها ملحاً ومن بقي من اهل شكيم فروا الى برج حصين كان فيه هيكل بريت معبودهم فحاصره ايملك وجمع حطباً حوله واحرقه فباد من السكان نحو الف نسمة ثم انطلق الى تاباص المسماة الان توباس وهي في الشمال الشرقي من نابلس تبعد عنها ثلاثة عشر ميلاً (ذكره اوسابيوس وحققه كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٥٩) فاخذها وكان فيها صرح حصين لجأ اليه جميع الرجال والنساء فحاصره ايملك وتقدم ليحرقه فالقت امرأة قطعة رحى اصابت راس ايملك فشدخت جمجمته فاستدعى حامل سلاحه وقال له استل سيفك واقتلني لئلا يقال عني ان امرأة قتلته فوجأه الغلام فمات وانتقم

بهذا الاسم ايضاً وذلك الموقع يسمى الان كروم ديبان واما في منيت فقال ظنّ بعضهم ان موقعها كان في المحل المسمى الان منجه في شرقي حشبون (حسبان الان) وهو بعيد احدى عشر كيلومتراً عنها لكننا لم نجد هناك اثراً دالاً على ذلك . ونقل كلمت عن اوسايوس ان منيت بعيدة اربعة اميال عن حشبون شرقاً على طريق فيلادلفية وهي عمان الان وفي اعلام الاماكن ان موقعها في المحل المسمى المنية الان في جنوبي جبل نبو على قول بعضهم

وعاد يفتاح الى بيته في المصفاة فاذا ابنته خارجة للقائه بالدفوف والرقص وهي وحيدة لا ولد له سواها فقال لها أوه يا بنية قد صرعتني لاني ابرزت نذري للرب ولا سبيل الى نكثه فقالت يا أبتِ ان كنت قد ابرزت نذرك فاصنع بي بحسب ما خرج من فيك بعد ما انتقم الرب من اعدائك وطلبت ان يمهلها شهرين لتتردد في الجبال وتبكي بتوليتها هي واترابها فسمح لها شهرين فانطلقت وبكت على الجبال بتوليتها مع اترابها ثم رجعت الى ابيها فاتمّ بها النذر الذي نذره وهي لم تعرف رجلاً وكانت بنات اسرائيل يمضينَ كل سنة وينحنَ على ابنة يفتاح اربعة ايام

قد اجمع الاباء القدماء والتقليد اليهودي والمسيحي الى القرن الحادي عشر ان يفتاح قدّم بنته محرقةً للرب ولكن رأى بعض الحدثاء ان يفتاح لم يضحِّ بابنته بل نذر ان تبقى بتولاً ومن حجج هولاء ان شريعة موسى حظرت صريحاً تقدمة الضحايا البشرية فلا يُظن ان يفتاح اراد ان يبرز نذراً مخالفاً للسنة ومنها انه لو كان يفتاح نذر حقيقةً ان يقدم بنته ضحية لما جاز له ان يقدمها بنفسه اذ لم يكن كاهناً ومنها ان الكتاب لم يَعِب يفتاح بل نرى الرسول عدّه مع غيره من الاباء بقوله « ماذا اقول وزماني قصير عن ان اخبر بامر جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء » (عبرانية ف ١١

ع ٣٢) وقد ردَّ اصحاب القول الاول الحجج المار ذكرها بقولهم ان حظر السنة تقدمة الضحايا البشرية لا تكون منه حجة بان يفتاح لم يضحِّ ببنته اذ يمكنه مخالفة السنة كما خالفها بنو اسرائيل بتضحيتهم ببنيهم وبناتهم ايضاً وكذا يمكنه ان يخالف السنة بتضحيتها وان لم يكن كاهناً وذكر الرسول يفتاح بين باقي من ذكرهم لا يمكن تنزيله منزلة ثناء على كل اعماله فما من قائل ان الرسول بهذا الذكر اثنى على داود بقتل اوريا ايضاً او على شمشون بكثير من اعماله وقالوا ان آية الكتاب « كل خارج يخرج من بيتي يكون للرب اصعده محرقة » صريحة تأبى كل تأويل ويراد بها شخص فلا يمكن حملها على بتولية بنته وقال القديس توما ان يفتاح ركب الحماقة بنذره والمعصية باتمامه (الخلاصة اللاهوتية قسم ثانٍ مبحث ٨٨) وكذا قال كثيرٌ غيره من الاباء والعلماء ولكن انثى العلماء الحدثاء قائلين ان كلام الكتاب مجازي فالمحرقة لا يراد بها محرقة دموية بل يراد بها انقطاع ابنة يفتاح عن الزواج وهذا الانقطاع كان في المشرق في ذلك العصر محرقةً كبرى اذ كان عندهم عاراً على المرأة ان لا تلد وهذا واضح من قول اليصابات بعد ولادتها يوحنا « هذا ما صنعه بي الرب لينزع عاري من بين بني البشر » (لوقا ف ١ ع ٢٥) ويفتاح بنذره ان تبقى بنته بتولاً كان يعدم نفسه الامل بان تكون له ذرية وهذا محرقة من قبله اذ لم يكن له ولد غيرها وتذرَّع هولاء لقولهم بباقي آيات الكتاب وهي « لم تعرف رجلاً وابكي بتوليتي وبكت بتوليتها على الجبال » على ان صراحة آية الكتاب بانه نذر ان يصعدها محرقة وقوله انه اتمّ نذره بها ومراعات عادات البلاد والايام وجهالة نذر العفة في تلك الايام كل ذلك يرجح قول من رأوا ان يفتاح قدم بنته محرقة حقاً (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٥ والموجز الكتابي عد ٤٥٧ وما يليه)

واجتمع رجال بني افرائيم وعنّفوا يفتاح لانه لم يدعهم لمحاربة العمونيين فلم يُخمد غضبهم برقة كلامه كما فعل جدعون معهم بل اضطرمت نار الوغى بينهم فضرب يفتاح وقومه بني افرائيم فشتتوا شملهم وامسكوا عليهم مخاوض الاردن وكانوا اذا مرَّ افرائيمي قالوا له أأفرامي انت فيقول لا فيقولون له اذن قُلْ شبولت (السنبلة) فيقول سبولت بالسين لان بني افرائيم كانوا يلفظون الشين سيناً كما يلفظ بعض اهل وطننا السمس بدلاً من الشمس فمن لم يحسن لفظ الشين قتلوه حتى قتل منهم في ذلك الوقت اثنان واربعون الفاً . وقد جرى مثل ذلك عند محاربة احد ملوك دولة المماليك في مصر للعرب سنة ١٣٠٢ فكانوا يكلفونهم ان يقولوا دقيق وكل من احسن لفظ القاف العربية قتلوه . ومات يفتاح بعد ان ولي القضاء في اسرائيل ست سنين

وقام بعده قضاةً ابصان من بيت لحم واستمر سبع سنين ومات ودُفن في بيت لحم وتولّى القضاء بعده ايلون الزابلوني وكانت مدة قضائه عشر سنين وولي القضاء بعده عبدون بن هليل وكان له اربعون ابناً وثلاثون حفيداً وكانوا يركبون سبعين جحشاً فكانت عادة اكابرهم يومئذٍ ان يركبوا الجحشان وكانت مدة قضاء عبدون ثماني سنين ومات ودُفن في فرعتون في ارض افرائيم وكان موقعها في المحل المسمى الان فرعون بعيداً ستة اميال شرقاً عن نابلس (كتاب اعلام الاماكن) ولم يتحفنا الكتاب بغير ذلك من اخبار هولاء القضاة

﴿ عد ٢٣٤ ﴾

في شمشون والفلسطينين

كان العمونيون والفلسطينيون معاً يضايقون بني اسرائيل فاخمد يفتاح جذوة ضيق العمونيين في عبر الاردن واستمر الفلسطينيون يضايقون بني اسرائيل الساكنين في جنوب فلسطين فسلط الله شمشون ليثأر بقومه منهم

على انه لم يكن كباقي القضاة يؤلب الرجال ويعد العدد لمحاربة العدو بل كان ينكل به بقوته الشديدة ويستنجد الحيوانات احياناً للمضرة باعداء قومه كما استخدم الثعالب لذلك ويجدر بنا قبل الكلام به ان نبين من هم الفلسطينيون ومن اي اصل هم ومن اي قطر اتوا البلاد التي سماها المصريون واليونان فلسطين نسبة اليهم وكانت تسمى بلاد الكنعانيين . ان موسى لم يأتِ في اسفار توراته بذكر الفلسطينيين بين الامم التي ارشد بني اسرائيل الى ازاحتهم عن ارض موعدهم ولم يذكرهم يشوع ايضاً بل تبين من سفره ان بني عناق كانوا يسكنون غزة وعسقلون وعقرون (عاقر) التي سكنها بعد ذلك الفلسطينيون وقد ورد ذكرهم ثمة لاول مرة في سفر القضاة حيث جاء ان ان شمجر حاربهم بمنساس البقر مع امثاله من الحارثين وقتل منهم ست مئة رجل . وقد كان للعلماء ومفسري الكتاب اقوال متعددة متباينة في اصل الفلسطينيين ولم ينجلِ مبحث اصلهم وذريتهم وارتحالهم الا من امدٍ قريب بعد ان احيى العلماء اللغة الهيروكليفية وانبعثت رمم تلك الصور فظهر من ورائها كنوز معارف اثمن من كنوز الذهب ومنها ان الفلسطينيين لم يكونوا من قبائل سورية بل من ذرية البلاسج السكان القدماء في بلاد اليونان وفي اسمهم نفسه الحروف الاصلية في كلمة بلاسج او فلاسج لان ابدال الباء بالفاء كثير في مثل هذه الاسماء وانما بُدلت الجيم الاخيرة بالتاء او الطاء تخفيفاً وقد جاء في كثير من آي الكتاب واقوال المؤلفين ان منشأهم جزيرة اكريت او هي اول مرحلةٍ معروفة لهم فقد ورد في سفر الملوك الاول (ف ٣٠ ع ١٤) « وقد غزونا جنوب الكريتيين وما ليهوذا وجنوبي كالب » ولا مراء في ان المراد بالكريتيين هنا الفلسطينيون وجاء في نبوة حزقيال (ف ٢٥ ع ١٦) « هانذا امد يدي على الفلسطينيين واقرض الكريتيين وابيد بقية ساحل البحر » وفي

نبوة صفنيا (ف ٢ ع ٥) «ويل لسكان ساحل البحر لامة الكريتيين ان كلمة الرب عليكم يا كنعان ارض الفلسطينيين فابيدك حتى لا يبقى فيك ساكن» وصرّح تاشيتوس (في تاريخه ق ٢) ان الفلسطينيين اتوا من اكريت

وقد كشفت لنا الآثار المصرية المنبئة بتاريخ رعمسيس الثالث عن ان الفلسطينيين اتوا من اكريت ففي قصر مدينة آبو في تاب (طيبة) صورٌ وخطوط دالة على حصول محالفة بين الكريتيين وغيرهم من عشائر البلاسج في ايام رعمسيس الثالث احد ملوك الدولة العشرين من الدول المصرية فغشوا سورية ومصر بعد افتتاح يشوع بن نون بلاد كنعان والتى بعضهم بحرًا والسواد الاعظم منهم اكريتيون فحاربهم رعمسيس الثالث وانتصر عليهم وأسر جميعهم وكانوا عشيرة برمتها رجالاً ونساءً واطفالاً ولم يرَ من السداد ان يبيد هذه العشيرة جماء فعوّل على استبقائهم واعطائهم ارضًا يسكنونها فاقام رعمسيس الفلسطا (كما في الاصل) الفلسطينيين في جانب بلاد كنعان بين يافو (يافا) ونهر مصر فسكنوا غزة واشدود وعسقلان حيث يمكن الحرس المصري ان يرقب حركاتهم روى ذلك الاب فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٣ صفحة ٣٣٨) ولانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢١٤ طبعة ٩) ومسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق (صفحة ٣١٣ طبعة ٤)

وكان هولاء الفلسطينيون اولاً ضعفاء يؤيده قتل شمجر كثيرين منهم بمنساس البقر ولكن زادهم قوة انحطاط الدولة المصرية ولحوق كثير من ابناء جلدتهم بهم الى فلسطين واستحوذوا على جث وهي ذكرين الان وعلى عقرون وهي عاقر الان فكان لهم خمسة اقطاب او خمسة امراء شديدو التحالف بينهم وسولت لهم انفسهم الاستيلاء على بلاد كنعان واخضاع بني اسرائيل والفونيقيين

لهم فافتتحوا صيدا نحو سنة ١٢٠٠ ق م واخربوها كما ذكرنا في مقالة الفونيقيين عد ١١٣ وهل البلاسج الذين منهم الفلسطينيون هم من نسل يافث او من نسل حام فالعلامة لانرمان (في المحل السالف ذكره) يقول انهم يافثيون تبعاً لراي الجمهور لا سيما القدماء على ان الاب دي كارا اكثر من الحجج على ان البلاسج من الحثيين من ولد حام طالع ما دوناه مشبعاً بهذا الشان في مقالة الحثيين عد ٨٦ و ٨٨

﴿ عد ٢٣٥ ﴾

في مولد شمشون وزواجه

قال الكتاب قضاة ف ١٣ ع ٢) كان رجل من صرعة من قبيلة دان وكانت امرأته عاقراً لا تلد فترآى ملاك الرب لها وقال انك ستحبلين وتلدين ابناً لا يعلو راسه موسى لانه يكون ناسكاً او نذيراً لله ويبدأ بخلاص اسرائيل من ايدي الفلسطينيين وان تحتفظ على نفسها مدة حملها وعلى الصبي مدة حياته من شرب المسكر ومن اكل ما يكون نجساً واخبرت زوجها بما قال لها الملاك فظهر لهما ثانية واثبت لهما بآيةٍ ما بشرهما به وحبلت المرأة فولدت شمشون فكان نذيراً كما قال الملاك وهو اول نذير ذكره الكتاب ولما شبَّ شمشون كان يتردد بين صرعة واشتاوول اما صرعة فما برحت تسمى بهذا الاسم وقال اوسابيوس وايرونيموس انها بعيدة عشرة اميال عن بيت جبرين شمالاً وقال كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٧) ان صرعة واقعة حقيقة في الطريق المؤدي من بيت جبرين الى عمواص ولكن بعدها عن بيت جبرين هو خمسة عشر ميلاً واما اشتاوول فقال كاران في المجلد المذكور (صفحة ١٣) انها تسمى الان اشوع ولا تبعد عن صرعة الا اربع كيلومترات والموضعان في جانب السكة الحديدية الموصلة بين يافا واورشليم

ونزل شمشون الى تمنه المسماة الان تبنة في جوار صرعة غير تمنه سارح مدينة يشوع بن نون فهام في حب امرأةٍ من بنات فلسطين وطلب الى ابيه وامه ان يتخذاها له زوجةً فامتناه من ذلك لانها اجنبية فأصرَّ على طلبه ونزلا معه الى تمنه ورأى شمشون في كروم تمنه شبل لبوة يزأر فوثب عليه وفسخه بيديه كما يفسخ جدياً صغيراً ولم يخبر اباه وامه بما فعل . وقد روى سويدا ان بطلاً يونانياً يسمى يوليداماس فعل مثل ذلك اي انه قتل اسدًا في جبل اوليمبوس وهو اعزل لا سلاح بيده وروى الكتاب ان داود ايضاً قتل اسدًا كما سترى وقد توفرت في الآثار الاشورية صور ازدوبار يخنق اسدًا بيده اليسرى وكثيراً ما قتل المصارعون اسدًا في المحاضر الرومانية وغيرها. وعاد شمشون بعد ايام اي بعد سنة لتزف اليها المرأة التي خطبها اولاً فكانت مدة الخطبة عند العبرانيين سنة فحاد لينظر في جثة الاسد فاذا في جوف الاسد خشرم من النحل وعسل فاشتار منه على كفيه ومضى وهو يأكل واعطى منه اباه وامه فاكلا ولم يخبرهما من اين اشتاره . وقد اكثر المندون بالكتاب من الطنطنة بتعييب تاريخ شمشون بهذه الاية زاعمين ان النحل يانف من الجثث فكيف يتخذها خلية ويصنع فيها عسله لكنهم قد تعاموا عن ان النحل وان نأى عن الجثث فلا ينأى عن العظام اليابسة وعن ان قول الكتاب بعد ايام كثيراً ما اراد به مدد طوال . وروى هيرودت (ك ٥ فصل ١١٤) ان النحل عسَّل في جمجمة اوناسيوس حاكم قبرس الذي قطع اعداؤه رأسه واستبقوه معلقاً امامهم والجثث في البلاد الحارة كفلسطين تجف في الصيف وتيبس كالمومياء في وقت وجيز ولا تنتن فلا يفر النحل منها كما حقق كثير من الجوالة في فلسطين واثبتوا ان النحل البري فيها كثير وانه يتخذ خلاياه في الكهوف والمغاور وثقوب الاشجار بحيث يستظل من حر الشمس

وادب شمشون مآدبة العرس مدة سبعة ايام لانه كذلك كانت تصنع الفتيان وصحبه ثلاثون رجلاً وكان عشوراً فقال لهم اني ملقٍ عليكم لغزاً فان حللتموه لي في سبعة ايام الوليمة اعطيتكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة من الثياب وان لم تحلوه اعطيتموني كذلك ومنه يظهر ان ملابسهم كانت يومئذٍ القميص والحلة اي الرداء الطويل فوق القميص وكذا نرى اليوم اكثر السكان هناك وفي سائر الامم البدوية في المشرق فقالوا له القِ لغزك فقال لهم خرج من الآكل أكل ومن الشديد حلاوة فلم يكن لهم الى حل لغزه سبيل وقالوا لعرسه خادعي زوجك ليحل لنا اللغز والا حرقناكِ مع بيت ابيكِ أتسلبونا ادعوتمونا فاكثرت من التدلل والبكاء عليه وضايقته فاطلعها على اللغز وباحت بسره اليهم فقالوا له لا احلى من العسل ولا اشد من الاسد فقال لهم لولا انكم حرثتم على عجلتي لم تكشفوا لغزي . وروى يوسيفوس انه قال « ولا أدهى من النساء » واشتد غضبه فنزل الى اشقلون (عسقلان الآن) وقتل ثلاثين رجلاً واخذ ثيابهم واعطى الحلل لحالّي اللغز . ولا عجب من قتل رجل ثلاثين رجلاً في ايام لم يكن فيها سلاح ايامنا ولم يقل الكتاب انه قتلهم مجتمعين وقد انبأتنا التواريخ ان كثيرين قتل كل منهم اكثر من هذا العدد وشمشون كان قاضياً ورئيساً في قومه الذين يضطهدهم الفلسطينيون فجاز له ان ينكل باعداء قومه (قضاة فصل ١٤).

﴿ عدد ٢٣٦ ﴾

احراق شمشون زروع الفلسطينيين وقتله كثيرين منهم بلحى الحمار

واتى شمشون في اوان الحصاد يزور امرأته وحمل اليها جدياً من المعز ويظهر من هذه الآية وغيرها ان اهل ذلك الجيل كان يوثرون لحم الجدي على

لحم الغنم في الولائم والهدايا ولما اراد شمشون ان يدخل على امرأته في حجرتها صده ابوها وقال انك ابغضتها فزوجتها من احد اصحابك ولكن هذه اختها الصغرى احسن منها فلتكن لك بدلاً منها فقال شمشون اني برئ الآن من الفلسطينيين اذا انزلت بهم شرًّا وانطلق واصطاد ثلث مئة ثعلب واخذ مشاعل فجعل الثعالب ذنبًا الى ذنب وبين كل ذنبين مشعلاً واوقد المشاعل وارسل الثعالب في زروع الفلسطينيين فاحرقت الاكداس والزرع حتى الزيتون ولا يتحتم من كلام الكتاب ان يكون شمشون قد صاد كل هذه الثعالب منفردًا بل يرجح انه اعين على صيدها والكلمة في العبرانية هنا ثعليم وفي السريانية ܬܥܠܐ (تعلى) فتحمل تفسيرها بالثعالب كما ترجمتها النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية او بنات آوي والجقل وهو لفظ فارسي يراد به نوع من الثعالب واثبت كثير من الجوالة في فلسطين وفرة الثعالب فيها . وقال السيد مينرلن في كتابه الموسوم بالاماكن المقدسة (طبعة سنة ١٨٥٨ مجلد ٢ صفحة ١٥٦) انه بينما كان في محلة قريبة من محل شمشون سمع عواء الثعالب من جميع المغاور والكهوف والغابات وقال « لا اعلم ان كان ثمة ثلث مئة ثعلب لكنني موقن انه لو وجد شمشون اخر واراد ان يحرق زروع بلاد الفلسطينيين لصاد من هذا الوادي وحده ما كفى وناف على عداد الثعالب اللازم لحرقها » وكان احراق زروع العدى من عادات كل جيل وكل مكان فقد وجدت صفيحة مصرية تعرف بصفيحة اونا نقش عليها لنحو من ثمانية وعشرين او ثلثين قرنًا قبل المخلص على ما رأى شباس (في كتابه دروس القدم صفحة ١٢٢) ما ترجمته « ذهب الجنود بسلام فيقوضون الحصون المنيعة ذهب الجنود بسلام فيبيدون زيتون البلاد وكرومها . ذهب الجنود بسلام فيحرقون الزروع » وجاء في اثر لاوزر تاسان الثالث في سمنة على عدوة النيل خط فيه « ان هولاء (اي

سودان بلاد النوبة) ليسوا رجالاً يستحقون الالتفات فقد اخذت نساءهم وقبضت على شعبهم عند خروجهم لاستقاء الماء من الابار واهلكت مواشيهم واحرقت زروعهم، ولا حاجة الى ان نذكر مواطنينا بدبيب هذه العادة السيئة الى بلادنا من اقدم الاعصر بل نتمنى نسخها

اما الفلسطينيون فلشدة حنقهم احرقوا المرأة واباها بالنار واما شمشون فضربهم ضربة اخرى عظيمة لم يفصلها الكتاب ثم نزل واقام في كهف صخرة عيطم قال الاب فيكور (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٥) يحتمل ان هذا الكهف كان في اخر سفح جبل يهوذا على مقربة من دير دوبان ولكن في كتاب اعلام الاماكن انه كان في قرية بيت عتاب في غربي بيت لحم فصعد الفلسطينيون وحلوا في ارض يهوذا فقال لهم رجال يهوذا لماذا صعدتم علينا فقالوا لنوثق شمشون ونصنع به كما صنع بنا فاتى ثلاثة الاف رجل من يهوذا الى كهف صخرة عيطم وقالوا لشمشون اما تعلم ان الفلسطينيين متسلطون علينا فجئنا لنوثقك ونسلمك الى ايديهم فقال لهم احلفوا لي انكم لا تقعون انتم بي فقالوا لا نقتلك ولكن نوثقك ونسلمك اليهم فاوثقوه بحبلين جديدين واصعدوه من صخرة عيطم ولما انتهى الى حيث الفلسطينيون صاحوا عند لقائه فقطع الحبلين الموثوق بهما كانهما كتان مشيط بالنار ووجد لحى حمار فتناوله فقتل به الف رجل وقال بلحى حمار كدست كومة كومتين وبفك حمار قتلت الف رجل ورخى اللحى من يده ودعا ذاك المكان رامة لحى . اما قطعه الحبلين فبالقوة غير العادية التي حباه الله اياها . واما ضربه الف رجل كما في النص العبراني او قتلهم كما في الترجمات فنسبته الى شمشون نسبة ظفر الجنود الى القائد فكثيراً ما يقال ان فلانًا القائد افتتح المدينة او كسر جيش العدو ولا يكون المراد منه انه فعل ذلك بنفسه منفردًا فقد يكون بعض من

بني يهوذا عاونوا شمشون على قتل الفلسطينيين بعد ان رأوه قطع وثاقه وبطش باعدائهم . وهب انه صنع ذلك بنفسه فما على الله امر عسير وقد كان الرعب تولى قلوب الفلسطينيين لما سمعوا ورأوا من اعمال هذا البطل

وقد عطش شمشون بعد هذه الموقعة حتى كاد يهلك عطشاً فصرخ الى الرب ، فشق الله مورم الفك فخرجت منه مياه فشرب ورجعت روحه اليه (اي قوته) وعاش ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهي في لحى الى اليوم ، كذا في نسخة الآباء اليسوعيين البيروتية ومورم الفك منبت الاضراس فيه . وفي الترجمة العربية التي طبعها الامريكيون في بيروت سنة ١٨٨٤ ، وشق الله الكفة التي في لحى فخرج منها ماء فشرب ، والكفة كل مستدير ونقرة يجتمع فيها الماء وقال بعض المفسرين تبعاً لظاهر الاية ان الماء خرج من فك الحمار والله على كل شيء قدير ولكن يظهر من الترجمة الكلدانية ان الماء خرج لا من اللحى اي الفك بل من المحل الذي رماه فيه وسمى رامة لحى اي مرمى اللحى فالعرب وغيرهم من اصحاب اللغات يسمون كل صخر مرتفع ومنقطع عن غيره سناً وعليه فيكون المعنى ان الله شق سناً اي صخراً في المحل المسمي لحى فخرجت منه مياه وباقي الاية مشعر بذلك كقوله ، ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهو في لحى الى اليوم ، والا لقال ، واللحى باقٍ الى اليوم ، وذكر كلمت ان كليكاس (في قسم ٢ من تاريخه) وانطونيوس الشهيد (في اخبار رحلته) ذكرا عين الداعي هذه وقالا انها كانت في ايامهما ولم يشيرا الى انها خارجة من فك حمار . وقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود كـه فصل ١٠) ان العين خرجت من صخر وعليه مشى اكثر المفسرين ولا حاجة الى تكثير المعجزات فكيفي اخراج الماء من صخر اومن الارض . وقال بروكوب (في مقدمات مكتبة الآباء اليونان مجلد ٨٧ جزء ١) ، يقال ان الله فتح ثقباً في

الفك فاخرج منه المياه والامثل انه فتح الارض بالفك ، واما موقع اللحى او رامة لحى فقال فيه كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٩٦) انه كان في المحل المسمى الان خربة عين اللحى قريباً من عتان في غربي بيت لحم وبيت جالا واسند ذلك الى ان الاسم الان وفي سفر القضاة واحد والى قرب هذا المحل من عتان حيث كانت صخرة عيطم التي لجأ شمشون اليها ولا يقدر ان الفلسطينيين اجتمعوا في محل بعيد عن مخبأ شمشون

﴿ عد ٢٣٧ ﴾

﴿ اقتلاع شمشون باب غزة وحمله وقبض الفلسطينيين عليه وموته ﴾

جاء في سفر القضاة (فصل ١٦) ان شمشون انطلق الى غزة ودخل الى بيت بغي او صاحبة نزل فاحتاط به الفلسطينيون سكان غزة وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة واوصدوا الباب وقالوا عند الصبح نقتله فقام شمشون عند نصف الليل فاخذ مصراعي باب المدينة بعضادتيه وقلع الباب ومغلاقه وصعد به الى راس الجبل الذي قبالة حبرون وهو اكمة في الجنوب الغربي من غزة تسمى المنطاد فالتقليد القديم واهل غزة الان ايضاً يقولون ان شمشون على هذه الاكمة وضع باب المدينة (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٩)

واحب شمشون بعد ذلك امرأة اسمها دليلة ساكنة في وادي سوديق وهو الوادي الممتد من سفح الجبل المبنية عليه صرعة المار ذكرها نحو الغرب . قال كثير من الاباء القدماء منهم فم الذهب (خطبة ١٧) والقديس افرام (في تفسيره سفر التكوين) ان شمشون اتخذ هذه المرأة زوجة شرعية وقال غيرهم انها كانت سرية تسراها وعلم بذلك اقطاب الفلسطينيين فصعدوا اليها واغروها بمال وقالوا خادعيه وانظري بماذا قوته وبماذا نتمكن منه واخذت تتدلل عليه

وتساله بتلطف بماذا قوته وشعر بمكرها فقال اذا اوثقوني بسبعة اوطار طرية لم تجف فاضعف واصير كواحد من الناس فدفع اليها الاقطاب هذه الاوتار فشدته بها والكمين رابض عندها وقالت دهمك الفلسطينيون ياشمشون فقطع الاوتار كما يقطع خيط المشاقه اذا شيط بالنار وعادت تتدلل عليه وتعتبه لانه كذبها الحديث فقال لها ان اوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل قط فاني اضعف فشدته كذلك وصاحت دهمك الفلسطينيون ياشمشون والكمين رابض فقطع الحبال كما يقطع الخيط . فقالت الى متى تخدعني وتكذبني فاخبرني بما توثق فقال اوثق اذا ضفرت سبع خصل راسي مع السدى (ما مدمن خيوط النسيج وهو خلاف لحمته) فشدت خصل شعره بالسدى ومكنتها بالوتد وقالت كالاول فاستيقظ من نومه وقلع وتد النسيج والسدى وعادت تضايقه وتضاجره كل يوم فضاقت نفسه وكاشفها بسره قائلاً لم يعلُ موسى راسي لاني نذير للرب من بطن امي فان حلق راسي فارقتني قوتي ورأت انه كاشفها بما في قلبه فدعت اقطاب الفلسطينيين واضجعته على ركبتيها ودعت رجلاً فحلق سبع خصل راسه وصاحت دهمك الفلسطينيون ياشمشون فاستيقظ من نومه وقال اخرج كما كنت اصنع كل مرة وانتفض وهو لا يعلم ان الرب فارقه لاخلافه نذره ووثب الفلسطينيون الكامنون فقبضوا عليه وفقوا عينيه وشدوه بسلسلتين من نحاس ونزلوا به الى غزة وكان يطحن في السجن . ولا نحتاج الى اخبار قومنا بما اعلم تومسن الانكليزي قومه بالارحاء التي تدار باليد ووضع صورة امرأتين تديران رحى فان هذه الارحاء ما برحت في كثير من قرانا وهي المعروفة بالجاروشة

وقد حان اوان الاخذ بالثار فان شعر شمشون اخذ يطول واجتمع اقطاب الفلسطينيين ليذبحوا ذبيحة لداجون معبودهم واتوا بشمشون ليلعب امامهم

فاتى ولعب واقاموه بين العمد فقال للصبي الآخذ بيده دعني المس العمد القائم عليها البيت حتى اتكئ عليها وكان البيت غاصاً بالرجال والنساء وفوق السطح نحو ثلاثة الاف منهم يتفرجون على شمشون وهو يلعب فصلى الى الله صلوة خاشعة وقبض على العمودين الذين في الوسط القائم عليهما البيت واتكأ عليهما آخذاً احدهما بيمينه والاخر بشماله وقال لتمت نفسي مع الفلسطينيين وانحنى بشدة فسقط البيت على الاقطاب وجميع من فيه فكان الموتى الذين قتلهم في موته اكثر من الذين قتلهم في حياته ونزل اخوته واهله فحملوه ودفنوه بين صرعة واشتاوول في قبر منوح ابيه وكان قد تولى القضاء على اسرائيل عشرين سنة

واصح تفسير للايات المنبئة بسقوط البناء على شمشون والفلسطينيين هو ما ذكره العالم ستارك في مقالته في غزة وشاطي فلسطين حيث قال ما ملخصه ان الملعب لم يكن هيكل داجون نفسه بل اروقة بجانبه قائمة على اعمدة يتخللها عرصة تجتمع الناس فيها وعلى اسطحة الاروقة المستوية فيتيسر لشهد روية اللاعبين ويصل بين الاعمدة المتقاربة جذوع من خشب فزعزعة عمودين منها ادت الى انقياض البناء كله فمات من كان تحته ومن كان فوقه . ويظهر ان شمشون صنع ذلك بالقوة غير العادية التي حباه الله بها وكانت عاودته بعد ان طال شعره وقد اراد الله ذلك انتقاماً من الفلسطينيين الذين كانوا يضطهدون شعبه فجعل شمشون ينتقم منهم في حياته وعند مماته ورأى بعض الاباء والعلماء انه يمكن تبرئة شمشون من الاثم فهو كان قاضياً وحاكماً ومدافعاً عن بني اسرائيل فكان له ان يتعمد مضرة اعدائهم ونفع قومه ولو بتعريض نفسه للموت كما فعل ويفعل كثير من الملوك وقواد الجيوش باقتحامهم بانفسهم حومة الوغى

وقد وجد العالم كاران مدفن شمشون اذ قال (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٢٤) انه بينما كان في قرية بيت عتاب القريبة من صرعة اخبره بعض سكانها انه يوجد محلٌ على مقربة من صرعه وعرطوف يسمى خربة عسلين وان ثمة معبدًا تسميه العامة ولي شيخ غريب وانهم هم يسمونه قبر شمشون ويعتقدونه كذلك وقال ذكرتني هذه الاخبار ان شمشون بعد ان مات تحت الردم في غزة حمله اخوته ودفنوه في مدفن ابيه منوح بين صرعة واشتاوول وقال لي سكان بيت عتاب ان القرية المسماة الان اشوع كانت تسمى قديما اشوعال او اشتوعال فرأيت ان هذه الا اشتاوول التي ذكرها الكتاب وصرعه معًا والمدفن بينهما وقد شخصت الى خربة عسلين وعاينت مقام ولي شيخ غريب وهو الان معبد للاسلام وقد يكون المعبد بني فوق المدفن ولما كانت خربة عسلين واقعة بين صرعة جنوبًا وبين اشوعال اي اشتاوول في الشرق الشمالي رايت ان المحل المسمى الان ولي شيخ غريب هو مدفن شمشون ويؤيد ذلك ان الربيّ اسحق كالو الذي جال في فلسطين سنة ١٣٣٣ قال في مقالته الموسومة بطرق اورشليم « ومن اورشليم الى صرعة وطن شمشون... والسكان يدلون هناك على مدفن شمشون وهو اثر قديم مزين بفك الحمار الذي قتل به الفلسطينيين » والحاصل ان مواقع هذه المحال المطابقة لنص الكتاب والتقليد الذي حفظه سكان تلك الناحية وما رواه الربيّ اسحق المذكور جعلت كاران يرى ان هناك مدفن شمشون وابيه منوح وتبعه في ذلك الاب فيكودرو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٧٠) ذاكرًا كلام كاران برمته وجميع هذه الاماكن واقعة بين الرملة واورشليم حيث الخط الحديدي الان

عد ٢٣٨

احداث داخلية في مدة القضاة

قد ذيّل كاتب سفر القضاة سفره بخبر حدثين ذكرهما في الفصول الاخيرة منه فهما مقدمان حدثاً وان تأخرا وضعاً اولهما ان رجلاً من جبل افرائيم اسمه ميخا اخذ الف ومئة مثقال فضة من امه فردها عليها فاخذت امه مئتي مثقال منها ودفعتها الى الصائغ فعملها صنماً منقوشاً وكرّس ميخا يد احد بنيه فصار له كاهناً ثم اخذ لاوياً فكرس يده وجعله كاهناً له وكان بنو دان ارسلوا رجالاً ليجسوا الارض ويوسعوا ميراثهم فباتوا في بيت ميخا وعرفوا الفتى اللاوي ولما اتوا برجالهم للاستيلاء على لايش التي سموها دان (تل القاضي الان) اخذوا اللاوي والصنم ونصبوه في مدينتهم الجديدة وعبدوه اكتفاءً به عن بيت الله في شيلو (سيلون)

والحدث الثاني ان رجلاً لاوياً من جبل افرائيم اتخذ امرأةً من بيت لحم يهوذا فتركته وعادت الى اهلها فسار في طلبها وعاد بها الى بيته واغربت الشمس عليهما عند يبوس (اورشليم) ولم يَرد الميت فيها لان اهلها من الكنعانيين وتقدما الى جبع وهي المعروفة الان بتل الفول على بعد ميلين ونصف شمالاً من اورشليم على ما رجح كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٩٢) سنداً الى شهادة يوسيفوس وحجج روبينسون ودخل الرجل وامرأته بيتاً ليبيتا فيه فاختطف قوم اشرار المرأة وفجروا بها حتى ادّى الى موتها فحمّلها رجلها على حماره الى مكانه وقطعها مع عظامها اثني عشرة قطعة ووزعها في جميع تخوم اسرائيل فاستفظع بنو اسرائيل هذا الصنيع وأتمروا وخرج اربع مئة الف من كل اسباط اسرائيل بطلب الجانين ليقتصوا منهم بقتلهم ويصرفوا الشر والعار عن بني اسرائيل فأبى بنو بنيامين ان يسمعوا لمقال اخوتهم فحاربهم بنو اسرائيل

فقُتل من بني اسرائيل اثنان وعشرون الف رجل فخشعوا الى الرب وصاموا وعادوا الى الحرب مع آل بنيامين فقتلوا منهم خمسة وعشرين الفاً وارتدوا الى الناس الذين في المدينة فقتلوهم واحرقوا مدنهم بالنار وحلفوا بان لا يزوج رجل منهم ابنته لاحد من بني بنيامين ثم ندموا على قرضهم سبطاً من اسباط اسرائيل ولم يكن باقياً من سبط بنيامين الا ست مئة رجل فرّوا واختفوا في صخرة الرمّون وهي رومان الان في شرقي بيت ايل (اعلام الاماكن) ولما لم يجدوا احداً من اهل يابيش جلعاد (السلط) عاونهم على بنيامين سيروا اليها اثنى عشر الفاً فقتلوا الرجال والنساء واستبقوا اربع مئة صبية اشخصوهنَّ الى شيلو واستدعوا البنيامينيين فصالحوهم وازوجوهم هولاء البنات وبقي مئتان منهم فارسلوهم عند خروج البنات الى الرقص في عيد سنوي في شيلو فكمنوا في الكروم وخطفوا مئتي بنت من شيلو وتزوجوا بهنَّ وقالوا لا يكون اهلهنَّ اخلفوا يمينهم لانهم لم يعطوهم اياهنَّ طوعاً . فهذا مثالٌ لما كان عليه بنو اسرائيل في تلك الايام من الهمجية

كانت راعوت المواية في عهد القضاة ايضاً على ان الكتاب افرد لها سفراً مخصوصاً فنذكر خبرها في العدد التالي

الفصل الحادي عشر

(في راعوت وعالي الحبر وصموئيل النبي)

﴿ عد ٢٣٩ ﴾

في راعوت الموابية

قد انبأنا الكتاب باخبار راعوت في السفر المنسوب اليها متضمناً اربعة فصول فقط وموضوع هذا السفر بيان نسب داود اصل السلالة الملكية التي ولد منها المخلص وهذا النسب لم يذكر في سفر الملوك بل ذكر في هذا السفر في الفصل الرابع منه من عد ١٨ الى عد ٢٢ قال الاب فيكورو (الموجز الكتابي عد ١٦٠) « ان هذا النسب غير كامل اذ لم يذكر به من فارص بن يهوذا الى داود الاَّ عشرة آباء وهذا العدد غير كافٍ لمدة ستة او ثمانية قرون على ان الكاتب اراد ان يذكر اخص اجداد داود فقط وان يثبت انه من اصل يهوذا بن يعقوب » وقد جاء في الفصل الاول من بشارة متى ان عدد هولاء الاباء من فارص بن يهوذا الذي نزل مع ابيه الى مصر الى سلمون الذي تزوج براحاب انما هو سبعة كما في سفر راعوت ايضاً وعدد السبعة الاباء في مدة عبودية بني اسرائيل في مصر وهي اربع مئة وثلاثون سنة ومدة اقامتهم في البرية وهي اربعون سنة هو كافٍ لهذه المدة التي مجموعها اربع مئة وسبعون سنة ولكن العدد الذي ذكر في بشارة متى وسفر راعوت وهو ان سلمون ولد بوعز الذي تزوج براعوت وولد منها عوبيد وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود هو غير كافٍ لمدة القضاة ولمدة ملك شاول اربعين سنة فان كان حذفٌ من اسماء هولاء الاباء فيكون في هذه المدة من سلمون الى داود الاَّ ان يقال ان هولاء الاباء

كانت اعمارهم طويلة او ان يقال مع لانرمان ان مدة القضاة كانت اقل مما جاء في كل التقاويم التي أذيعت حتى الان طالع ما ذكرناه في عد ٢٢٦ وقد كانت راعوت في مدة القضاة ولذا حسب بعضهم السفر المنسوب اليها ذيلاً او تتمة لسفر القضاة ولكن لا يمكن ان يعين في مدة اي القضاة كانت الاحداث المحكى عنها في هذا السفر فرجح بعضهم ان الجوع الذي استهل السفر بذكره كان في ايام تسلط المدينين على بني اسرائيل اي في مدة جدعون وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ٩) ان بوعز الذي تزوج براعوت كان في ايام عالي الآتي ذكره . وكذا لا علم يقين لنا بمن كتب هذا السفر فنسق عباراته مخالف لنسق سفر القضاة وسفري الملوك الاولين وعزاه كثير من العلماء الى صموئيل وقال غيرهم ان حزقيا كتبه ولا حجة لهم في ما يدعون والظاهر انه دوّن في ايام داود او بعيد موته لاختتام النسب الوارد فيه بذكر هذا الملك

واما الاخبار الواردة في هذا السفر فهي انه كان في ايام حكم القضاة جوع في ارض فلسطين فهاجر رجل من بيت لحم يهوذا اسمه اليملك الى ارض مواب هو وزوجته نعمى وابناه محلون وكليون فتوفي اليملك واتخذ ابناه امرأتين موابيتين اسم الواحدة عرفة واسم الاخرى راعوت واقاما هناك عشر سنين وماتا فعزمت نعمى على العود لوطنها ورافقتها كنتاها فسألتهما ان يبقيا في وطنهما بين اهليهما وألحّت نعمى عليهما فبكتا واذعنت عرفة لسؤالها واما راعوت فاصرّت على مرافقة حماتها حتى الموت وقالت حيثما ذهبتِ اذهب وحيثما بتِ ابتْ شعبك شعبي والهك الهي وحيثما تموتي امت وهناك أدفن وذهبتا كلتاهما حتى دخلتا بيت لحم وكان لاليملك ذو قرابة اسمه بوعز فذهبت راعوت لتلقط سنابل من وراء الحصادين واتفق ان كان قطعة حقل لبوعز وان

راعوث مضت اليها ولما اقبل بوعز سأل غلامه القائم على الحصادين لمن هذه
الفتاة فقال هي فتاة موابية رجعت مع نعمى من ارض مواب فقال لها بوعز
لا تذهبي تلتقطي من حقل اخر ولا تبرحي من ههنا والاطفها واثنى عليها بصنيعها
مع حماتها واباحها ان تشرب من اوعيتهم وتاكل من خبزهم وتغمس لقمتها
بالخل معهم وقدم لها فريكاً فاكلت وشبعت واستبقت ما فضل معها واعطت
حماتها عند عودها ما فضل عنها بعد شبعها وقالت لها حماتها ان بوعز هو ذو
قرابة لهم وان تلازم حقله وان تغتسل وتتطيب وتلبس ثيابها واذا رقد تعاين
مرقده وتكشف جهة رجليه وتضجع فيخبرها بما تصنع ففعلت راعوت ما قالت
حماتها وقلق بوعز عند انتصاف الليل فاذا بامرأة مضجعة عند رجليه فسألها من
هي فقالت انا راعوت امتك فابسط ذيل ثوبك لانك ولي فباركها وقال انها
فاضلة ونعم انه ولي لكن لها وليا اقرب منه وتركها تبيت ليلتها وقامت قبل ان
يعرف الانسان صاحبه فكال لها ستة اكيال شعير وجعلها عليها فعادت الى حماتها
فاخبرتها بما كان ودخل بوعز المدينة وجلس على الباب فاذا الولي الذي تكلم
عنه عابر فدعا بعشرة رجال من اشياخ المدينة وقال للولي ان نعمى باعت حصة
حقل اليملك اخينا فان كنت تريد ان تفتكّ فافعل والا فاخبرني لانه ليس
من يفتك غيرك وانا بعدك فقال انا افتك فقال بوعز انك يوم تشتري الحقل
تأخذ راعوت امرأة الميت لتقيم اسمه على ميراثه فقال الولي اشترِ انت لنفسك
وخلع نعله وكذا كانت العادة في اسرائيل في امر الفكاك والمبادلة ان يخلع الرجل
نعله ويدفعه لصاحبه فاشهد بوعز الشيوخ وجميع الحاضرين انه اشترى جميع ما
كان لاليملك وابنيه وانه اخذ راعوت امرأة له فقال جميع القوم فليجعلها الرب
كراحيل وليا واتخذ بوعز راعوت فولدت له عوبيد وهو ابو يسى ابي داود
وقال كثير من المفسرين ان بوعز وراعوت لم يرتكبا اثما عند اضجاعها جهة رجليه

﴿ عد ٢٤٠ ﴾

في عالي الحبر

ان عالي كان من قضاة بني اسرائيل وبينما كان يلي قضآءهم في شيلو مركز الامة حيث بيت الرب كان شمشون ينكل بالفلسطينيين في جنوب البلاد على ان كاتب سفر القضاة اغفل ذكر عالي وكاتب سفري الملوك الاولين المعروفين بسفري صموئيل لم يذكره الا استطراداً في معرض ذكر اخبار صموئيل . ولم ينبئنا الكتاب انه شهد حرباً او خلص بني اسرائيل من عدو لهم كما فعل باراق وجدعون وغيرهما بل انه كان حبراً يعني باتمام ما فرض في السنَّة الموسوية ويدعو الى عبادة الله في خباء المحضر المنصوب في شيلو ويفصل الدعاوى بين بني اسرائيل فكان حبراً وحاكماً معاً وهو من ذرية هرون لكنه لم يكن من ولد اليعازر الذين لهم حق رئاسة الاحبار بل من ولد ايتامار بن هرون ايضاً ولم يذكر الكتاب لِمَ او متى او كيف انتقلت رئاسة الاحبار من بني اليعازر الى بني ايتامار وقد استمرت فيهم الى ايام سليمان بل تبين منه ان عالي كان فاضلاً غيوراً ورعاً لكنه كان ضعيفاً لا يتمالك كف ابنيه حفني وفنحاس عن المساوي وانتهاك حرمة الهيكل بل كان يعتبهما عتاباً رقيقاً يزيدهما تورطاً

وكان الفلسطينيون ازدادوا جرأة وسطوًا ولم يقتصروا على مضايقة بني اسرائيل في الجنوب بل تطرق اعتداؤهم الى من سكن منهم في وسط فلسطين وشمالها والى الفونيقيين ايضاً فخرج بنو اسرائيل لقتالهم ونزلوا في المحل الذي سمي بعد ذلك حجر النصرة ونزل الفلسطينيون في افيق وقد جاء في معجم الكتاب لفيكورو ذكر قولين في حجر النصرة وافيق اولهما لكوندر وكارمون كانو قالا فيه ان حجر النصرة كان في محل دير ابان الان بعيداً نحو ثلثة اميال شرقاً عن عين شمس وهي بيت شمس القديمة في شمالي بيت الجمال وعليه

فرجح ان افيق كانت في المحل المسمى الان البلاد الفوقا على بعد نحو ستة كيلومترات في الجنوب الغربي من دير ابان وثانيهما لبيرش وتوما شلبلين قال اولهما ان حجر النصرة كان في محل خربة صموئيل الان على بعد الف وست مئة متر جنوباً من المحل المسمى النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم وقال ثانيهما ان حجر النصرة كان في محل بيت عكسه الان واتفق اثناهما ان افيق كانت في محل القسطل في غربي اورشليم وشرقي ابي غوش ومهما يكن من امر المكان فقد التحمت الحرب وانهزم بنو اسرائيل من وجه الفلسطينيين وقتل منهم اربعة الاف رجل وعادوا الى محلاتهم جزعين فارسلوا وحملوا تابوت عهد الرب من شيلو الى معسكرهم وسار معه حفني وفنحاس ابنا عالي فاكثر بنو اسرائيل من الهتاف عند حلول التابوت بينهم واملوا النصر به على اعدائهم كما دكت به اسوار اريحا ايام اجدادهم لكنهم لم يشاكلوهم ايماناً وتكلاناً على الله ولذا خذلهم عند عودهم الى محاربة الفلسطينيين فانهزموا وتشتت شملهم وهرب كل منهم الى خيمته وقتل منهم ثلاثون الف رجل منهم حفني وفنحاس وأخذ تابوت عهد الله وجرى رجل الى شيلو واذاع الخبر فيها فتعالى الضجيج وسمع عالي وكان ابن تمانٍ وتسعين سنة فسقط عن الكرسي الى خلفه فاندق عظم عنقه ومات وكان قد تولى قضآء اسرائيل اربعين سنة كذا في النص العبراني والترجمة اللاتينية العامية ولكن في السبعينية عشرين سنة . وكانت كنته امرأة فنحاس حبلى وقد دنت ايام ولادتها فلما سمعت ان التابوت أخذ وان حماها وبعلها ماتا سقطت وولدت واشرفت على الموت فقال لها من حولها لا تخافي قد ولدتِ غلاماً فلم تجبهم ولم تمل قلبها وسمت الصبي ايكابور قائلة قد انتقل المجد عن اسرائيل وقال يوسيفوس ان معنى الكلمة عار وذل لكنه رواها يواخاب او يوكاب . (ملوك اول فصل ٤)

﴿ عد ٢٤١ ﴾

ضربات الله الفلسطينيين لامساكهم تابوت العهد واضطرارهم الى رده

لم يحسب الفلسطينيون انتصارهم على بني اسرائيل نصرة شعب على شعب فقط بل وهموا انه انتصار داجون معبودهم على اله بني اسرائيل فاخذوا تابوت العهد واقاموه في هيكل داجون في اشدود (اسدود) كأنه ليسجد له وكانوا يعتقدون داجون مصدر القوة المولدة على نحو ما كان يعتقد الكنعانيون مصدر هذه القوة في بعل . وقد دلتنا الآثار القديمة انهم كانوا يصورون معبودهم هذا نصفه الاعلى بهيئة انسان ونصفه السفلي بهيئة سمكة تذكرة لاسفارهم البحرية وقد اتفقت في هذا اكثر التماثيل التي بلغت الينا وان اختلفت في بعض الاعراض ومن هذه التماثيل صفيحتان من فضة احداهما في منضد بروسبر دوبرا في باريس والثانية في متحف مكتبة الامة هناك تمثلان الها رأسه وذراعاه بشرية وسائر جسمه بهيئة الدُحَس (الدلفين) وبيد كل منهما سمكة وكأنهما عائمان في تيار البحر وقرينة داجون او امرأته المسماة درغات تُصوّر بهيئة امرأة وسمكة ومن صورها كذلك التمثال الذي في متحف اللوفر في بريس . وقد شاء الله ان يخزي الفلسطينيين ومعبودهم فانه لما دخل الكهنة في الغد بيت داجون وجدوا تمثاله ملقى على وجهه على الارض امام تابوت الرب فردوه الى موضعه وبكروا في صباح الغد فاذا بداجون ملقى على الارض امام التابوت ورأسه وكفاه مقطوعة عند اسكفة الباب وجثته وحدها في موضعها . قال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٩١) ان في متحف اللوفر تمثالاً اشورياً نُقل اليه من قصر سرغون يمثل داجون ساقطاً على وجهه ورأسه مقطوع من عنقه ويداه محطّمتان واسفل جسمه الذي هو بهيئة سمكة باقٍ

على سلامته

ولم يكتفِ الله باذلال داجون بل انبأنا الكتاب ان قد « ثقلت يد الرب على الاشدوديين فدمرهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها » الكلمة العبرانية افاليم المترجمة هنا بالبواسير تدل وضعاً على شيء مرتفع او اكمة ولذا ذهب بعض المفسرين ان المراد البواسير وذهب غيرهم الى ان المراد نوع من الدمّل او الخراج وسمى يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٦ ف ١) هذا المرض دستريا والاظهر انه البواسير . وروى هيرودت (ك ٢ من تاريخه ف ١٠٥) ان التتر لما نهبوا هيكل افروديط في عسقلان أُصيبوا بمرض يستحى منه فقال كثير من العلماء ما مصدر هذا التقليد الذي رواه هيرودت الا المرض الذي اصاب الاشدوديين عند امساكهم تابوت العهد وجاء في اكثر نسخ الترجمة السبعينية وفي اللاتينية العامية ذكر ضربة اخرى اذ قيل « وهاجت القرى والصحارى في وسط ارضهم وتولدت الفيران وحدث اضطراب موت شديد في المدينة » فهذه الاية يخلو عنها النص العبراني والترجمتان السريانية والعربية على انه جاء في النص العبراني (فصل ٦ عد ٥) ان الاشدوديين صنعوا « خمسة بواسير من ذهب وخمس فيران من ذهب » فهذا مؤيد لرواية السبعينية واللاتينية ومثبت نزول هذه الضربة بالاشدوديين وقد اضرت الفيران بزروعهم واشجارهم فكان ذلك عقاباً اخر لهم ومدعاةً لردهم تابوت الرب . وكثيراً ما تضر الفيران في زروع فلسطين الى اليوم فحملت هذه الضربات اهل اشدود ان يستدعوا اليهم اقطاب الفلسطينيين ويستشيروهم في ما يفرج ضيقهم فقالوا ننقل هذا التابوت الى جت (ذكرين) وفعلوا فاصاب اهل جت ما اصاب الاشدوديين فصرخوا ونقلوه الى عقرون (عاقر) فاصابهم ما اصاب غيرهم فاجمعوا على رده لئلا يقتلهم وشعبهم (ملوك ١ فصل ٥)

ودعا الفلسطينيون الكهان والعرافين ليخبروهم كيف يرسلون تابوت العهد الى موضعه فقالوا لا ترسلوه فارغاً بل ادوا له كفارة على عدد اقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمس فيران من ذهب فتصوغون مثال بواسيركم ومثال فيرانكم المفسدة لارضكم وتؤدون بذلك مجداً لاله اسرائيل لعله يخفف يده عنكم وعن الهتكم وارضكم واصنعوا عجلة جديدة وخذوا بقرتين مرضعين لم يعلُهما نير وشدوا البقرتين الى العجلة وردوا عجليهما الى البيت واجعلوا التابوت على العجلة وادوات الذهب في صندوق بجانبه وانظروا فان صعدت البقرتان به في طريق تخومه جهة بيت شمس يكون هو الذي انزل بنا هذا البلاء العظيم والا علمنا انما كان ذلك اتفاقاً ففعل القوم كذلك فتوجهت البقرتان في سبيلهما على طريق بيت شمس وهما تخوران (تصيحان) في مسيرهما ولم تميلا يمنة ولا يسرة الى ان وقفتا في حقل يشوع الذي من بيت شمس فاتى اهل بيت اهل شمس فرحين برؤية التابوت وانزل اللاويون التابوت عن العجلة والصندوق الذي فيه التماثيل الذهبية وكان هناك صخر عظيم فشققوا خشب العجلة واصعدوا البقرتين محرقة للرب وقدموا ذبائح اخرى شكراً لله وكانت مدة اقامة التابوت في ارض الفلسطينيين سبعة اشهر (ملوك ١ ف ٦) وقد مر ان بيت شمس هي عين شمس الان في شمالي بيت الجمال وفي الجنوب الغربي من قرية ابي غوش

ان اهل بت شمس انقصوا من الاحترام المفروض لتابوت عهد الرب كان مسه من لم يكونوا كهنة منهم او فتحوه لينظروا ما فيه دون تجلة واكرام فسخط الرب عليهم وامات بعضهم اذ قال الكتاب (ملوك ١ فصل ٦ عد ١٩) «وضرب الرب اهل بيت شمس لانهم نظروا الى تابوت الرب وقتل من الشعب سبعين رجلاً وكانوا خمسين الفاً» كذا في ترجمة الاباء اليسوعيين

المطبوعة في بيروت وعليها فلا اشكال في الاية اذ يكون المعنى انه اجتمع في بيت شمس عند حلول التابوت فيها خمسون الفاً من الانحاء المجاورة ولما لم يبدوا التكريم المفروض له ضرب الرب سبعين رجلاً ممن كانوا منهم اكثر قحة . الا ان النص العبراني « وقتل من الشعب سبعين رجلاً خمسين الف رجل » وفي الترجمة اللاتينية العامية « ضرب الرب بعضاً من رجال بيت شمس لانهم نظروا الى تابوت الرب وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسين الفاً من السفلة » وفي ترجمة الاميركان اليروتية « وضرب من الشعب خمسين الف رجل وسبعين رجلاً » ولذا اعضلت الاية المفسرين وذهبوا في تفسيرها مذاهب اصحها ان بعض النساخ القدماء اغفلوا كلمة كانوا قبل قوله خمسين الف رجل ليكون صحيح الاية كما جأت في ترجمة اليسوعيين او ان النساخ زادوا سهواً « خمسين الف رجل » ولا اصل لها في النص واحتج القائلون بهذا المذهب ومنهم كايل الشهير بأن هذه العبارة ساقطة في كثير من النسخ المخطوطة العبرانية وبان يوسيفوس لم يذكر الا سبعين رجلاً وبانه لم يسمع في العبرانية ذكر عدد العقود قبل عدد الالوف فكان المتحتم ان يقال خمسين الف رجل وسبعين رجلاً وبان حرف العطف ساقط من كلمة خمسين . فناح الشعب لان الرب ضربه هذه الضربة العظيمة وارسل اهل بيت شمس رسلاً الى سكان قرية يعاريم ليأتوا ويصعدوا تابوت عهد الرب الى قريتهم فاتوا وادخلوه بيت ابيناداب في الاكمة وقدسوا اليعازر ابنه لحراسة التابوت واستمر التابوت عشرين سنة في قرية يعاريم التي يرجح كاران انها المسماة الان قرية العنب او قرية ابي غوش على طريق المركبات من يافا الى اورشليم تبعد عشرة اميال عن اورشليم ومعنى يعاريم الاشواك او الغابات ويعرا ܥܪܥܐ السريانية التي تجمع ܥܪܥ (يعرين) معناها الاشواك فكأنه كان هناك قديماً غابات جعل

محلها كروماً فسميت قرية العنب

﴿ عد ٢٤٢ ﴾

في مولد صموئيل وخدمته في هيكل الرب في شيلو

افتتح كاتب سفر الملوك الاول كلامه بخبر مولد صموئيل لكن عالي الحبر كان قبله بل كان صموئيل يخدمه في الهيكل فقدمنا خبر عالي وما كان في ايامه على ذكر صموئيل وان أخَّره الكتاب وضعاً . فقد جاء في الفصل الاول من سفر الملوك الاول انه كان رجل من الرامتائيم صوفيم من جبل افرائيم اسمه القانه متزوجاً بامرأتين اسم احداهما حنه واسم الاخرى فننه فرزقت فننه بنين ولم يكن لحنه ولد وكانت ضرتها تغضبها معنتة لها لذلك وكانت حنه مكتئبة النفس وكان زوجها يشخص كل سنة من مدينته الى شيلو ليسجد للرب مع امرأتيه فصلّت حنه الى الرب وبكت ونذرت انها ان رزقها الرب ابناً جعلته نذيراً لله كل ايام حياته ولا يعلو رأسه موسى فاستجابها الرب وحملت وولدت ابناً دعته صموئيل ومعناه الملتمس او المسئول من الرب او سمع الرب . وبعد فطامه جأت امه به الى هيكل الرب في شيلو فكان يخدم عالي فيه وليس المراد بالفطام كفه عن الرضاع بل المراد به استغناؤه عن امه فان العادة في فلسطين فطام الاولاد في السنة الثالثة بعد مولدهم فترى ام المكابيين تقول لاصغر ابنائها (مكابيين ٢ فصل ٧ عد ٢٧) « يابنيَّ ارحمني انا التي حملتك في جوفي تسعة اشهر وارضعتك ثلث سنين » والا لكان صموئيل وقراً على عالي لا خادماً في بيت الرب وقدمت حنه ذبيحة للرب عند تقدمة ابنها لخدمة بيته وفاهت بتسبحة بليغة اشبه بتسبحة العذراء بعد تجسد المخلص بها وهي مثبتة في الفصل الثاني من سفر الملوك الاول وكانت امه تنسج له كل سنة جبة صغيرة وتأتيه بها عند صعودها الى الهيكل . ودعا الرب ذات ليلة صموئيل فظن عالي يدعوه

فركض اليه وقال لبيك فاجابه عالي لم ادعكَ يا بني ارجع فنم فعاد ونام فدعاه الرب ثانية فهب الى عالي فاجابه كالاول فمضى ونام ثم دعاه الرب ثالثة وانطلق الى عالي ففهم عالي ان الرب هو الذي يدعو الصبي فقال له اذهب فنم وان دعاك ايضاً فقل تكلم يارب فان عبدك يسمع وكان كذلك فاعلمه الرب ما يحل ببني اسرائيل وبعالي الحبر وابنيه حفني وفنحاس كما رأيت ومن الصباح استنطقه عالي عما كلمه الرب به فلم يكتمه شيئاً وذاع خبر صموئيل وعلم كل بني اسرائيل ان الرب ائتمنه نبياً وكانوا يسمعون له واختاروه بعد موت عالي وابنيه قاضياً في اسرائيل فكان اخر القضاة واول الانبياء وكان يقيم في الرامتائيم صوفيم الاتي بيان موقعها

اطال كاران الكلام واجاده (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣٦٣ الى صفحة ٣٨٤) في بيان موقع الرامتائيم صوفيم المسماة احياناً الرامة ومما قاله ان بعض العلماء ظن موقعها في جبل الفريديس في الجنوب الشرقي من بيت لحم على مسافة اربعة اميال وحسبه بعضهم في محل صوبا الان في غربي اورشليم على بعد ستة اميال عنها واسندوه الى تقارب الحروف في اسمي صوبا وصوفيم وقال آخرون ان موقعها كان في رام الله في شمالي اورشليم وغربي البيري ثم حقق ان موقعها كان في المحل المسمى الان النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم على الطريق القديم المؤدي من يافا الى اورشليم مثبتاً ذلك بانطباق آيات عديدة من الكتاب على هذا الموقع وبان قرية النبي صموئيل قائمة على اكمتين تصدق عليها تسمية الرامتائيم اي الرامتين والرامة المحل المرتفع وان كلمة صوفيم مشعرة بنسبة هذا المحل الى صموئيل اذ ذكر الكتاب احد جدود صموئيل يسمى صوف بقوله في ابيه القانة انه « ابن يروحام بن اليهو بن توحو بن صوف » فضلاً عن تسمية المحل باسمه منذ زمان لا يعرف بدؤه

﴿ عد ٢٤٣ ﴾

في الاسفار المنسوبة الى صموئيل

ان الاسفار الاربعة التي نسميها اسفار الملوك ليست من قلم كاتب واحد وان كان موضوعها واحدًا بل ان النص العبراني يسمي الاولَين منها سفري صموئيل والاخيرين سفري الملوك وكذلك تسميها نسختنا السريانية على ان الترجمتين السبعينية واللاتينية العامية قسمتاها الى اربعة اسفار معزوة الى الملوك فتغلبت تسميتها باسفار الملوك ولم تكن تسمية السفرين الاولين منها سفري صموئيل للقطع بان هذا النبي كتبهما بل لان اخص مدار الكلام فيهما انما هو على ميلاده وقضائه في اسرائيل ومسحه الملكين شاول وداود وسائر اعماله ومع هذا قد اثبت يوسيفوس وكثير من الاباء ان صموئيل كتبهما الا اخبار الاحداث التي جرت بعد موته . وقال كثير من اليهود وعلماء هذا العصر ان صموئيل دوَّن الاربعة والعشرين فصلاً من السفر الاول وان النبيين جاد وناتان دونا الباقي واحتجوا لقولهم بآية من سفر اخبار الايام الاول (ف ٢٩ عد ٢٩) وهي « واخبار داود الملك الاولى والاخيرة مكتوبة في كلام صموئيل الرآي وناتان النبي وجاد الرآي » الا ان هذه الاية لا تثبت ان صموئيل كتب السفرين المنسوبين اليه ويمكن تخريجها ان كاتب سفر اخبار الايام اراد بكلام صموئيل سفري الملوك الاولين بحسبما كان يسميهما العبرانيون لا لان صموئيل كتبهما بل لان مدار كلامهما عليه لا سيما لان الاحداث المحكى عنها في السفر الثاني جرت بعد موت صموئيل وفي السفر الاول نفسه آيات لا جرم انها كتبت بعد الاحداث المنبئة بها ولم يكتبها كاتب معاصر لها منها قوله « وتولى صموئيل قضآء اسرائيل كل ايام حياته » (ملوك ١ ف ٧ ع ١٥) وقوله « لان الذي يقال له اليوم نبي كان يقال له من قبل رآء » (ملوك ١ ف ٩ ع ٩)

وقوله « فلذلك صارت صقلاج لملوك يهوذا الى اليوم » (ملوك ١ ف ٢٧ ع ٦) وعزا آخرون هذين السفرين الى داود وغيرهم الى اشعيا وارميا وحزقيال او عزرا وليس لاصحاب كل هذه الاقوال بينة قاطعة عليها والحاصل ان الامثل ان نقول ان كاتبهما نكرة لم تعرف الى الان وكل ما يمكن ترجيحه انما هو ان السفرين كتبا بعيد موت سليمان في ايام راحبعام ابنه وانه لا مرية في ان السفر الثاني لم يكتبه صموئيل لان ما انطوى عليه كان بعد وفاته على ان كاتب السفرين الاولين هو غير كاتب السفرين الاخيرين وان قال كثير من المدققين انهما واحد ويستدل على ذلك باختلاف النفس وطريقة الكتابة فالسفران الاولان غاية في فصاحة اللغة العبرانية ونقاوتها من الالفاظ والاساليب الاعجمية والسفران الاخيران ينحطان لغةً عن الاولين ويمازجهما الفاظ ارامية كلدانية وكاتب الاولين صرف عنايته في تدوين اخبار الاشخاص واطال العبارة وكاتب الاخيرين اوجز العبارة واهمل ذكر قرائن عديدة وصرف من العناية في تدوين اخبار الاحداث اكثر منها في تعريف الاشخاص وانسابهم ثم ترى في السفرين الاخيرين ذكرًا صريحًا لاسفار موسى وترى كاتبهما يستشهدها ولا ترى مثل ذلك في السفرين الاولين الى غير ذلك من الادلة (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٤٦٤ وما يليه)

﴿ عد ٢٤٤ ﴾

﴿ محاربة بني اسرائيل للفلسطينيين وظفرهم بهم بارشاد صموئيل ﴾

قد ضايق الفلسطينيون بني اسرائيل فاجتمع هولاء لدى صموئيل شاكين اليه ضيقهم وذلهم فقال لهم ان كنتم تائبين الى الرب من كل قلوبكم فاذيلوا الالهة الغريبة والعشتاروت من بينكم واعدّوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم فازالوها وعبدوا الرب وحده وقال احشدوا كل اسرائيل الى المصفاة

فاصلي لاجلكم الى الرب فاجتمعوا ثمة واستقوا ماء وصبوه امام الرب وكان هذا طريقة دينية دالة على توبة القلب واليها اشار ارميا في مراثيه بقوله (فصل ٢ عد ١٩) « اريقي كالماء قلبك قبالة وجه السيد » وصاموا في ذلك اليوم واخذ صموئيل حملاً رضيعاً واصعده بجملته محرقة للرب وعرف الفلسطينيون انهم مجتمعون فلم يتم صموئيل المحرقة الا واقبل اقطابهم لمحاربة بني اسرائيل فخاف هولاء وقالوا لصموئيل لا تكف عن الصراخ لاجلنا الى الرب فارعد الرب بصوت عظيم على الفلسطينيين وزعجهم فانهزموا من وجه اسرائيل . قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود ف ٢) انهم شعروا بالارض تميد تحت ارجلهم وكانها تفتح فاها لتبلعهم واغشى على ابصارهم برق ورعد قاصف فشلت ايديهم عن حمل سلاحهم فرموه وانهزموا والى ذلك اشار يشوع بن سيراخ بقوله (ف ٤٦ عد ١٦ وما يليه) « صموئيل المحبوب عند الرب نبي الرب سنّ الملك ومسح روساء شعبه قضى للجماعة بحسب شريعة الرب ... دعا الرب القدير عندما كان اعداؤه يضيقون من كل جهة واصعد حملاً رضيعاً فارعد الرب من السماء وبقصيف عظيم اسمع صوته وحطّم روساء الصوريين وجميع اقطاب فلسطين » فضربهم بنو اسرائيل من المصفاة الى ما تحت بيت كار فاخذ صموئيل حجراً ونصبه بين المصفاة والسن وسماه حجر النصرة وقال الى ههنا نصرنا الرب وسيأتي بيان موقع هذه الاماكن وانتهز بنو اسرائيل الفرصة فاستردوا المدن التي اخذها الفلسطينيون منهم من عقرون (عاقر) الى جت (ذكرين) وروى لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ في بني اسرائيل) ان بني اسرائيل اجبروا الفلسطينيين يومئذٍ على امضاء عهدة صلح اقروا لهم بها باستقلالهم بعد ان ضايقوهم اربعين سنة واختصوا انفسهم بالحق على اقامة مركز لجنودهم في جبعة وان لا يحمل من جاورهم من بني اسرائيل سلاحاً خشية الغدر بهم .

وقال الكتاب ان صموئيل كان يذهب في كل سنة ويطوف في بيت ايل والجلجال والمصفاة ويقضي لاسرائيل في جميع تلك الاماكن ثم يأوب الى بيته في الرامة فلم يكن كباراق وجدعون ينقذ شعبه من اعدائهم فقط بل كان ايضًا حاكمًا فيهم يفصل دعاويهم ويلي امرهم ويضم كلمتهم وبذلك اعدَّهم لطريقة الحكم الملكية (ملوك ١ ف ٧)

اما المصفاة الآنف ذكرها فقد حقق كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣٩٥ وما يليها) ان موقعها كان في محل قرية شعفات الان في شمالي اورشليم على مقربة منها وفي الشرق الجنوبي من قرية النبي صموئيل وقال روبينسون ان المصفاة كانت في محل هذه القرية الاخيرة وان الرامة كانت في صوبا (طالع عد ٢٤٢) وذكر الكتاب عدة مدن اخرى باسم المصفاة او مصفاة دون التحلية بال احداها في جلعاد (السلط) والثانية في بلاد مواب في شرقي الاردن ايضًا والثالثة في سفح لبنان في ناحية بانياس والرابعة في نصيب سبط يهوذا. واما بيت كار فالذي في كتاب الاعلام الكتابية انه يحتمل ان كان موقعها في عين كارم واما حجر النصرة فقد ذكرنا موقعه في عد ٢٤٠ فطالعه هناك قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٠٣) لا ريب في ان الرامتائيم صوفيم وطن صموئيل والمصفاة وقرية يعريم (قرية ابي غوش) وجبعون لم تكن احداها بعيدة عن الاخرى

عد ٢٤٥

في الحاح بني اسرايل على صموئيل ان يقيم لهم ملكًا

جاء في الكتاب (ملوك ١ ف ٨) ولما شاخ صموئيل قلَّد ابنيه يوئيل وابيا قضاء اسرائيل وكانا قاضيين في بئر سبع في طرف فلسطين الجنوبي وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٣) ان صموئيل أمر ابنيه ان يقيم احدهما

في بيت ايل والثاني في بئر سبع ليقضي كلٌّ منهما لفريق من الشعب وكذلك قال العالم كريتس الالماني في تاريخ اليهود . على ان الابنين لم يسلكا في سبل ابيهما لكنهما مالا الى الحرص وقبلا الرشوة وحابيا في القضاء وذاع صنيعهما فاجتمع شيوخ اسرائيل واتوا الرامة (قرية النبي صموئيل) يشكون امرهم الى ابيهما ويسألونه ان يقيم عليهم ملكاً كجميع الامم فساء هذا الكلام صموئيل فصلى الى الرب فأوحي اليه ان اسمع لكلام الشعب في جميع ما يقولون فانهم لم يسأموك انت وانما سئموني انا في تولّي عليهم ولكن اشهد عليهم واخبرهم بسنن الملك الذي يملك عليهم فبذل صموئيل قصارى جده لكفهم عما يسألون فلم يذعنوا له فذكر لهم كلمات الرب عما يصنعه الملوك الذين يستبدون فيهم قائلاً هذه سنّة الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ولعجلته وفرسانه فيركضون امام عجلته ويتخذ لنفسه روسآء الف ورؤساء خمسين واكرةً لحرثه وحصاده وصناعاً لآلات ضربه وادوات عجلاته ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقولكم وكرومكم وافضل زيتونكم ويعطيها لعبيده ويأخذ عشوراً من زرعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه وعبيده ويأخذ عبيدكم واماؤكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم في شغله ويعشّر ماشيتكم وانتم تكونون له عبيداً فتصرخون من ملككم الذين اخترتم لانفسكم فلا يجيبكم الرب فابى الشعب ان يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا كلا بل يملك علينا ملك كسائر الشعوب فيقضي بيننا ويخرج امامنا ويحارب حروبنا فتكلم صموئيل بكلام الشعب على مسامع الرب فأوحي اليه ان اسمع لصوتهم وولِّ عليهم ملكاً فقال لهم انصرفوا كل الى مدينته ريثما افكر بمن يكون ملكاً واجتمع بكم ثانية

الفصل الثاني عشر

(في شاول وتتمة اخبار صموئيل)

﴿ عد ٢٤٦ ﴾

في تولية صموئيل شاول ملكاً على اسرائيل

قد انبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٩ و ١٠) انه كان رجلٌ من سبط بنيامين اسمه قيس وكان له ابنٌ يسمى شاول لم يكُ في اسرائيل رجلٌ احسن منه وكان يزيد طولاً على جميع الشعب من كتفه فما فوق واتفق ان ضلّت اتنٌ لقيس فارسل شاول ابنه وواحدًا من غلمانه في طلبها فلم يجدها فهمَّ بالعود الى ابيه وكان مع غلامه على مقربةٍ من الرامة موطن صموئيل فقال الغلام هوذا رجل الله في هذه المدينة فهلمَّ بنا اليه لعله يدلنا على طريقنا التي نسلكها فصعدا الى المدينة وفيما هما داخلان في وسطها اذا صموئيل قد صادفهما وهو خارج ليصعد الى المشرف اي الاكمة التي كان بنى فيها مذبحًا وكان الرب قد اوحى اليه قبل ان يأتيه شاول بيوم ان غدا في مثل هذه الساعة ارسل اليك رجلاً من ارض بنيامين فامسحه قائدًا على شعبي فيخلصهم ولما رآه صموئيل قال له الرب هوذا الرجل وقال شاول له اخبرني اين بيت الرآي فاجابه صموئيل انا هو وانبأه ان الاتن التي خرج في طلبها قد وجدت وقال لمن كل نفيس في اسرائيل الا لك ولكل بيت ابيك فقال شاول ألست انا بنياميني ممن اصغر اسباط اسرائيل وعشيرتي اصغر جميع عشائر سبطي فكيف تقول لي مثل هذا الكلام ودعاه صموئيل مع غلامه ليأكلا معه في المشرف واجلسهما في صدر المدعوين وعاد معهما الى المدينة وباتا عنده ثم دعاه النبي باكرًا وسارا معًا الى طرف المدينة فقال النبي له مُر الغلام ان يتقدم ويمر امامنا وقف انت فاسمعك

كلام الله واخذ صموئيل قارورة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال ان الرب قد مسحك قائدًا على ميراثه واطلقه منبأً له بكل ما يلتقيه في طريقه وبما يقال له وانه يحل عليه روح الرب فيتنبأ مع الانبيآء وعندما حول منكبه لينصرف من عند صموئيل ابدل الله قلبه ووقع له كل ما قاله النبي واقبل الى الاكمة التي عينها له فاذا بجماعة من الانبياء قد استقبلوه فحل عليه روح الله فتنبأ بينهم ولما رآه كل من كان يعرفه قالوا أشاول ايضاً من الانبيآء فذهبت مثلاً . ولكلمة النبي في الكتاب معنيان الاول النبي حقيقة وهو من يتجلى الله له ويكشف له عن امورٍ مستقبلة فينطق بها والنبي بهذا المعنى مرادف للرآي وهو من يكشف الله له بالرؤيا عن امورٍ خفية والمعنى الثاني المعلم والمنذر فان صموئيل اقام جمعيات يثقفه بها الشبان بما يتعلق بسنّة الله والحض على حفظها لينذروا الشعب بكلمة الله ويحرّضوه على العمل بسنته وكانت هذه الجمعيات تسمى مدارس الانبيآء وطلبتها يسمون انبيآء اي معلمين ومنذرين ويُظن انه بهذا المعنى قيل في شاول انه تنبأ اي اخذ ينذر بكلام الله ويحض على العمل بسنته

وكان صموئيل اوصى شاول ان يوافيه في اليوم السابع الى المصفاة (شعفات) ففي ذلك اليوم دعا الشعب اليها وخطب فيهم مذكرًا لهم باحسان الله اليهم مذ كانوا في مصر ورفضهم له والحاحهم ان يقام عليهم ملك وامرهم ان يقفوا امام الرب على حسب اسباطهم وعشايرهم لينتخب منهم ملكًا بالقاء القرعة تنكبًا للغيرة والخلاف بينهم فاصابت القرعة سبط بنيامين ثم القى القرعة بين عشائره فوقعت لعشيرة مطري ثم لشاول بن قيس فطلبوه فلم يجدوه وقد كان اختبأ بين الامتعة فهداهم الرب اليه فاسرعوا واخذوه ووقف بين الشعب فاذا هو يزيد طولاً على الشعب كافة من كتفه فما فوق فهتف الشعب كلهم يحيي الملك فكتب صموئيل السنن التي يلزم الملك ان يسير بها

واخصها ان يكون خاضعاً ابداً لشريعة الله عاملاً بمشورة الاحبار ووضع ما كتبه امام الرب كانه في تابوت العهد وصرف الشعب كل امرئ الى منزله وانصرف شاول الى بيته في جبع وهي المسماة قديماً جبعة شاول ايضاً والان تل الفول على ما حقق كروس الالماني وروبينسون الانكليزي وكاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٨٨) او هي جبعة الان كما في كتاب اعلام الاماكن وفي قول اخر لكاران وهي في الشمال الشرقي من اورشليم . ووافق من مسَّ الله قلبهم شاول واذدراه بعض بني اسرائيل قائلين كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا اليه الهدايا فما اقدم في المشرق عادة تقديم الهدايا لمن حاز رتبة او رقي مقاماً بسبيل التهنئة ولم يكترث شاول بمن لم يريدوه بل تعامى عنهم كانه غير عالم بهم

﴿ ٢٤٧ ﴾

محاربة شاول لناحاش ملك العمونيين

لم يمضِ شهرٌ على انتخاب شاول ملكاً الا صعد ناحاش ملك العمونيين الذين كان قد ذللهم نفتاح ونزل على يابيش جلعاد وهي مدينة كانت لنصف سبط منسا في شرقي الاردن ولعلها كانت في المحل المسمى اليوم وادي اليابيس في ناحية السلط وقال اوسابيوس ان موقعها كان في شرقي بحيرة طبرية (كتاب اعلام الاماكن) وضايق ناحاش اهل يابيش فقالوا له اقطع لنا عهداً نخدمك فاجابهم انه لا يقطع لهم عهداً الاَّ انه يقلع كل عين يمنى لهم ويجعل ذلك عاراً على جميع اسرائيل فقال له شيوخ يابيش امهلنا سبعة ايام حتى ننفذ رسلاً الى جميع تخوم اسرائيل فان لم يكن لنا مخلصٌ خرجنا اليك لتقلع عيوننا ووافى رسلهم الى جبع مدينة شاول وقصوا ما كان لهم فرفع الشعب اصواتهم بالبكاء واشتد غضب شاول واخذ ثورين فقطعهما وانفذ رسلاً الى جميع تخوم اسرائيل يقولون كل من لم يخرج وراء شاول وصموئيل هكذا يصنع ببقره

فهاج الشعب وخرجوا فكان عديدهم ثلاث مئة الف رجل ورجال يهوذا ثلاثين الفاً وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٦) انهم كانوا سبع مئة الف ورجال يهودا سبعين الفاً وتلك مبالغة مخالفة لنص الكتاب وقد خصَّ سبط يهوذا بالذكر لان بني يهوذا كانوا اعتزلوا في مدة القضاة مشاركة سائر بني اسرائيل في حروبهم الا عندما قبضوا على شمشون وسلموه الى الفلسطينيين . وارسل شاول رسل يابيش يقولون لقومهم انه غداً يكون لهم خلاص عندما تحمى الشمس ففرحوا وارسلوا يقولون لبني عمون غداً نخرج اليكم فتصنعون بنا ما يحسن في عيونكم ولم يكذبوا في ما قالوا بل اخفوا كيفية خروجهم اليهم كيلا يباغتوهم بالقتال اما شاول فعبر الاردن ليلاً ولما كان الغد رتب عسكره ثلاث فرق ودخلوا في وسط المحلة عند هجيع الصبح فقاتلوا بني عمون حتى حمي النهار فتشتت من بقي منهم وتفرقوا شذر مزر ووجد ناحاش ملكهم مجندلاً بين القتلى وصموئيل كان معهم اذ قال الشعب له من الذي يقول أشاول يملك علينا اخرجوا القوم لنقتلهم فابدى شاول حلمه ودرايته السياسية اذ قال لا يُقتل اليوم احدٌ لان الرب اجرى فيه خلاصاً لاسرائيل فانضم اليه مخالفوه وقال صموئيل هلموا بنا الى الجلجال (المسمى الان جلجول حذاء اريحا) لنجدد هناك الملك فانطلقوا وجددوا تمليك شاول وذبحوا ذبائح سلامة امام الرب وفرح شاول وبنو اسرائيل اجمعون فرحاً عظيماً (ملوك ١ ف ١١)

﴿ عد ٢٤٨ ﴾

محاربة شاول للفلسطينيين

ان شاول في السنة الثانية لملكه انتخب لنفسه ثلاثة الاف رجل من بني اسرائيل ليكونوا جنوداً يقيمون عنده واقام منهم الفين في مكماش المسماة الان مخماس على سبعة اميال من اورشليم شمالاً (كتاب اعلام الاماكن) وجعل

الفاً منهم تحت امرة ابنه يوناثان في جبع بنيامين وهي المسماة الان جبعة في جوار مخماس على ما في كتاب اعلام الاماكن او تل الفول على ما روينا انفاً عن كاران . وقد رأيت قبيله ان الفلسطينيين استبقوا لانفسهم محرساً عسكرياً في جبعة فضرب يوناثان رجال هذا المحرس فهاج الفلسطينيون واجتمعوا لمحاربة بني اسرائيل وكان لهم ثلاثون الف مركبة (وروى اكثر المدققين ثلاثة الاف مركبة) وستة الاف فارس وشعب يشذّ عن العد وصعدوا وعسكروا في مكماش (مخماس) فتولى الرعب بني اسرائيل حتى اختبأ الجبناء منهم في المغاور والغياض والآبار وجاز قوم منهم الاردن ليستأمنوا هناك واجتمع بعض الشجعان مع شاول في الجلجال (جلجول (واقام ثمه شاول سبعة ايام ينتظر صموئيل بحسب موعده ليقدم الذبائح لله التماساً للظفر فلم يأتِ وطفق الشعب يتفرق عن شاول فاقدم على اصعاد المحرقة ولما فرغ من اصعادها اذا صموئيل قد اقبل فخرج شاول للقائه فلامه النبي شديد اللوم على اختلاسه حق الكهنة بتقدمة الذبائح خلافاً للسنة ولما افترضه النبي عليه بامر الرب عند انتخابه قائلاً انك بحماقة فعلت اذ لم تحفظ وصية الرب والان لا يدوم ملكك لان الرب اختار له رجلاً غيرك على وفق قلبه فاعتذر له شاول بانه رأى الشعب يتفرقون عنه وانه هو لم يأتِ في ايام الميعاد والفلسطينيون مجتمعون في مكماش وصعد صموئيل من الجلجال الى جبع بنيامين وتبعه شاول ورجاله ولم يكن باقياً منهم الا ست مئة رجل

وخرجت ثلاث فرق من محلة الفلسطينيين يخرّبون في ارض اسرائيل فاخذت فرقةٌ منها في طريق عفره وهي المعروفة الان بالطيبة في الشمال الصريح من مخماس وفي الشمال الشرقي من بيت اين وعلى خمسة عشر ميلاً من اورشليم شمالاً وهي غير عفره موطن جدعون كما في كتاب اعلام الاماكن الكتابية وكما

حقق كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٤٧) وفرقة اخذت في طريق بيت حورون وهي بيت اور العليا الان في الشمال الغربي من اورشليم وفي الجنوب الغربي من رام الله . وفرقة اخذت في طريق التخم المشرف على وادي صبوعين ناحية البرية . قال كاران (في المحل المار ذكره) ان وادي صبوعين لم يتحقق تعيينه الى الان على ان الكلمة العبرانية صبوعيم معناها الضبع وفي البرية الكائنة بين مخماس واريحا محل يسمى الان شق الضبع وان هو في العربية الا ترجمة الكلمة العبرانية ولما كانت الفرقة الاولى سارت شمالاً والثانية غرباً فيظهر ان الثالثة سارت شرقاً نحو البرية المشار اليها واما في الجنوب فكان شاول ورجاله فلم يتوجه اليه الفلسطينيون . وقال اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان صبوعين او صبوعيم كانت على شاطئ بحيرة لوط غرباً . ولم يكن في ارض اسرائيل حدَّاد منعهم من ذلك الفلسطينيون لئلا يعملوا سيفاً او رمحاً وكان يذهب كل امرئ منهم الى الفلسطينيين ليحدد سكته ومنجله وفأسه ومعوله ولما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح الا في ايدي شاول ويوناثان ابنه

وخرجت طلائع الفلسطينيين الى معبر مكماش (مخماس) فقال يوناثان ذات يوم لحامل سلاحه هلمَّ نعبر الى محرس الفلسطينيين من غير ان يعلم اباه وكان في ذلك المعبر سن صخرة من هذه الجهة وسن صخرة من تلك السن الواحدة من جهة الشمال مقابل مكماش والاخرى في الجنوب مقابل جبع (جبعة) وقد كتب العالم كاران عند زيارته هذه الاماكن (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٦٤) « ان وادي ماسوينيت الفاصل بين جبعة ومخماس هو عميق جدًا وكأنه عمودي في بعض محاله لا سيما نحو الشرق وعلى جانبي الوادي اكمتان صخريتان احداهما شمالية والاخرى جنوبية طبق ما نص الكتاب » فعبر يوناثان بين صخور الاكمة الشمالية مع حامل سلاحه واظهرا انفسهما لمحرس

الفلسطينيين فقالوا هوذا العبرانيون خارجون من الحجرة التي اختبأوا فيها وقالوا ليوناثان وغلامه تعاليا الينا نعلمكما امرًا وكان يوناثان قال للغلام ان قالوا قفا حتى نصل اليكما وقفنا ثابتين وان قالوا اصعدا الينا صعدنا فيكون هذا علامة لنا ان الرب اسلمهم الى ايدينا وصعد يوناثان على يديه ورجليه وحامل سلاحه وراه ووثبا على المحرس فكانت المقتلة الاولى التي عملاها نحو عشرين رجلاً في نحو نصف تلم فدان ارض اي في قدر نصف ما يحرثه الفدان في نهار فحلَّ الرعب في المحلة وارتعد المحرس والمخربون ايضًا قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود) ان يوناثان وغلامه انصرفا من وجه الاعداء وصعدا من محل اخر على صخر لم يكن عليه حرس فوجدا الاعداء نائمين فاعملا السيف بهم فاخذوا يطرحون سلاحهم لينجوا بانفسهم وبعضهم يقتل بعضًا يظنهم اعداء لان عسكرهم كان من امم مختلفة وبعضهم كان يدفع بعضًا ويزحمه فارًّا فيقعون من على الصخور. وقال كريتس (في تاريخ اليهود) تولى الرعب الفلسطينيين لمهاجمتهم بغتةً وهم على صخرٍ عالٍ لا يتسنى لاحد الصعود اليه دون ان يجتاز في المحرس فتوهموا ان موجودات غير طبيعية تقاتلهم. ورأت طلائع عسكر شاول تشتت شمل الفلسطينيين وافتقدوا من غاب من عندهم فاذا يوناثان وحامل سلاحه ليسا هناك واسرع شاول ومن معه الى محل المعركة ومعهم تابوت العهد فاذا بسيف كل واحد على صاحبه وانضم الى عسكر شاول العبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين خوفًا منهم وظهر من كانوا اختبأوا في جبل افرائيم وانضموا الى شاول حتى صار عسكره نحو عشرة الاف رجل فتبعوا اثر الفلسطينيين يقتلون منهم وقال شاول ملعون الرجل الذي يذوق طعامًا الى المساء حتى انتقم من اعدائي فامتنع الشعب من الاكل النهار كله ومرّوا في غاب كثر فيه النحل والعسل حتى كان العسل يسيل على الارض ولم يمد

احدهم اليه يدًا الا يوناثان فانه مدَّ طرف عصاه وغمسها في شهد العسل وردها الى فمه ولم يكن عالمًا بما حتم ابوه فقال له رجلٌ ان اباك حلّف الشعب ان لا يذوق اليوم طعامًا فلم يصوّب عمل ابيه واعتذر عن عمله بجهله الامر واستمروا يطاردون الفلسطينيين من مكماش الى ايّالون وهي يالو الان على ما روى كاران اسمها بالعربية واظنها يعلو كما في الخريطة الجغرافية العربية وهي في شرقي عمواص وهو المحل الذي اوقف يشوع بن نون فيه الشمس عن المسير. وقد اعيا الشعب من كدّه النهار كله دون قوت فاخذوا بقرًا وغنمًا وذبحوا على الارض واكلوا بالدم فمنعهم شاول عن ذلك فدحرجوا صخرة عظيمة وكانوا يذبحون عليها ويأكلون وبنى شاول مذبحًا فكان اول مذبح بناه للرب واراد شاول ان ينزل وراء الفلسطينيين ليلاً فقال الكاهن لنسأل الله فسأل شاول الله هل انزل وراءهم وهل تدفعهم الى يدي فلم يجبه وشعر بان الشعب اقترف اثمًا وحلف انه لو كان الاثم بابنه يوناثان ليموتنَّ موتاً واقترعوا فاصابت القرعة يوناثان فسأله ابوه ماذا عملت فقال انه ذاق العسل برأس العصا واراد ابوه قتله مبرّة ليمينه ولكن ابى الشعب قتله لان الخلاص جرى على يده فلم يقتل

وحارب شاول كل من حوله من الموابيين والعمونيين وملوك صوبا (الراجح انهم كانوا في سهول البقاع وبعلبك) وكان ظافرًا حيث ما توجه ولم يطرفنا الكتاب بشيء من تفصيل اخبار هذه الحروب وكان ابناء شاول يوناثان ويشوي وملكيشوع وله بنتان اسم الكبرى ميراب واسم الصغرى ميكال وكان ابنير بن نير عمّ شاول قائدًا لجيوشه وكان كل ما رأى رجلاً ذا بأس ضمّه اليه (ملوك ١ ف ١٤)

﴿ عد ٢٤٩ ﴾

محاربة شاول للعمالقة

قد انبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ١٥) ان صموئيل اتى الى شاول قائلاً انا الذي ارسلني الرب لامسحك ملكاً على شعبه فاسمع الان ما يقول الرب قد افتقدت ما صنع عماليق بني اسرائيل وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر فهلمَّ الان واضرب عماليق ولا تعفُ عن احد منهم الرجال والنساء والبسل بهائمهم ايضاً وقد ابنا عند كلامنا في غزوة كدرلاعومر لسورية من هم العمالقة ومن ذرية مَن هم فطالع عد ١٥٥ وقد مرَّ في الكلام على القضاة ان هولاء العمالقة شايعوا المدينيين فضايقوا بني اسرائيل وخلصهم اهود ثم ناصروا المدينيين فضايقوهم مرَّةً اخرى ونجاهم جدعون ويظهر من كلام صموئيل لملكهم اجاج انهم كانوا يسطون في ايامه على بني اسرائيل الساكنين في شرقي الاردن ويقتلون بعضهم فلهذا امر الرب شاول ان يبيدهم على اخرهم فجمع شاول رجالاً من بني اسرائيل واحصاهم فكانوا مئتي الف راجل وعشرة الاف رجل من سبط يهوذا وبالغ يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٨) على عادته ان يزيد عددهم فقال كانوا اربع مئة الف عدا ثلاثين الفاً من سبط يهوذا وزحف شاول بعسكره الى مدينة عماليق وكمن في الوادي وارسل يقول للقينيين ذوي قرابة يترو حمي موسى (الذين يظهر ان بعضهم توطنوا بين العمالقة) ان يعتزلوا من بين العمالقة لئلا يهلكهم معهم وهم قد صنعوا رحمةً الى بني اسرائيل عند خروجهم من مصر وضرب شاول بني عماليق من حويلة الى اشور التي قبالة مصر والمدينتان في بلاد العرب وقتل كل من وجده بحد السيف واسر اجاج ملكهم وابقاه حياً وعفا ايضاً عن خيار الغنم والبقر وكل سمين وكل ما كان جيداً ولم يبسلوا الا كل ما كان حقيراً مهزولاً خلافاً لامر الرب

قال يوسيفوس (في المحل المشار اليه) ان شاول اباد بعضهم بالسلاح وبعضهم بمنعهم عن الزاد او الماء حتى دوّخ بلادهم كلها وعاد شاول ظافراً غانماً واقام نصباً لانتصاره على جبل الكرمل الذي في املاك سبط يهوذا في المحل المعروف الان بخربة الكرمل على عشرة اميال من الخليل جنوباً كما ذكر اوسابيوس وايرونيموس وحققه كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٦) فهناك اقام شاول نصب انتصاره لا في الكرمل الذي على البحر المتوسط ثم نزل الى الجلجال (جلجول) يقدم محرقة للرب

فاوحى الرب الى صموئيل انه متسخط على شاول لانه مال عن اتباعه ولم يعمل بامره ان يبيد العمالقة وماشيتهم فشق ذلك على صموئيل وصرخ الى الرب ليله كله وبكّر للقاء شاول فاذا هو يصعد محرقة للرب في الجلجال من خيار الغنيمة التي غنمها من عماليق فالتقاه شاول قائلاً مبارك انت الى الرب اني قد اقمت كلامه فقال صموئيل فما هو اذاً صوت الغنم والبقر الذي انا سامع مع ان الرب امرك بقرض عماليق وماله فاعتذر بان الشعب عفوا عن خيار الغنم والبقر ليذبحوا للرب وجئت باجاج ملك عماليق وابسلت العمالقة فقال له صموئيل كنت حقيراً في عيني نفسك فمسحك الرب ملكاً على اسرائيل وقال لك انطلق فافنِ العمالقة قلت الى الغنيمة وخالفت امره اترى الرب يسر بالمحرقات كما يسر بالطاعة لكلامه ان الطاعة خير من الذبيحة قد رذلت كلام الرب فرذلك من الملك فقال شاول قد خطئت لخوفي من الشعب فاغفر خطيئتي وارجع معي لاستغفر الرب فاجابه لا ارجع معك وتحوّل لينصرف فاخذ شاول بطرف ردائه فانشقّ فقال له صموئيل سيشق الرب مملكة اسرائيل عنك ويدفعها الى صاحبك الذي هو خيرٌ منك فقال شاول قد خطئت فاحفظ كرامتي امام شيوخ الشعب وبني اسرائيل وارجع معي لاسجد للرب فرجع

صموئيل وراء شاول فسجد للرب ثم قال صموئيل هلمَّ اليَّ باجاج ملك عماليق فشخص امامه مترفقًا مرتعدًا فقال له صموئيل كما اثكل سيفك النساء في اسرائيل تثكل امك بين النساء وآمر بقتله في الجلجال وانصرف صموئيل الى الرامة وصعد شاول الى بيته في جبع (جبعة) ولم يعد صموئيل يعاين شاول الى يوم وفاته وقد جاء في سفر الملوك نفسه (ملوك ١ فصل ١٩ ع ٢٤) ان شاول «تنبأ امام صموئيل» وهذا يدل على ان قوله لم يعد صموئيل يعاين شاول الى يوم وفاته معناه انه امتنع من زيارته لا من ان يراه مصادفة كما في الاية الثانية

﴿ عد ٢٥٠ ﴾

مسح صموئيل داود ليكون ملكًا موضع شاول

قد جاء في سفر الملوك الاول (فصل ١٦) ان الرب قال لصموئيل الى متى تنوح على شاول وانا قد رذلته فاملأ قرنك دهنًا واذهب الى يسى من بيت لحم لاني اخترت من بنيه ملكًا فقال صموئيل ان سمع شاول يقتلني فقال له الرب خذ معك عجلة وقل اني جئت لاذبح للرب وادعُ يسى الى الذبيحة وانا اعلمك ماذا تصنع ومن تمسح ففعل صموئيل واتى بيت لحم فاضطرب شيوخها وقالوا ألسلام قدومك فقال اتيت اذبح للرب فقدسوا انفسكم وتعالوا معي الى الذبيحة ويظهر من هذه الآيات وغيرها انهم كانوا يومئذٍ يقدمون الذبائح مرات في غير خباء المحضر واتى يسى واولاده الى الذبيحة ونظر صموئيل الى الياب اكبر ابناء يسى فقال أمام الرب مسيحه فقال له الرب لا تنظر الى منظره وطول قامته فان الانسان انما ينظر الى العينين واما انا فانظر الى القلب واجاز يسى ابناءه السبعة وصموئيل يقول عن كل منهم لم يخترهُ الرب ثم سأل يسى أهولاء جميع الغلمان فاجابه بقي الصغير وهو يرعى الغنم فقال جئنا به

فاتى وكان اشقر حسن العينين وسيم المنظر فقال له الرب هذا هو قم فامسحه فاخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فحل روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعدًا وامر صموئيل ان يبقى الامر سرًّا مكتومًا

اما شاول فمذ اعلمه النبي بانتزاع الملك منه فارقه روح الرب واعتراه داء الملنخوليا (١) وكان اعوانه ينسبون داءه الى روح شرير واشاروا اليه ان يستدعي رجلاً يحسن الضرب بالكنارة حتى اذا اعترته نوبة المرض فرّج كربه بضرب الكنارة فيستريح وينتعش وهداه بعضهم (ربما كان بتلقين صموئيل) الى داود بن يسى فارسل الى ابيه ان يبعث اليه به فاخذ يسى حمارًا حمل عليه خبزًا وزق خمر وجديًا من المعز وارسلها مع داود الى شاول ولما تمثل امامه احبه جدًا وجعله حامل سلاحه وكان اذا اعترى شاول الداء اخذ داود الكنارة وضرب بيده فيستريح شاول وينتعش هذا ما جاء في الفصل السادس عشر من سفر الملوك الاول ولكن في الفصل السابع عشر منه (عد ٥٥ وما يليه) « واذ رأى شاول داود حين خرج للقاء الفلسطيني قال لابنير رئيس جيشه ابن من هذا الغلام فقال ابنير طب نفسًا ايها الملك اني لا اعرفه فقال الملك سل ابن من هذا الفتى فلما رجع داود من قتله الفلسطيني اخذه ابنير وادخله على شاول ورأس الفلسطيني بيده فقال له شاول ابن من انت يافتى فقال له داود انا ابن عبدك يسى من بيت لحم » فاكثر جاحدو الوحي من تعظيم هذه المعضلة وقالوا انها مستغلقة لا يهتدى الى وجه لحلها وقال احدهم فولتر « كيف جهل شاول من هو داود وكيف خفي عليه ضارب كنارته وحامل سلاحه فنحن لا نرى وجهًا لحل هذه المعضلة » على ان الاباء القدماء والعلماء الحدثاء رأوا

(١) وهو اضطراب ملازم العقل تسببه شدة الغم والكلمة يونانية مركبة من مالان اي اسود وخولي اي مرّة لقولهم انه مسبب عن الخلط المذكور اي المرّة السوداء

المسئلة معضلة لكنهم لم يروها مستغلقة بل اهتدوا الى اوجه عديدة لحلها فقال بعضهم ومنهم كريتس في تاريخ اليهود ان صرع داود جليات كان قبل ان يستقدمه شاول ليفرج كربه بضرب كنارته وقبل ان يجعله حامل سلاحه لكن الكتاب قدم وضمناً ذكر ما تأخر زماناً ولهذا مثال عديدة في الكتاب مر بنا ذكر بعضها واحتجوا لقولهم بتسمية داود غلاماً وفتى عند قتله جليات كما رأيت آنفاً وتسميته « جبار بأس ورجل حرب حصيف الكلام » (ملوك ١ فصل ١٦ عد ١٨) عند استقدام شاول له اليه وايدوه بانه جاء في الكتاب عن داود بعد صرعه جليات « وكان داود يضرب بيده كما كان يفعل كل يوم وكان في يد شاول رمح فاشرع شاول الرمح وقال اخرق داود الحائط فتنحى داود من بين يديه مرتين » (ملوك ١ فصل ١٨ عد ١٠ و ١١) واخبار قتله جليات ذكرت في الفصل السابع عشر وقال هولاء ايضاً ان كتب الاقدمين وان كانوا من الكتاب الملهمين ملأى من الاعادات ومن التقديم والتأخير في الوضع فموسى مثلاً ذكر ابناء نوح اربع مرات في سفر التكوين (اي في فصل ٥ عد ٣٢ وفصل ٦ عد ١٠ وفصل ٩ عد ١٨ وفصل ١٠ عد ١) فان صح قول هولاء امتحقت كل عضالة وزال كل اشكال

واما اذا كان استقدام شاول داود قبل قتله جليات كما هو ظاهر الكتاب وعليه مشى اكثر الاباء والعلماء فلهم في حل المعضلة اوجه عديدة نذكر بعضها قال القديس افرام جهبذ الكنيسة السريانية (في تفسيره سفر الملوك الاول مجلد ١ من كتبه السريانية المطبوعة في رومة صفحة ٣٧٠) « ان شاول الملك كان يعرف راعي الغنم الذي من بيت لحم المعرفة الكافية وكان قد قربه اليه وجعله حامل سلاحه وضارب كنارته على ان شجاعة داود قد اذهلته وزادته اعتباراً بعينيه وكان وعد بانه يزوج ابنته بمن قهر جليات فرام الاستقصاء

الجهيد عن نسب من كان مزمعاً ان يصاهره كما يفعل كل اب فطن صالح ولذا كلف الخير بان يسأل عنه وهذا امر بديهي وعلى غاية من الصواب والسداد ولعله ايضاً فكر انه هو الذي سوف يخلفه كما كان صموئيل قال له ، وقال تاودوريطوس (في خطبته ٤٣ في سفر الملوك الاول) ، كيف لم يعرف شاول داود فيجاب باحد امرين اما ان الداء الذي كان يعتريه لم يكن يمكنه من عرفان من يضرب له بالكنارة اما ان حسده له جعله يدقق بالاستقصاء عنه من اين هو وابن من هو . ، (وقال كامت (في معجم الكتاب في كلمة داود) ان داود كان ترك شاول من مدة فتبدل منظره وصوته وقامته وكان يقوم امامه بملابس ضارب بالكنارة او جندي يحمل سلاح الملك فرآه عند محاربته جليات رجلاً باثواب راعي غنم فخفي عليه هذا وقد خلت اكثر نسخ الترجمة السبعينية عن الايات المنبئة بسؤال شاول عن داود وان وجدت في بعضها وفي النص العبراني وغيره من الترجمات

﴿ عد ٢٥١ ﴾

في قتل داود جليات الجبار

جاء في الفصل السابع عشر من سفر الملوك الاول ان الفلسطينيين جمعوا عساكرهم للحرب ونزلوا بين سوكو وعزيقة واجتمع شاول ورجال اسرائيل ونزلوا وادي البطمة وبين الجيشين الوادي . اما سوكو فهي خربة الشويكة اليوم على بعد سبعة اميال ونصف من بيت جبرين نحو اورشليم واما عزيقة فكان موقعها في دير العاشق او في تل زكريا مصاقبة لخربة الشويكة واقرب منها الى اورشليم (طالع عد ٢١٧) واما وادي البطمة فهو في محل كلوني الان وتسميه السبعينية وادي السنديان قال ميشود (في مراسلات المشرق رسالته ٩٣ مجلد ٤) ، قد عبرنا الوادي الذي انتقى منه داود الخمسة الحجارة

الملس ليصرع بها خصمه فكان على جانبنا الجبل الذي كان عليه معسكر اسرائيل وعلى جانبنا الاخر محلة الفلسطينيين وقد بنى الصليبيون ثمة مدينة سموها كلونيا تذكرة لظفر داود واطلالها باقية هناك ، في المحل المسمى كلوني . ولما صاف القوم للقتال خرج مبارز من عسكر الفلسطينيين اسمه جليات من جت (ذكرين) وروى لانرمان (في تاريخه الشرقي مجلد ٦ في تاريخ العبرانيين) انه من ذرية بني عناق الاقدمين وقال الكتاب كان طوله ست اذرع وشبراً وقدر كلمت (في تاريخ العهد القديم) انها اثنتا عشرة قدماً ونصف وعلى رأسه بيضة من نحاس وكان لابساً درعاً حرشفية وزنها خمسة الاف مثقال نحاس اي سبعة الاف وخمس مئة درهم بحساب المثقال درهماً ونصفاً عبارة عن ثماني عشرة اقة وثلث مئة درهم وعلى رجليه ساقان من نحاس وبين كتفيه مزراق من نحاس وقناة رمحه كنول النساج اي كالخشبة التي يطوي عليها النسيج المعروفة بالمطوى ووزن سنان رمحه ست مئة مثقال من حديد عبارة عن اقتين ونيف وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود فصل ١٠) ان طوله اربع اذرع وشبر وكان بين يديه رجل يحمل مجنبه فوقف هذا ونادى صفوف اسرائيل لمَ الحرب ووفرة اراقة الدماء فانا فلسطيني وانتم عبيد شاول فاختاروا رجلاً ينازلني فان قتلني صرنا لكم عبيداً وان قتلته تصيرون انتم لنا عبيداً ولهذا مثل في التواريخ القديمة واستمر على ذلك اربعين يوماً فارتاع شاول وبنو اسرائيل من هذا الكلام وكان بين عسكر شاول ثلاثة من اخوة داود فقال ابوهم لداود خذ ايفة (مكيال) من هذا الفريك وهذه العشرة الرغفان وامضِ افتقد اخوتك في المحلة فبكر داود ووكل الغنم من يحفظها وانطلق الى المترسة وبينما هو يكلم اخوته اذا جليات خرج تقريعه لبني اسرائيل وسمع داود رجالاً يقولون من قتل هذا المبارز الملك وزوجه ابنته فقال من عسى ان يكون هذا الفلسطيني الاقلف حتى

يقرع صفوف الله الحي وصرّح بعزمه ان ينازله فاستشاط اخوه الياب غضباً عليه وقال له لماذا نزلت الى هنا وعندما خلفت تلك الغنيمات في البرية فانصرف داود الى ناحية اخرى وقال انه ينازل جليات وبلغ شاول كلامه فاستحضره وقال انه يحارب الفلسطيني فقال له شاول لا طاقة لك بقتاله لانك غلام وهو رجل حرب منذ صباه فاجابه داود كان عبدك يرعى غنم ابيه فقتل اسداً ودباً طرقا غنمه وسيكون هذا الفلسطيني كاحدهما وينقذني الرب هنا كما انقذني هناك والبس شاول داود سلاحه فلم يحسن الحركة فيه فنزعه عنه واخذ عصاه بيده وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في كنف الرعاية (الجراب) ومقلاعه بيده وبرز للفلسطيني فاستخف به وقال أكلب انا حتى تأتيني بالعصا تعال فاجعل لحمك لطير السماء ووحش القفر ولعن داود بالهته فقال له داود انت تأتيني بالسيف والرمح والمزراق وانا آتيك باسم الرب اله اسرائيل الذي قرعته ومد داود يده الى الكنف واخذ منه حجراً قذفه بالمقلاع فانغرز الحجر في جبهة الفلسطيني فسقط على الارض واسرع داود فاخترط سيف الفلسطيني من غمده وقطع راسه به فتولى الرعب الفلسطينيين لما رأوا جبارهم صريعاً وولوا الادبار منذعرين متشتتين فتعقبهم بنو اسرائيل يقتلون منهم الى جت (ذكرين) والى ابواب عقرون (عاقر) ثم رجعوا عن مطاردتهم وانتهبوا محلتهم واخذ داود راس الفلسطيني وجاء به الى شاول ثم وضعه في اورشليم ووضع عدته في خيمته ثم وضع السيف في بيت الرب كما يتضح من فصل ٢١ عد ٩ في سفر الملوك الاول

قد ندَّد الطبيعيون بالكتاب لقوله ان داود جاء براس جليات الى اورشليم مع انه لم يفتتح اورشليم الا بعد ان قبض على زمام الملك كما في سفر الملوك الثاني (فصل ٥ عد ٩) وقد فاتهم ان اورشليم كان يسكنها يومئذٍ بنو اسرائيل

واليبوسيون معاً والذي افتتحه داود بعد توليه الملك انما هو حصن صهيون الذي سماه مدينة داود كما هو بيّن لكل ذي عينين يطالع ما استشهدوا به نفسه

﴿ عد ٢٥٢ ﴾

حصول النفرة بين شاول وداود

احب شاول داود اولاً وقربه اليه وصاذه يوناثان بن شاول واخلص له في الوداد وقطع معه عهداً ووهبه رداءه وسائر ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته وكان داود يخرج حيثما وجهه شاول ويتصرف بحكمة واحبه جميع الشعب ولا سيما عبيد شاول فداخل شاول الحسد والغيرة وقد بلغه ان النساكنّ عند رجوعهم من حرب الفلسطينيين يغنينَ قائلات قتل شاول الوفه وداود ربواته ووجس ان يكون داود خلفاً له بالملك بعد انتزاعه منه كما هدده صموئيل فعظمت شجونه وتولته الكآبة وعاوده مرضه فاستدعى داود ليضرب له بالكنارة واشرع الرمح ليخرق داود به فتنحى داود من بين يديه مرتين واضمر قتله لكن قال لا تكن يدي عليه بل يد الفلسطينيين واسمعه انه يزوجه بميراب ابنته الكبرى بشرط ان يكون ذا بأس ويحارب حروب الرب فقال داود من انا وما عشيرة ابي حتى اكون صهر الملك وفي ميعاد اعطائه اياها ازدفّها ابوها الى غيره وكانت ميكال اختها الصغرى تحب داود فقال شاول اعطيها له فتكون له وهقاً ويقتله الفلسطينيون ولذلك ارسل يقول لداود ان لا رغبة له في المهر لكنه يريد مئة قلفة من الفلسطينيين انتقاماً منهم فذهب داود ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وجاء بقلفهم فعرضت على الملك بتمامها. وقد استطرق القدماء قطع قلف الاعداء فجاء في كتاب شمبوليون كاشف الكنوز الهيروكليفية انه وجد في قصر مدينة ابو في تاب (طيبة) خطوطاً هيروكليفية مؤداها ان

روساء العسكر المصري اقاموا الاسرى في حضرة الملك رعمسيس الاول (قبل داود بقرون) فكان عددهم ثلاثة الاف وعدد الايدي المقطوعة ثلثة الاف وعدد القلف المقطوعة ثلثة الاف ، وعن خطوط اخرى هناك ، وكان رئيس كل فرقة من الجنود يقدم حساب الايدي اليمنى المزلومة من الاعداء في معمعة القتال وعدد قلفهم ، فزوجه شاول ميكال ابنته واستمر واجساً منه بل كلم ابنه يوناثان وغيره ان يقتلوه فلم يكتم يوناثان داود خبر سخط ابيه عليه وحرّصه ان يحتفظ لنفسه ويختبيء ثم كلم اباه مذكرًا اياه بفضل داود واعماله الحسنة وبفظاعة اثمه اذا اراق دماً ذكياً اعتباطاً فحلف شاول انه لا يقتل داود وادخله يوناثان على ابيه فكان بين يديه كما كان قبلاً وعادت الحرب مع الفلسطينيين فضربهم داود ضربات عظيمة فهربوا من وجهه ولم يأتنا الكتاب بتفصيل اخبار هذه الحرب بل انبأنا ان شاول عاوده مرضه واتى داود يضرب له في الكنارة فاشرع رمحه ثانية على داود ليخرقه فاخطأه الرمح ونشب في الحائط ونجا داود تلك الليلة فوجه شاول رسلاً ليقتلوه في بيته فدلته امرأته ميكال من كوة وهرب ناجيًا واتى صموئيل في الرامة واخبره بكل ما صنع به شاول وانطلقا واقاما بنايوت وهي محلة قريبة من الرامة وتابعة لها كما يظهر من قول الكتاب التابع في نايوت في الرامة فانفذ شاول رسلاً ليأخذوا داود فرأوا صموئيل في راس جماعة الانبياء وهم يتنبأون اي ينذرون بحفظ سنة الرب فتنبأ الرسل ايضاً اي جعلوا يتكلمون كاولئك الانبياء اي المعلمين وكذلك كان لمن اوفدهم شاول ثانياً وثالثاً فانطلق شاول بنفسه ولما دنا من مقام صموئيل وداود اصابه ما اصاب وفوده وزيادة فانه انطرح عرياناً نهاره وليله اجمع اذ عاودته نوبة دائه شديدة حتى فقد رشده (ملوك ١ فصل ١٨ و ١٩)

﴿ عد ٢٥٣ ﴾

هرب داود من وجه شاول واتيانه الى احيملك الكاهن

قد هرب داود من نايوت واتى الى يوناثان وقال له ما جرمي عند ابيك حتى يريد قتلي فاجابه يوناثان ان اباه لم يكاشفه بشيء من هذا ولم يعتد ان يكتمه ما يصنع فقال له داود ان اباك يعلم ودادك لي فلم يشأ ان يعلمك لئلا تحزن ولكن ما كان بيني وبين الموت الا خطوة واتفقا ان يكاشف يوناثان اباه في امر داود يوم الاتكاء للطعام في راس الشهر وخرجا الى الصحراء فعينا محلاً يلتقيان فيه للنباء بما يكون . وفي اليوم الثاني من الشهر قال شاول ليوناثان لماذا لم يأتِ ابن يسى لا امس ولا اليوم الى الطعام فاجاب يوناثان انه قد استأذنني ليمضي الى بيت لحم لان لعشيرتهم ذبيحة فغضب شاول على يوناثان وعيره بتعصبه له وقال ما دام ابن يسى حياً فلا تثبت انت ولا مملكتك فأتني به لانه مستوجب الموت فقال يوناثان اي سوء صنع فاشرع ابوه الرمح ليطعنه به فقام يوناثان عن المائدة مغضباً وخرج الى الحقل بحسب ميعاده لداود ومعه غلام صغير وسهام وكان قد عاهد داود ان يرميها وان قال لغلامه الاسهم خلفك فخذها كان خيراً لداود فيقبل اليه وان قال له الاسهم امامك كان شراً لداود فينصرف فرمى يوناثان سهماً وارسل الغلام يلتقطه وناداه السهم امامك اعجل لا تقف والتقط الغلام السهم وعاد الى مولاه وهو لا يعلم شيئاً وصرفه يوناثان بالسهام الى المدينة وقام داود من مخبائه وخرّ امام يوناثان ثلث مرات لانه ابن الملك وقبل كل منهما صاحبه وبكيا وكان بكاء داود اشد وجددا عهد الموالاة بينهما وبين ذريتهما وعاد يوناثان الى المدينة ومضى داود في طريقه

واتى داود الى نوب وهي اما المسماة الان بيت نوبا على ثمانية اميال شرقاً عن اللد واما المسماة بيت انابه على ما روى كاران واظنها عنابي على ما

في خريطة سورية وهذه البلدة على اربعة اميال شرقاً عن اللد ايضاً (كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣١٥) وهي غير نوب او نوبا التي في شرقي الاردن وكان غرض داود من اتيانه اليها ان يرى احيملك الكاهن ويأخذ سيف جليات الذي كان وضعه في مقدس الرب في هذه المدينة الكهنوتية فارتعد الكاهن حين رآه وحده فقال له داود ان الملك امره بحاجة خفية وانه واعد غلمانه الى موضع كذا وسأله ان يعطيه خمسة ارغفة او ما تيسر فاجابه الكاهن ان ليس عنده خبز مباح انما عنده خبز مقدس ولا يباح تناوله الا لمن كان طاهراً فهل الغلمان طاهرون فاوجب داود ذلك فدفع اليه الخبز خبز الوجوه المرفوع من امام الرب ليوضع خبز سخن في موضعه وهذا ما استشهده المخلص لابكام الفريسيين عن تذمرهم لفرك التلاميذ سنبلاً يوم السبت كما روى متى (فصل ١٢ عد ٣) وذكر ابياثار في بشارة مرقس (فصل ٢ عد ٢٥) موضع احيملك انما هو سهو من النساخ او لان ابياثار هو ابن احيملك وكان يعاونه في خدمته وسأل داود الخبر اليس عندك ههنا رمح او سيف فقال ان ههنا سيف جليات الذي قتلته فقال داود ومن لي بمثله عليّ به وكان هناك وقتئذٍ دويج الادومي كبير رعاة شاول فاخبره ماكان بين داود واحيملك وكذا تسبب قتل الكهنة وخراب نوب كما سترى (ملوك فصل ٢٠ و ٢١)

﴿ عد ٢٥٤ ﴾

هرب داود الى جت ومواب وقتل شاول كهنة نوب

واتى داود اكيش ملك جت وقد مر في مواضع عديدة ان موقع جت كان حيث ذكرين الان على خمسة الى سبعة اميال عن بيت جبرين في الشمال الغربي على ما رجح كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٨) او كان حيث تل الصافي الان على مقربة من ذكرين شمالاً على ما في اعلام الاماكن

الكتابية . ولما بلغ داود الى جت عرفه بعض اهلها فقالوا لملكها اليس هذا داود الذي كانت الاسرائيليات يغنينَ له قائلات قتل شاول الوفه وداود ربواته فخاف داود جدًّا وتظاهر بالجنون بين ايديهم فقال اكيش امن قلة المجانين عندي اتيتموني بهذا ليتجننَّ بين يديَّ . ان داود خاف جدًّا من ان شاول يقتله وصمم على الاختباء من وجهه ورأى ان اختفاءه في ارض الفلسطينيين آمن منه في ارض العبرانيين فلا الفلسطينيون يظنون ان الدَّ اعدائهم وقاتل جبارهم يختفي بين اظهرهم ولا احد من بني اسرائيل يخال له ذلك في بال ولما كشف امره لم يكن له منجاة من الخطر الا بتظاهره بالجنون لان قرائن الحال توجبه عليه وتقضي بتصديقه به فلا يقدم على مثل عمله الا من اختلَّ عقله هذا ما رأيته احسن اقوال المفسرين واسدَّها

قد انصرف داود من جت وهرب الى مغارة عدلام وقال كثيرون ان هذه المغارة هي المعروفة الان بخربة خريتون نسبة الى القديس خريتون الذي نسك فيها وهي على ثمانية اميال عن بيت لحم جنوبًا بين جبل فريديس وتقوع والظاهر من كلام اوسابيوس انها كانت في ايامه قرية كبيرة على عشرة اميال من بيت جبرين شرقًا وقد ترجم القديس ايرونيموس كلامه ولم يصلح به شيئًا فكأنه تابعه فيه وقال آخرون ان مغارة عدلام كانت في جوار عين جدي . روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٣٥ وما يليها) هذه الاقوال ولم يصحح او يرجح احدها . ولما سمع اخوة داود وجميع بيت ابيه انه في عدلام نزلوا اليه واجتمع اليه كل من كان في ضيق وعليه دين اومرت نفسه فقام عليهم رئيسًا وكانوا نحو اربع مئة رجل فانطلق بهم داود الى مصفاة مواب حيث كان ملك مواب فقال له داود ليقم ابي وامي عندكم حتى انظر ما يصنع الله لي . وارسل صموئيل جاد النبي الى داود ليعود الى ارض يهوذا فعاد ودخل غيضة حارث وجاء في كتاب

الاعلام الكتابية انها كانت في جبل الخليل على مقربة من القرية المسماة اليوم حلحول في شمالي الخليل وسمع شاول ان داود قد ظهر هو والرجال الذين معه فاخذ يوبّخ آل بنيامين على ميلهم الى داود وكتمانهم عليه معاهدة ابنه يوناثان له فقص عليه دويج الادومي الذي كان في نوب عند مرور داود من هنالك ما صنعه احيملك لداود وانه دفع اليه سيف جليات الجبار فارسل شاول فدعا احيملك الحبر وجميع الكهنة الذين في نوب وعنفهم على انهم حالفوا داود واعطوه خبزًا وسيفًا فقال احيملك انه لا يعلم هو والكهنة بقليل ولا كثير مما كان بين الملك وداود بل عهدوه صهره ومسرعًا في طاعته وامر الملك السعاة الواقفين بين يديه ان يعطفوا ويقتلوا كهنة الرب فلم يمدد احدهم الى الكهنة بدًا حرمة للرب فامر دويج الادومي ان يقتلهم فقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً ثم ضرب نوب مدينتهم بحد السيف فاهلك الرجال والنساء والاطفال والماشية ونجا ابن لاحيملك اسمه ابياتار واتى الى داود واخبره بما صنع شاول فامنّه داود قائلاً لا تخف لان الذي يطلب نفسي هو الذي يطلب نفسك (ملوك ١ فصل ٢٢)

﴿ عد ٢٥٥ ﴾

مطاردة شاول لداود وعفو داود عن قتله

قد خُبر داود في مفرّه ان الفلسطينيين يحاربون عقيلة وينتهبون البيادر وسأل الرب فأوحي اليه ان سر اليها وخلص اهلها فسار اليها برجاله وضرب الفلسطينيين ضربة عظيمة واساق مواشيهم وخلّص اهل عقيلة التي تسمى الان كيلا على ستة اميال شرقًا من بيت جبرين (على ما روى كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٤٢) وعلى ستة اميال غرباً من حلحول (على ما في كتاب الاعلام الكتابية) فهي في وسط الطريق بين بيت جبرين وحلحول وعلم شاول

ان داود في عقيلة فظن انه يظفر به لانه داخل مدينة ذات ابواب واغلاق وهمَّ بالخروج اليه وسأل داود الرب بواسطة ابياثار الكاهن فاعلمه ان شاول يخرج اليه وان اهل عقيلة يسلمونه الى يده فانصرف داود مع نحو من ست مئة رجل نحو البرية واقام في الجبل في برية زيف فخرج شاول في طلبه واتى ابنه يوناثان الى داود خفية وشدَّد يده بالله قائلاً لا تخف لان ابي لا يظفر بك وانت تملك على اسرائيل وانا اكون لك ثانيًا وتعاهدا على ذلك وصعد سكان زيف الى شاول وتعهدوا بان يسلموا داود الى يده وعلم داود فانتقل الى برية معون فتعقبه شاول ولكن ورد اليه رسول يخبره ان الفلسطينيين انتشروا في الارض فعاد عن لحاق داود الى لقاء الفلسطينيين

اما زيف فكان موقعها في المحل المسمى اليوم تل زيف في الجنوب الشرقي من الخليل وفي الجنوب الغربي من بني نعيم على اربعة اميال من الخليل (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٠ وكتاب الاعلام الكتابية) واما معون فكانت في المحل المعروف الان بتل معين في جنوبي زيف والخليل (كاران في المجلد المذكور صفحة ١٧١ وكتاب الاعلام) وشخص داود من معون الى حصون عين جدي وهي المعروفة بهذا الاسم حتى اليوم في شرقي بحيرة لوط ولما رجع شاول من وراء الفلسطينيين قيل له ان داود في عين جدي فاخذ ثلاثة الاف رجل منتخبين وسار في طلبه ودخل مغارة في طريقه لحاجة نفسه وكان داود واصحابه في باطنها فاغرى داود بعض اصحابه بقتل شاول قائلين هذا هو اليوم الذي قال لك الرب هآنذا ادفع فيه عدوك الى يدك فتصنع به ما حسن لك فابى الا المخالفة لهم وزجرهم كيلا يمد احد اليه يدًا لكنه جاء من ورائه خفية وقطع طرف ردائه ولما خرج سار داود وراءه ونادى ياسيدي الملك فالتفت شاول وخر داود على وجهه ساجدًا وقال لماذا يصدق مولاي

من يقولون له ان داود يطلب اذاه فاليك بينة قاطعة انه كان في يدي اليوم ان اقتلك في المغارة وقد أشير عليَّ بذلك لكنني اشفقت وقلت لا ارفع يدي على مسيح الرب فانظر يا ابي انظر طرف ردائك في يدي وكما قطعته كان لي ان اقتلك وانت تتصيد نفسي لتأخذها وراء من خرج ملك اسرائيل ووراء من انت مطارد وراء كلب ميت وبرغوث واحد فليحكم الرب بيني وبينك ولما سمع شاول صوت داود بكى وقال له انت ابرّ مني لانك جزيتني خيرًا وانا جزيتك شرًّا ولقد علمت الان انك ستصير ملكًا فاحلف لي انك لا تقرض ذريتي من بعدي فحلف له فانصرف شاول الى بيته وصعد داود واصحابه الى محال حصينة (ملوك ١ ف ٢٣ و ٢٤)

﴿ عد ٢٥٦ ﴾

وفاة صموئيل

قد نبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٢٥) ان صموئيل توفى فاجتمع جميع اسرائيل وناحوا عليه . قال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٦ ف ١٤) ان مناحة بني اسرائيل على صموئيل شملت جميعهم بل كان اسف كل منهم عليه أسف من فقد اقرب اقربائه فقد تسامى بفضله وفضيلته وغيرته على سنّة الرب وجدّه في اكساب بني اسرائيل مجدًا وتفرد باستقامة مسلكه ونزاهة اميال ويكفي مؤونة بيان كل ذلك ما قاله للشعب في محضر حافل عند اقامته شاول ملكًا وهو « هآنذا فاشهدوا عليَّ قدام الرب وقدام مسيحه ثور من اخذت او حمار من اخذت او من ظلمت او من ضغطت او من يد من ارتشيت لاغضي عينيَّ عنه فارد لكم فقالوا ما ظلمتنا ولا ضغطنا ولا اخذت من يد احدنا شيئًا » (ملوك ١ ف ١٢ ع ٣ و ٤) وقد مرَّ انه يرجح ان يكون كتب سفر القضاة وسفر راعوث ويحتمل ان يكون كتب من سفر الملوك الاول

الى الفصل الخامس والعشرين المنبئ بموته ويحسب اول الانبيآء اي الانبيآء الذين كانوا في عهد ملوك بني اسرائيل الى عودهم من سبي بابل فان موسى كان نبيًا ودابورة نبية وكانا قبله بل كان هو مؤسس مدرسة الانبيآء كما يظهر من سفر الملوك الاول (ف ١٠ ع ٥ و ١٠) وكان لهذه المدرسة رئيس كما يتبين من هذا السفر (ف ١٩ ع ٢٠) وكانوا يسمونه ابًا (ملوك ١ ف ١٠ ع ١٢) ومعلمًا (ملوك ٤ فصل ٢ عد ٣) وكانوا هم يسمون ابنآء الانبيآء (ملوك ٤ فصل ٦ عد ١) وكانوا يعكفون على تسبيح الله (ملوك ١ فصل ١٠ عد ٥ وغيره) وكانت مواد دروسهم سنّة الرب وطرائق الانذار بها والاظهر ان رئيسهم كان كان يُمسح بالدهن المقدس كما مُسح اليشاع (ملوك ٣ فصل ١٩ عد ١٦) ولم يكن جميعهم انبيآء حقيقة ينذرون بالمستقبلات ولكن قد خرج من مدرستهم كثير من الانبيآء وسائرهم علمآء ومنذرون فقط (طالع عد ٢٤٦) وعليه فقد كان صموئيل اول من وضع طريقة التعليم والتهذيب الديني واقام مدرستهم اول الامر في موطنه الرامة وانبأنا الكتاب انه كان مثل هذه المدرسة في بيت ايل واريحا والجلجال وغيرها

روى كلمت (في تاريخ العهد القديم) ان صموئيل عاش نحو ثماني وتسعين سنة صرف منها عشرين سنة في القضاء لبني اسرائيل قبل مسحه شاول وعاش مع شاول ثماني وثلاثين سنة . ولكن روى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود فصل ١٤) انه ولي القضاء للشعب اثنتي عشرة سنة وعاش مع شاول ثماني عشرة سنة . ودفن في بيته اي في موطنه الرامة وقد مر ان الارجح انها كانت في المحل المسمى اليوم النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم. قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخ المشرق في ملك شاول) ان مقتل الكهنة واهل نوب الانف ذكره كان بعد موت صموئيل فقدم الكتاب وضعًا ما تأخر

زمانًا ومن ادلة ذلك ان شاول لم يكن ليقترف جريمة فظيعة كهذه في حياة صموئيل الذي كان يهابه ويخشاه ويؤيده اننا لا نرى في الكتاب ان صموئيل فاه بكلمة توبيخ على هذا الصنيع الذريع خلافًا لما تعود من انتقاد نار غيرته

﴿ ٢٥٧ ﴾

تتمة اخبار داود في مفره وعفوه ثانية عن قتل شاول

قد مر ان داود لم يركن الى كلام شاول ومضى الى محال حصينة والظاهر من آي الكتاب انه اقام في برية معون (تل معين السالف تعريفها) واحتاج الزاد لرجاله فارسل الى رجل غني في معون اسمه نابال كان يجز غنمه الكثيرة جدًا سائلاً اياه ان يعطيهم ما تيسر لقوتهم لانهم احسنوا الى رعاته وذبوا عنهم وكان وقت الجزاز عندهم كوقت قطاف الكروم يكثرون فيه من معدات اللهو والمسرة فابى الرجل الا ان يسمع غلمان داود ما يسؤهم قائلاً من هو داود وقد كثر العبيد الذين ابقوا من عند مواليهم ولما علم داود احتدم صدره غيظًا واخذ اربع مئة رجل من رجاله ينوي التنكيل به وكان لنابال امرأة اسمها ابيجائيل (او ابيغال) ذكية جميلة علمت باحسان داود وفظاظة زوجها فاخذت مئتي رغيف وزقي خمر وخمسة خرفان مطبوخة وخمس كيلات من الفريك ومئتي عنقود من الزبيب ومئتي قرص من التين ومضت الى داود فالتقت به في طريقها فخمدت جذوة غيظه بتذللها ورقة كلامها فتقبل هديتها وعادت الى بيتها وقصت على زوجها ما كان فارتاع جدًا حتى عبر الكتاب عن ذلك بقوله « مات قلبه في في جوفه وصار كحجر » وبعد عشرة ايام مات فشكر داود الرب لانه انتقم من نابال على غير يده ثم تزوج داود بابيجائيل امرأته واتخذ امرأة اخرى اسمها احينوعم وكان شاول اعطى ميكال ابنته زوجة داود لرجل آخر بعد فراره (ملوك ١ فصل ٢٥)

وعاد اهل زيف (تل زيف) يخبرون شاول ان داود مختبئ في البرية قريباً منهم فاخذ شاول ثلاثة الاف رجل من منتخبي اسرائيل ليطلب داود وارسل داود جواسيس فعلم محل اقامته فغشيه ليلاً ومعه ابيشاي بن صروية فوجده نائماً في المترسة ورمحه مركوز عند رأسه وابنير قائد جيشه والشعب رقود حوله فقال ابيشاي لداود دعني اطعنه بهذا الرمح طعنة واحدة ولا اثني عليه فاجابه داود من الذي يمد يده الى مسيح الرب ويكون بريئاً واخذ داود رمح شاول وكوز الماء من عند رأسه وانصرفا ووقف داود على قمة الجبل من بعد وصاح بالشعب وبابنير بن نير فاجاب ابنير من انت يا من يصيح بالملك فقال له داود كيف لم تحرس سيدك الملك فقد جاء واحد من الشعب ليقتله فانظر اين رمح الملك وكوز الماء اللذان كانا عند رأسه فعرف شاول صوت داود وقال أصوتك هذا يا ابني داود فقال نعم وما بالك يا سيدي تطلب عبدك أخرجت لتطلب برغوثاً واحداً كما يطلب الحجل في الجبال فقال شاول قد اخطأت فارجع يا ابني داود فاني لا اعود أذيك فنفسي كانت كريمة في عينيك وانا قد فعلت بحماقة . ونادى داود هذا رمح الملك فليعبر احد الغلمان ويأخذه ويكافي الرب كل واحد بحسب بره وامانته وانصرف داود لسبيله غير آمن ورجع شاول الى مكانه (ملوك ١ فصل ٢٦)

رأى داود ان فراره الى ارض الفلسطينيين خير وسيلة تقي نفسه من القتل وقومه من الضر فعاد ثانية الى اكيش ملك جت (ذكرين) ولم يخشَ هذه المرة غدر الفلسطينيين به اذ كان يصحبه ست مئة رجل من شجعان قومه وكان الفلسطينيون يلقون به نصيراً على شاول واعوانه ولا اقل من ان يدخلوا بهذه الذريعة الانقسام بين بني اسرائيل فقبله اكيش مشترطاً عليه الامانة له والمناصرة على شاول وكف شاول عن طلب داود فاقام اياماً في جت ثم سأل

اكيش ان يعطيه قرية في الصحرآء فيسكن فيها مع امرأتيه ورجاله فاعطاه صقلاج وهي على ما في كتاب اعلام الاماكن مدينة كانت في نصيب سبط شمعون وهي اليوم اطلال في جنوبي بئر سبع وفي شرقي خلاصة تسمى اسلوج وقد اكتشفها رولاند سنة ١٨٤٢ واقام داود في بلاد الفلسطينيين سنة واربعة اشهر كذا في نسخة الاباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت بالعربية وفي كتب كثير من المفسرين ولكن في النص العبراني «اياماً واربعة اشهر» وفي الترجمة السريانية ܒܝܘܡ̈ܐ ܐܪܒܥ̈ܐ ܘܬܪ̈ܥܐ ܡ̈ܢ̈ܗ̇ ܥ̈ܡ̈ܗ̇ اي اوقاتاً واربعة اشهر وقال كلمت ان داود اقام اربعة اشهر في جت وستة في صقلاج وكان يخرج هو واصحابه ويغزون الشجوديين والجرزيين وهم (على ما قال كلمت في تاريخ العهد القديم) من عشائر الكنعانيين ساكني جنوبي فلسطين ثم العمالقة وقد مر تعريف اصلهم وكان هولاء جميعاً اعداء لبني اسرائيل ولذلك قال الكتاب ان داود كان يضرب البلاد فلا يبقى على رجل ولا على امرأة ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب ويرجع الى اكيش فيقول له اين غزوتم اليوم فيقول داود في جنوبي يهوذا وجنوبي اليرحميلين من عشائر بني اسرائيل وجنوبي القينيين وهم من ذوي قرابة يترو حمي موسى واعطوا ارضاً في نصيب سبط يهوذا وكان داود يقول لاكيش ذلك ليصدقه بانه جعل نفسه مكروهاً لدى شعبه وبانه مخلص له . قال بعض المفسرين لا يمكن تبرئة ساحة داود من الكذب لمخالفة كلامه الحقيقة وعندهم ان هذا من جملة نقائصه التي استغفر الله عنها وقال غيرهم ليس في كلامه الا اخفاء الحقيقة وتلبيس الجواب على لاكيش فلم يصرح له بمن غزا وقال الحق لان من كان يغزوهم كانوا في جنوبي يهوذا

وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٢) انه جاء لمناصرة داود في

صقلاج رجال اشداء وكثيرون من سبط بنيامين اقرباء شاول ومن سبط يهوذا وسبط جاد سكان عبر الاردن فقبلهم داود وجعلهم روساء غزاة وتوفر الحشد عند داود وكان هذا ميسراً لارتقائه منصة الملك بعد مقتل شاول كما سيجيء

﴿ عد ٢٥٨ ﴾

محاربة الفلسطينيين لشاول وقتله

قد امَّل اكيش الظفر ببني اسرائيل لانقسامهم ولحسبانه ان داود ورجاله يناصرونه على شاول وانصاره فاغري سائر اقطاب الفلسطينيين باستئناف الحرب واستدعى داود وقال له لا بد ان تخرج معي في الجيش انت واصحابك فقال داود ستعلم ما يصنع عبدك فحمل اكيش كلامه على ما يتبادر الفهم اليه فقال اذن اقيمك حافظاً لراسي كل الايام فبات داود مرتبكاً في امره لا يريد ولا يستبيح ان يشائع الفلسطينيين على اخوانه شعب الله ولا ان يغالظ اكيش ففرج الله كربه اذ سأل اقطاب الفلسطينيين اكيش بعد مضيهم الى مكان الحرب ان يسرح داود ورجاله خشية ان ينقلبوا عليهم اذا استعرت نار الوغى فانصرف داود ورجاله شاكراً الله . وتقدمت جيوش الفلسطينيين نحو الشمال الى مرج ابن عامر ونزلوا بشونم وهي سونم الان في شمالي زرعين في ناحية جنين من متصرفية نابلس (كتاب اعلام الاماكن) وجمع شاول رجاله ونزلوا بجلبوع وهو المسمى الان جبل جلبوع او جلبون على ما في كتاب اعلام الاماكن نسبة الى قرية هناك تسمى جلبون او جبل فقوعة على ما روى كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٣٢٥) نسبة الى قرية تسمى فقوع وهذا الجبل في شمالي سولم محلة الفلسطينيين

ورأى شاول كثرة جيوش الفلسطينيين فخاف وارتعد قلبه جدًّا وسأل الرب فلم يجبه لا بالحلم ولا بالكهنة ولا بالانبياء وقال له بعض رجاله ان في عين

دور (تسمى الى اليوم بهذا الاسم هي على ستة اميال من الناصرة شرقاً)
امرأة ذات تابعة (جنيَّة) فتنكر شاول وانطلق ليلاً مع رجلين الى العرافة فابت
اولاً ان تكهن له خوفاً من الملك الذي كان نفى العرافين واصحاب التوابع ولما
امَّنها قالت من تريد ان اصعد لك قال صموئيل ولما رأته المرأة صرخت وقالت
انها ترى رجلاً شيخاً صاعداً مترديا برداء فعرف شاول انه صموئيل فخر على
الارض وسجد فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتني واصعدتني فقال شاول قد
ضاق فيَّ الامر جدًّا والله فارقني ولم يعد يجيبني فدعوتك لتعلمني ماذا اصنع
فقال صموئيل لماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك وشق المملكة من
يدك ودفعها الى صاحبك داود وغداً تكونون معي انت وبنوك ايضاً في القبور
او الحياة الاخرى فسقط شاول في الحال بطوله على الارض وارتاع جدًّا ولم
تُعد له قوة ليذوق طعاماً كل يومه ثم انصرف الى معسكره (ملوك ١ ف ٢٨)

ان في آيات الكتاب المار ذكرها اشكالاً ادَّى الى اختلاف في اقوال الاباء العلماء
فمن قائل ان الشيطان تشبه بملاك النور وظهر لشاول بهيئة صموئيل واعلمه
بسماح الله بما يكون له ولبنيه حقيقة على مثال ما نرى في الانجيل ان الشياطين
كانوا يشهدون للمسيح انه ابن الله وممن قالوا بهذا القديس يوستينوس الشهيد
واوريجانوس وانسطاس الانطاكي والقديس اغوسطينوس في احد اقواله ومن
قائل انه لم يكن للشيطان ولا للعرافة ذريعة بظهور صموئيل بل اراد الله وهو
على كل شيء قدير ان يترآى صموئيل لشاول فيبرز القضآء عليه بالموت جزاء
لجرائمه على مثال ما ظهر موسى واليليا للمخلص عند تجليه وبهذا قال كثير من
الاباء والعلماء واستمسكوا لاثباته بقول الكتاب « فلما رأت المرأة صموئيل
صرخت بصوت عظيم » فهذا مشعر بانها رأت غير ما كانت تنتظر وغير ما
اعتادت عليه في تكهنها واستشهدوا لرأيهم بقول ابن سيراخ (فصل ٤٦ عدد ٢٢

وما يليه) في صموئيل ، ومن بعد رقاده تنبأ واخبر الملك بوفاته ورفع من الارض صوته بالنبوة لمحو اثم الشعب ، ورجح هذا القول من الحدثاء كامت في معجم الكتاب وفيكورو في الموجز الكتابي (عد ٤٨٥) وساسي في تفسير الايات المار ذكرها وهو الاظهر والامثل

وتقدم الفلسطينيون الى يزرعيل وهي زرعين الان في جنوبي سولم التي كانت محلتهم فيها وفي شمالي جلبوع حيث كان جيش شاول وتسعرت نار الحرب فانهزم رجال اسرائيل من وجه الفلسطينيين الذين شدوا على اثر شاول وبنيه فقتلوا يوناثان وابيناداب وملكيشوع بني شاول وادرك الرماة بالقسي اباهم واثخنوه بالجراح فقال لحامل سلاحه استل سيفك واوجأني به لئلا يقتلني هولاء القلف ويتشفوا بشنيعهم بي فابى حامل سلاحه ان يمد اليه يدًا فاخذ شاول سيفه وسقط عليه فمات ولما رأى حامل سلاحه انه مات سقط هو ايضًا على سيفه ومات معه ولما رأى رجال اسرائيل الذين في نواحي الاردن ان قد مات شاول وهرب جيشه فخلوا مساكنهم وفروا فاتى الفلسطينيون واقاموا فيها وفي الغد وجد الفلسطينيون شاول وبنيه صرعى بين القتلى فقطعوا راسه ونزعوا سلاحه وعلقوه في بيت عشتاروت ربّتهم وعلقوا جسده على سور بيت شان وهي بيسان الان في الشرق الجنوبي من جبل جلبوع وسمع اهل يابيش جلعاد (وادي اليابس في السلط) بما صنع الفلسطينيون بشاول فنهض كل ذي بأس منهم وساروا الليل كله فاخذوا جثث شاول وبنيه عن سور بيسان واتوا بها مدينتهم واحرقوها واخذوا العظام ودفنوها في بلدهم وصاموا سبعة ايام متذكرين احسان شاول اليهم بانقاذهم من ناحاش ملك العمونيين كما مر (ملوك ١ ف ٣١)

﴿ عد ٢٥٩ ﴾

محاربة داود العمالقة ومناحته على شاول وبنيه

قد عاد داود من معسكر الفلسطينيين الى صقلاج مدينته فوجد العمالقة غزوها ابان غيبته واحرقوا بيوتها وسبوا منها النساء والاطفال حتى امرأتي داود فرفع هو ورجاله والشعب اصواتهم بالبكاء حتى لم يبقَ لهم قوة ان يبكوا فاعتصم داود بالله وسار برجاله في اثر العمالقة فصادف في طريقه رجلاً مصرياً كان عبداً لرجل عماليقي تركه مولاه في الطريق لمرضه فهداهم الى محلة العمالقة وكانوا فيها ياكلون ويشربون ويرقصون فرحين بما نالوه من الغنيمة وكان تخلف من رجال داود مئتان في الطريق فحاربهم برجاله الاربع مئة النهار كله ولم ينجُ منهم الا اربع مئة من الفتيان ركبوا على الجمال وهربوا تاركين غنائمهم واستخلص داود امرأتيه وكل ما اخذ العمالقة ولم يفقد لهم شيء لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات بل اخذوا كل ما كان للعمالقة هناك من غنم وبقر واحب رفقاء داود ان لا يقاسموا الغنيمة اصحابهم الذي اعيوا عن لحاقهم فقال داود ان نصيب النازل الى الحرب يكون كنصيب القائم على الامتعة على السواء يقتسمون فكان ذلك سنّة وحكماً في بني اسرائيل وبعث داود بعد عوده الى صقلاج من الغنيمة الى كثير من شيوخ المحال التي اقام فيها كان ليعوضهم من الخسائر التي الحقها بهم او ليحببهم اليه

وفي اليوم الثالث بعد رجوع داود الى صقلاج من قتل العمالقة اقبل رجل وثيابه ممزقة وعلى راسه تراب يخبر داود ان قد سقط من الشعب كثيرون ومات شاول وابنه يوناثان وان شاول قال له ان ينهض عليه ويقتله فقتله لانه علم انه لا يحيى بعد واخذ التاج عن راسه وانتزع السوار من ساعده واتى بهما داود قال كل ذلك آملاً ان يمن على داود بما صنع فيجيزه على صنيعه وكانه

كان اول من وجد شاول قتيلاً فاخذ تاجه وسواره فمزق داود ثيابه وتابعه بذلك رجاله وناحوا وبكوا على شاول وصاموا الى المساء ثم سأل داود الغلام مخبره من اين انت فقال انا ابن رجل غريب عماليقي فقال له داود كيف لم تهب ان تمد يدك الى مسيح الرب فدمك على هامتك لان فمك شهد عليك بانك قتلت مسيح الرب ودعا واحداً من الغلمان وقال اوقع به فضربه ومات . ورثى داود شاول ويوناثان المرثية الشهيرة المثبتة في الفصل الاول من سفر الملوك الثاني المفتتحة « الظبي يا اسرائيل مجدَّل على روابيك كيف تصرعت الجبابرة لا تخبروا في جت ولا تبشروا في اسواق شقلون (عسقلان) لئلا تفرح بنات الفلسطينيين وتطرب بنات القلف يا جبال الجلبوع لا يكن فيكنَّ ندى ولا مطر ، الى ان يقول « يا بنات اسرائيل ابكينَ على شاول الذي كان يكسوكنَّ القرمز ترفًا ويرصع لباسكنَّ بحلى الذهب ... قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناثان لقد كنت شهيًا لديَّ جدًّا وكان حبك عندي اولى من حب النساء وقد احببتك حب ام لابنها الوحيد »

الفصل الثالث عشر

(في اخبار داود في مدة ملكه)

﴿ عد ٢٦٠ ﴾

اقامة بني يهوذا داود ملكاً وسائر بني اسرائيل اشبوشت بن شاول

وصعد داود بعد مناحته على شاول الى حبرون (الخليل) بوحي الله فاتى رجال يهوذا ومسحوه ملكاً عليهم وكانت باكورة اعماله ان بعث رسلاً الى اهل يابيش جلعاد (وادي اليابس في السلط) يشكر لهم بما صنعوا من الاحسان في دفن شاول ويشددهم وينبئهم ان بني يهوذا مسحوه ملكاً عليهم . فلم يكن من ابنير بن نير عم شاول ورئيس جيشه الا ان اخذ اشبوشت بن شاول وعبر به الاردن وملكه على سائر بني اسرائيل وجعل قصبة ملكه محنائيم المسماة اليوم محنه وفي كتاب اعلام الاماكن انها على اربعة عشر ميلاً في الجنوب الشرقي من بيسان وعلى مقربة من يابيس جلعاد وفسر يوسيفوس (ك ٧ من تاريخ اليهود فصل ١) اسمها بمعنى المحلتين او المحنتين فدان لاشبوشت سكان عبر الاردن وكثير من اسباط اسرائيل الا سبط يهوذا وكان عمره يوم ملك اربعين سنة واستتب له الملك على مريديه سنتين وفي السنة الثالثة عبر ابنير بن نير ورجال اشبوشت الاردن واتوا جبعون المعروفة الان بالجب في شمالي اورشليم (اعلام الاماكن) وقد مر ذكرها عند الكلام في احتيال اهلها على بني اسرائيل في عهد يشوع بن نون وعرف داود بخروج جيش اشبوشت فارسل لملتقاهم يوآب بن صروية اخت داود (يوسيفوس في المحل الانف ذكره) ورجال داود فالتقى الجيشان على بركة جبعون ولما كان كل من القائدين صديقاً للاخر ولم

تكن شحناء بين الفريقين قال ابنير ليواب ليبرز بعض الغلمان من كل فريق على سبيل اللعب كما قال الكتاب او على سبيل امتحان قوة الرجال في الفريقين كما قال يوسيفوس فبرز اثنا عشر رجلاً من سبط بنيامين من جهة اشبوشت واثنا عشر رجلاً من رجال داود واخذ كل واحد براس صاحبه ووجأه بسيفه في جنبه فسقطوا جميعاً وسمي المكان حقل الصناديد وافضى ذلك الى قتال شديد كانت عاقبته انهزام ابنير ورجال اشبوشت ومطاردة يواب واخويه بيشاي وعسائيل لابنير الى ان قتل ابنير عسائيل وكان عدد القتلى من رجال داود تسعة عشر رجلاً وعسائيل ومن رجال اشبوشت ثلاث مئة وستين رجلاً وعاد ابنير برجاله الى محنائيم عند اشبوشث ويواب برجاله الى حبرون عند داود . قال الكتاب (ملوك ٢ فصل ٣) وطالت الحرب بين بيت شاول وبيت داود ولم يزل داود يتقوى وبيت شاول يضعف وكان ابنير قائد جيش اشبوشت يتردد الى سرية كانت لشاول او كان تزوجها ولم يكن له ان يتخذ ارملة الملك فعتب اشبوشت ابنير لدخوله على سرية ابيه فاستشاط صدر ابنير غيظاً وارسل رسلاً الى داود ليقطع معه عهداً فيرد اليه جميع اسرائيل فقطع داود معه عهداً وطلب منه ان يأتيه بميكال امرأته ابنة شاول (التي كان اعطاها لغير داود) عند ما يأتي اليه ووفد ابنير الى داود في حبرون ومعه ميكال فصنع له ولرجاله مأدبة ورحب به واكرم مثواه ثم انطلق ابنير ليجمع شيوخ بني اسرائيل ليبتوا عهداً مع داود ويملكوه فيهم وعاد بعدئذٍ يواب ورجاله من الغزو ومعهم غنيمة عظيمة فأخبر عما كان لابنير وخشي ان يشاطره وجاهته لدى الملك وتذكر قتله عسائيل اخاه فسعى به انه انما جاء ليخدع الملك ويقف على ما يصنعه ووجه رسلاً فردوا ابنير من طريقه على غير علم من داود . ولما رجع مال به يواب ليفاوضه على دعة وضربه في بطنه فمات بدم عسائيل اخيه . فساءت

فعلته داود جدًا وقال انا بريء ومملكتي امام الرب من دم ابنير وتسخط على مواب ودعا عليه وعلى بيته وبالغ في مظاهر النوح والاسف على ابنير حتى حسن ذلك في عيون الشعب كله وايقنوا انه لم يكن للملك يد في مقتل ابنير

وسمع اشبوشت بان قد مات ابنير بحبرون فاسترخت يداه وارتاع جميع اسرائيل وكان لاشبوشت رئيسا غزاة اسم احدهما ريكاب واسم الاخر بعنه ابنا رمون البئيروتي نسبة الى بئيروت المسماة الان البيري على نسمة اميال في الطريق من اورشليم الى نابلس فهذان دخلا بيت اشبوشت بينما كان نائما عند قائلة الظهيرة وكانت الحاجبة اغفت وهي تنقي الحنطة فقتلاه وقطعا رأسه واتيا به الى داود وقالا هوذا رأس اشبوشت بن شاول عدوك فقال لهما حي الرب الذي خلصني من كل ضيق ان الذي ظن انه يبشرني بقتل شاول قتلته في صقلاج وكان يستوجب جائزة فما يكون لرجلين بغيين قتلا رجلاً بريئًا في بيته على سريره الا اطلب دمه من ايديكما وابيدكما وامر داود الغلمان فقتلوهما وقطعوا ايديهما وارجلهما وعلقوهما على بركة حبرون واخذوا رأس اشبوشت ودفنوه في قبر ابنير في حبرون (ملوك ٢ فصل ٤)

﴿ عد ٢٦١ ﴾

استقلال داود في ملك اسرائيل وفتحه قلعة صهيون ومحالفته لحيرام

قد جاء في الكتاب (ملوك ٢ فصل ٥) واقبل جميع اسباط اسرائيل الى داود في حبرون واقروا له في الملك فاستقل به وقد فصل في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٢) عدد الرجال الذين اقبلوا الى داود ليبايعوه الملك فكان مجموعهم ٣٥٩٦٠٠ رجل اذا كان عدد رجال يساكر عشرين الفا كما رواه يوسيفوس (ك ٧ من تاريخ اليهود فصل ٢) اذ لم يتعين في سفر اخبار الايام

عدد الرجال من هذا السبط بل قيل فقط، روساء يساكر مئتان وجميع اخوتهم تحت امرهم، واستمر هولاء جميعاً عند داود ثلاثة ايام ياكلون ويشربون لان رجال جميع الاسباط حتى يساكر وزبلون ونفتالي سكان شمالي فلسطين كانوا يقلون على الحمير والجمال المؤن والذخائر من خبز ودقيق واقراص تين وعناقيد زبيب وخمر وزيت ويسوقون بقراً وغنماً وكان الاحتفاء شائقاً بهجاً وكان لداود من العمر يوم ملك على يهوذا ثلثون سنة واستمر على ذلك سبع سنين وستة اشهر فملك على بني اسرائيل كلهم في السنة الثامنة والثلاثين من عمره وملك كذلك ثلثاً وثلثين سنة فجملة ملكه اربعون سنة وستة اشهر. وانتهز داود فرصة ليفتح حصن صهيون في يبوس (اورشليم) ويأخذه من يد اليبوسيين احدى عشائر كنعان فسار الى هنالك برجاله فتمرد اليبوسيون وقالوا لداود انك لا تدخل الى ههنا حتى لا تبقى منا اعمى ولا مقعداً فكأنهم يقولون مستخفين به ان العميان والمقعدين يكفون لردك عن متمناك ولا حاجة الى عناء رجال حربنا بقتالك فكانوا يحسبون قلعتهم في صهيون حصينة منيعة وروى يوسيفوس في المحل السالف ذكره انه لم يظهر من اليبوسيين عند اول حصار داود قلعتهم الا العميان والمقعدون ووعد داود ان يجيز كل من قتل يبوسياً وكل من بلغ الى قناة الماء او الى اولئك العرج والعميان فكان يواب اول من افتتح مع ابطاله قلعة صهيون فملكها داود وسماها مدينة داود واقام في هذا الحصن وبنى ما حوله من ملُّو فداخلاً قال كلمت (في معجم الكتاب) ملُّو وادٍ كان يفصل بين يبوس القديمة وحصن صهيون ويتصل بعين شيلوحه فردم داود هذا الوادي وسواه واقام ثمة قصراً له ومساكن لاعوانه ومجتمعاً للشعب وزاد ابنه سليمان شيئاً هنالك كما يظهر من سفر الملوك الثالث (ف ٩ ع ١٥) وعرف داود ان الرب اقرّه ملكاً على اسرائيل وعظّم ملكه من اجل شعبه وكان شاول

يعيش مقتصداً واما داود فكان متترفاً واكثر من اتخاذ النساء فانه تزوج باحينوعم اليزرعيلية وابيجال امرأة نابال الكرملية كما مر وولد منهما امون وكلاب ثم اتخذ معكة بنت تلماي ملك جشور (١) فولد منها ابيشالوم وحجيت فولد منها ادونيا ثم ايطال فولدت له شفطيا ثم عجلة فولدت له يترعام وبعد مجيئه من حبرون الى اورشليم تزوج بزوجات وسراري فولدن له بنين وبنات وذكر الكتاب له من هولاء احد عشر ابناً منهم ناثان وسليمان . وسمع حيرام ملك صور اخبار عظمة داود ومجده وانه بنى قصراً لسكناه فتاق الى محالفته كلفاً براحته ونجاح تجارة امته فوجه رسلاً الى داود يستعطفه الى صداقته وارسل اليه اخشاباً من ارز لبنان ونجارين ونحاتين لتجميل قصره وقد استمرت الصداقة بين داود وسليمان وملوك صور وكانت وبالاً على بني اسرائيل كما سترى طالع عد ١١٦ و ١١٧

﴿ عد ٢٦٢ ﴾

حرب وادي الجبارة بين داود والفلسطينيين

لما كان الخلاف بين شاول وداود كان الفلسطينيون يظهرون الرضى عن داود ويبطنون الحذر منه ولكن لما اجمع بنو اسرائيل على تمليكه واستفحل امره قلبوا مجنّ السياسة وخشوا سطوة داود وشدة بأسه وآثروا الهجوم على الدفاع خشية ان يزداد داود صولة وتمكناً ولذا تألبوا وانتشروا في وادي الجبارة قال كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٢٤٨) ان في تعيين موقع هذا الوادي قولين فقال اوسابيوس انه في شمالي اورشليم وذكر القديس ايرونيموس قوله ولم يغير منه شيئاً وتابعهما عليه بعضهم ولكن رأى جمهور العلماء ان هذا الوادي

(١) الاظهر ان مملكة هذا الملك كانت في جنوبي جبل الشيخ وشمالي الساط حيث الجولان والحيدور الان

في جنوبي اورشليم بينها وبين بيت لحم وهو المتحصل من كلام الكتاب ومن قول يوسيفوس ويسمى هذا المحل الان البقعة انتهى كلام كاران وفي كتاب الاعلام الكتابية ان وادي الجبابرة يسمى البقعة وهو في جنوبي اورشليم على طريق بيت لحم . ولما عرف داود اقتراب اعدائه سأل الرب فأوحي اليه ان اصعد اليهم فزحف برجاله فضربهم في الموضع المسمى بعل فراصيم ويلزم ان يكون في وادي الجبابرة وان لم يتعين موقعه الى اليوم فاذعر الفلسطينيون وولوا هاربين تاركين ذخائرهم واصنامهم ايضاً فغنمها داود ورجاله واحرق الاصنام فيظن انها كانت من خشب مموه او مصفح بالذهب او الفضة . وجاء في فصل ٢٣ من سفر الملوك الثاني وفي فصل ١١ من سفر اخبار الايام الاول في معرض ذكر ابطال داود تتمة لاخبار هذه الحرب ان داود كان في حصن وكان محرس الفلسطينيين في بيت لحم فتأوه وقال من يسقيني شربة ماء من بئر بيت لحم فاخترق ثلاثة من ابطاله محلة الفلسطينيين واستقوا من هذه البئر ماء واتوه به فلم يشربه بل قال حاشَ لي يارب ان افعل هذا أ أشرب دم قوم خاطروا بانفسهم

على ان انكسار الفلسطينيين يومئذٍ لم يكن فاصلاً بل انتشروا ثانية في وادي الجبابرة وروى يوسيفوس انهم استنجدوا بغيرهم من ملوك سورية فنجدوهم وسأل داود الرب فقال له لا تصعد بل اعطف من خلفهم وآتهم من حيال اشجار البكاء في العبرانية بوكيم وفي اليونانية كلوتومن وفي اللاتينية محلة الباكين ويحتمل ان يكون المراد بالكلمة محلة اشجار التوت وزعم بعضهم ان ان هذا الموضع في شيلو (سيلون الان) لكن الاظهر انه على مقربة من اورشليم ووادي الجبابرة حيث كان الفلسطينيون وجعل له الرب علامة انه اذا سمع صوت خطوات حاصلاً من حركة اغصان الشجر فليضرب محلة الفلسطينيين

فعمل داود كما امره الرب وشتت شمل اعدائه ويظهر من قول اشعيا (ف ٢٨ عد ٢١) ومن المزمور الـ ١٧ ان الرب ارهب الفلسطينيين حينئذٍ بعاصف شديد اثاره عليهم فتتبع داود اثارهم من جبع الى مدخل جازر . فان قدر ان وادي الجبارة في شمالي فلسطين تبعاً لقول اوسابيوس لزم ان تكون جبع هذه جبعة شاول التي كانت في المحل المسمى الان تل القول او ان تكون جبعون المسماة اليوم الجب لانهما في شمالي اورشليم . وان قدر ان وادي الجبارة في جنوبي اورشليم تبعاً لقول جمهورهم لزم ان تكون جبع هذه في الموضع المسمى الى اليوم جبع في غربي بيت لحم وبيت جالا . واما جازر وفي اللاتينية كادر وكادارا فيظن انها المسماة اليوم قطره على مقربة من خلده والمنصورة في غربي اورشليم قال بذلك كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٥) وهي على ساعة من عاقر عقرون القديمة مدينة الفلسطينيين . وقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٧ فصل ٤) ان بني اسرائيل طاردوا الفلسطينيين الى جازر التي هي تخم المملكتين مملكة اسرائيل ومملكة الفلسطينيين وروى كلمت في تاريخ العهد القديم ان جازر قريبة من عقرون

﴿ عد ٢٦٣ ﴾

في نقل داود تابوت عهد الرب الى اورشليم واهتمامه ببناء بيت الله

قد استدعى داود منتخبين من جميع بني اسرائيل ونهض بهم الى قرية يعريم المسماة الان قرية العنب او قرية ابي غوش واخذوا تابوت عهد الرب من بيت ابيناداب حيث وضع بعد ارجاع الفلسطينيين له كما مر وجعلوه على عجلة جديدة كان عزة واحيو ابنا ابيناداب يقودانها وكان داود ومنتخبو بني اسرائيل جميعاً يلعبون امام التابوت بالكنارات والعيدان والدفوف والصنوج

وغيرها من الات الطرب ولما افضوا الى بيدر نكون الذي لا يعلم موضعه الا انه في الطريق بين قرية ابي غوش واورشليم رمحت الثيران فمد عزة يده الى التابوت فامسكه لئلا يسقط فاماته الله لجسارته اما لانه مس تابوت الرب وليس هو كاهنًا اما لانه افتكر ان الرب غير قدير على وقاية تابوته من السقوط واراد الله في كلتا الحالتين ان يعلمهم الاجلال والتهيب لتابوته وشق على داود كثيرًا ضرب الرب لعزة ولذلك خاف ان ينزل تابوت الرب في قصره وعدل به الى بيت رجل يسمى عوبيداروم الحتي وبقي التابوت هناك ثلاثة اشهر فبارك الرب عوبيد وكل بيته وعرف داود بذلك فزال خوفه واستدعى اللاويين كلهم ليحملوا التابوت وامرهم ان يتقدسوا هم وجميع الشعب وعيّن مرنمين ومغنّين يضربون بالات الطرب وكان كلما خطا اللاويون حاملوا التابوت ست خطوات ذبحوا ثورًا وكبشًا مسمنًا وكان داود يرقص بكل قوته وجميع آل اسرائيل يكثرون الهتاف والتبويق وضرب الات الطرب الى ان وضعوا التابوت في وسط المظلة التي اعدها له داود في قصره واصعد داود محرقات وذبائح سلامة وبارك الشعب باسم رب الجنود ووزع على كل جمهور اسرائيل رجالاً ونساءً لكل واحد جردقة خبز وقطعة لحم وقرصًا من الزلابي او الحلوآء ورأت ميكال ابنة شاول داود زوجها يرقص امام التابوت فازدرته في قلبها ولما اتت لملاقاته قالت ما كان امجد ملك اسرائيل اليوم حيث تعرى من ثوبه الملكي كما يتعرى احد السفهاء فقال لها انما صنعت ذلك واصنعه في كل فرصة امام تابوت الرب الذي اصطفاني على ابيكِ وعلى جميع بيته . قال الكتاب ولم تلد ميكال ولدًا الى يوم ماتت فكأنه يعزو ذلك الى ازدرائها بداود لرقصه امام التابوت واقام داود مرنمين يسبحون الله امام التابوت في اوقات معينة ونظم بعض مزاميره لذلك (ملوك ٢ فصل ٦ وسفر اخبار الايام الاول فصل ١٣ وفصل

١٥ وفصل ١٦)

وكان داود تبعاً لمشورات صموئيل يعزز جانب الدين وسنة الله وكان يحب الانبياء والاحبار ويبالغ في اكرامهم واجلالهم وكان يوناثان وجاد النبيان اخلص الاصدقاء له فقال لناثان انظر اني مقيم في بيت فسيح متقن مزدان باخشاب الارز وتابوت عهد الرب مقام في داخل الشقق وكان كلام الرب في تلك الليلة الى يوناثان ليقول لداود أأنت تبني لي بيتاً لسكناي ولم اسكن بيتاً مذ اخرجت بني اسرائيل من مصر وان يذكره بنعم الله واختياره له من مربض الغنم ويعده بانه يقيم من صلبه من يبني له بيتاً ويقر عرش ملكه ويكون الله له اباً وهو يكون له ابناً . فقص ناثان الرؤيا على داود فدخل امام تابوت الرب يتذلل مبدياً عواطف الشكر على ما اسبغه الله عليه من الآلاء وما وعد به من قرار الملك في ذريته خاشعاً لله بتوسلات حميمة تراها في الفصل السابع من سفر الملوك الثاني والفصل السابع عشر من سفر اخبار الايام الاول . ويظهر ان الله لم يحب ان داود يبني له الهيكل لما صرح به داود نفسه في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢٢ عد ٢) حيث جاء « وقال داود لسليمان يا بني انه قد كان في نفسي ان ابني بيتاً لاسم الرب الهي غير انه قد صار اليَّ كلام الرب قائلاً انك قد سفكت دماء كثيرة وباشرت حروباً عظيمة فلا تبني انت لي بيتاً ... فهوذا يولد لك ابن ... هو يبني بيتاً لاسمي » وكذلك قال داود للشعب كما ورد في سفر اخبار الايام الاول ايضاً (فصل ٢٨ عد ٣) فهذا وما اقترفه داود من الاسم كما سترى منعاه الحظ بان يبني بيت الله وان رحض اثامه بدموع توبته على ان داود كان يذخر كل ما يغنمه من ذهب وفضة ونحاس لينفقه ابنه في بناء الهيكل

﴿ عد ٢٦٤ ﴾

اخضاع داود الفلسطينيين والموابيين وملك صوبة وارامي دمشق

ان كلام يوناثان لداود من قبل الرب زاده شجاعة واتكالاً على الله فعزم ان يخضع جميع اعداء شعبه وان يتولى الارض التي وعدهم بها من تخوم مصر الى شاطي الفرات فاستأنف الحرب مع الفلسطينيين واذلهم. وافتتح جت (ذكرين) عاصمتهم وما جاورها من مدنهم وقراهم ولما ذل له مجاوروه وأمن سطوتهم عبر الاردن بعسكر جرار فضرب الموابيين وبدّد شملهم واسر منهم جمًا غفيرًا وكان يضجعهم على الارض ويقيسهم بحبل فيقتل من كانوا على طول حبلين ويستبقي من كانوا على طول حبل وكانت سنة الحرب في تلك الايام تبيح الظافر قتل الاسرى الذين حملوا السلاح عليه او استبقاءهم قال الكتاب « وصار الموابيون عبيدًا لداود يؤدون الجزية »

ثم ضرب داود هدد عازر بن رحوب ملك صوبة وقد كان ذاهبًا ليسترد سلطته على نهر الفرات واخذ منه داود الف وسبع مئة فارس وعشرين الف راجل وعرقل خيل المراكب وابقى منها مئة مركبة والظاهر ان مملكة صوبة كانت في شمالي سورية المجوفة تمتد من شمالي لبنان الشرقي نحو حمص وحماه وحلب وفي شرقي لبنان المذكور حيث بيرود والنبك وصدد والقريتين الى تدمر والفرات وعلى ذلك ادلة منها ما سيأتي من ان توعي ملك حماه كانت له حروب مع هدد عازر ملك صوبة وبعث ابنه يهنى داود بانتصاره عليه فقد كان مجاورًا له ومنها ايضاً مجاورتها لمملكة دمشق فسيأتي ان ارامي هذه المدينة اتوا لنجدة هدد على داود. ومنها قوله ان هذا الملك كان ذاهبًا ليسترد سلطته على نهر الفرات وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٨ عد ٣) « وضرب داود هدد عازر ملك صوبة في حماه (اي في جوار حماه) وقد كان ذاهبًا

ليمد سلطته على نهر الفرات ، فسواء ذهب ليمد او ليسترد سلطته على نهر الفرات فمجاورة مملكته لدمشق من جهة وحماه من اخرى وغزوته نواحي الفرات يدل صريح الدلالة ان مملكته كانت حيث ذكرنا

وجاء ارامیو دمشق وهم من ذرية ارام بن سام لنجدة هدد عازر ملك صوبة وتسعرت نار الحرب بينهم وبين عسكر داود فاستظهر داود عليهم وشتت شملهم وقتل منهم اثنين وعشرين الف رجل واقام في ارام دمشق محافظين فكان الاراميون يؤدون الجزية ولم يذكر الكتاب اسم ملك دمشق يومئذٍ ولكن روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٧ فصل ٦) انه كان يسمى هدد وهو اسم معبود السوريين وحقق مكروب (ك ١ راس ٢٣) انه كان يراد به الشمس وان تأويل هدد الواحد اوالوحيد وعليه فاصله حد بالحآء او حد حد مكررة فان معه في السريانية الارامية معناها الواحد او الاحد . وروى يوسيفوس في المحل المذكور ان نقولا الدمشقي العالم الشهير (ولد في دمشق لسنة ٧٤ ق م) ذكر هذه الحرب في الكتاب الرابع من تاريخه فقال ، وبعد سنين طوال كان مالكاً في دمشق وسورية كلها عدا قونيقي ملك اقوى امرآء هذه البلاد يسمى هدد وكانت له حروب مع داود ملك اليهود فاستظهر داود عليه في موقعة هائلة في قرب الفرات بعد ان ابدى هدد من البسالة والاعمال الخطيرة آيات تشهد له بانه كان قائداً كبيراً وملكاً عظيماً ، الى ان يقول العالم المذكور ، ومن بعد وفاة هذا الملك خلفه ملوك من نسله سمي جميعهم هدد باسمه كما سمي بتولمايس كل من خلف بتولمايس في مصر وكان عددهم من ذريته اثنى عشر ملكاً وقد عقبوه لا بالملك وحده بل بالمجد والفخار ايضاً وثالثهم الذي فاق شرفاً على جميعهم احب ان يأخذ بثار جده عما انزله بهم اليهود (في ايام داود) من الخسران فضربهم في زمان احاب الملك ودمّر كل البلاد

المجاورة السامرة .

وسمع توعي ملك حماه ان داود بدد جيوش هدد عازر وارامي دمشق فارسل ابنه يورام الى داود ليحييه ويهنئه بانتصاره على هدد الذي كان عدوًا لتوعي وكانت بينهما حروب وارسل الى داود مع ابنه آنية من فضة وذهب ونحاس . قال يوسيفوس (في المحل المذكور) ان توعي لم يوفد ابنه على داود تحيياً اليه فقط بل ليعقد معه عهدة خشية ان يصيبه ما اصاب هدد خصمه فاكرم داود مثوى ابن توعي وتقبل هداياه ووقع على عهدة بينهما فاصبح داود يلي سورية كلها من الفرات الى حدود مصر وجمع داود كل ما غنمه من اعدائه وما اهداه اليه توعي من فضة وذهب ونحاس واتى به الى اورشليم وازدخره الى ابنه لينفقه في بناء الهيكل

ان ما اكتُشف من الآثار الاشورية والمصرية لم يأتنا ببينات قاطعة على ملك داود واستفحال امره في سورية كلها لكنه لا يخلو من ادلة على ذلك فانه يتبين من آثار الاشوريين ان دولتهم القديرة الزاهرة اعتراها وقتئذ كسوف او انحطاط بعد وفاة سمسي بين الذي كان يلي امرها سنة ١٠٨٠ ق م فأمنت واهنة خاملة الذكر حتى لا تعرف اسماء ملوكها مدة مئة وخمسين سنة ولا تجد في خطوطهم القديمة اثرًا الا لانتصار ملك ارام او سورية على جنود اشور في عهد ملكهم اشور بامار حتى اخذ منه ناحية الفرات نفسها واليك ما خط على الصفيحة المعروفة بصفيحة سلمناصر « عبرت انا (سلمناصر) نهر ساغورا (الساجور) عند مصبه في الفرات وكانت مدينة مولكينا الواقعة على عدوة الفرات ضمها الى بلادي تجلت فلاصر الاب القدير الذي ملك هذه البلاد قبلي لكن اشور بامار ملك اشور تخلى عنها الى ملك ارام (كذا يعبر سلمناصر عن انخذال سالفه بخروج هذه المدينة من ملكه) فاستعدت انا هذه

المدينة وارجعتها الى حالها القديمة واسكنت فيها ابناء اشور . فانحطاط دولة اشور يسّر امتداد دولة داود الى شاطي الفرات دون معارض وانبأتنا الآثار المصرية ان قد توفرت في تلك الحقبة التقسمات والحروب الاهلية في مصر فجعلت داود في مأمن من سطو المصريين على جنوبي مملكته وتقسم سورية وما جاورها من بلاد العرب الى ممالك عديدة ضعيفة يسّر له الانتصار على جميعها فدانت لسلطته وكانت تؤدي الجزية صاغرة ومحافظو داود في كل منها فعظمت مملكة داود وضاهت مملكتي مصر واشور في ايام مجدهما لكنها كانت قصيرة العمر لم تحيَ كذلك الا في ايامه وايام سليمان ابنه ولم تخلف في سورية الى اليوم وكان رجال دولة داود يواب بن صورية اخت داود رئيساً على جيشه ويوشافاط بن احيلود مسجلاً وهو حافظ مهر الملك او مسجل الوقائع وصادوق بن احيطوب واحيملك بن ابياتار كاهنين وسرايا كاتباً وبنايا بن يوياداع رئيساً على الجلادين والسعاة وعن كلمت ان هولاء كانوا فرقاً من الجنود اتخذهم الملك من غير بني اسرائيل قال الكتاب . وبنو داود كانوا كهنة . على انهم لم يكونوا كهنة حقيقة لان الكهنوت خص بسبط لاوي بل المراد انهم كانوا كهنة مجازاً اي اشبه بالكهنة سيرة ونزاهة وكرامة لدى الشعب وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٨ عد ١٧) . وبنو داود كانوا الاولين تحت يد الملك . وكان داود حكيماً عادلاً دأبه النزاهة والاستقامة لا يجور بحكمه على احد ولا يحابي ذكوراً للاحسان والوداد استدعى مفيبوشت بن يوناثان بن شاول الذي كان زمن الرجلين واقامه لديه وكان ياكل على مائدته كاحد ابنائه ورد عليه جميع مزارع ابيه وجعل صيبا خادمه قيماً على املاك مفيبوشت ليحرثها ويستغلها له (ملوك ٢ فصل ٨ و ٩)

Restored through a grant from

The Cartwright Foundation

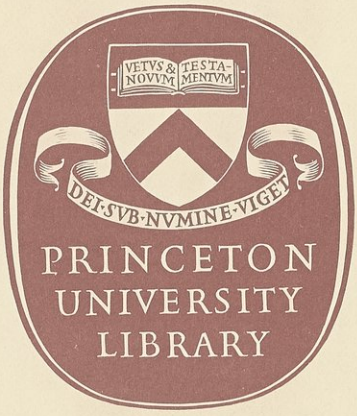

Princeton University Library
32101 082175603